القرطين لابن مطرف الكناني

أو

كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة

﴿ الجزء الثاني ﴾

﴿ الطبعة الاولى سنة ١٣٥٥ هـ ﴾

﴿على نفقة﴾

مكتبة الخانجي ومطبعتها

لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي

بتصحيح الشيخ

عبد الحفيظ سعد عطية

من علماء الأزهر

مطبعة الشرق

لصاحبها عبد العزيز فايد

بسم الله الرحمن الرحيم

غريب سورة مريم عليها السلام ومشكلها

قوله تبارك اسمه وتعالى جده (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) أى لم أكن أخيب إذا دعوتك (خفت الموالى من ورأى) هى العصبة (من ورائى) من بعد موتى خاف أن يرثه غير الولد (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي) يعنى الولد يرثه الحُبورة وكان حبراً (وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) المُلكَ كذلك قيل فى التفسير (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى لم يسم أحدٌ قبله يحيى. وأما قوله ـ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ـ فانه أراد فيما ذكر المفسرون شبيهاً ولو أراد أنه لا يسمى الله غيره كان وجها (مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) أى يبسا يقال عتا وقسا بمعنى واحد ومنه يقال ملك عات إذا كان قاسى القلب غير لين (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) أى سويا غير أخرس. (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) أى أومأ إليهم أن صلوا (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) والسبحة الصلاة. (وَحَنَانًا) أى رحمة

ومنه يقال تحنّن عليّ وأصله من حنين الناقة على ولدها (وَزَكَاةً) أي صدقة (انْتَبَذَتْ) اعتزلت يقال جلست نَبذة ونُبذة أي ناحية (مَكَانًا شَرْقِيًّا) يريد مشرقة ـ والْبَغِيّ الفاجرة والبغاء الزنا (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ) أي جاءها وألجأها وهو من حيث يقال جاءت به الحاجة اليك وأجاءتني الحاجة اليك. والمخاض الحمل (وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) المنسيُّ الشيء الحقير الذي إذا ألقي نسي ويكون كل ما نسي قال الشاعر

كأنَّ لها في الأرضِ نسيًا تقصُّه ... على أمها وإنْ تحدثك تَبلت [(١)]

تبلت تقطع مثل تبتل (وَالسَّرِيّ) النهر . (نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا) أي صمتًا والصوم الإمساك ومنه قيل للواقف من الخيل صائم . (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) أي عظيما عجيبا . (يَا أُخْتَ هَارُونَ) كان في بني إسرائيل رجل صالح يسمى هارون فشبهوها به كأنهم قالوا : ياشبيهة هارون في الصلاح (لَأَرْجُمَنَّكَ) لأشتمنك (وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) أي حينا طويلا ومنه يقال تمليت حبيبك والملوان الليل والنهار . (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) أي بارًّا عودني منه إجابة إذا دعوته . (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) أي ذكرًا حسنا عليا . (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا) أي آتيًا مفعول في معنى فاعل . (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) أي باطلا من الكلام . (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ) قول الملائكة وقول جبريل على جميعهم السلام . (جِثِيًّا)

---

(١) قائله الشنفرى . وفي لسان العرب

كأن لها في الارض نسيا تقصه ... على أمها وإن تخاطبها تبلت

جمع جاث وعِتيا جمع عات (خَيْرٌ مقاماً) أى منزلا (وَأحْسَنُ نَدِيًّا) أى مجلسا يقال المجلس ندىٌّ وناد ومنه دار الندوة للدار التى كان المشركون يجلسون فيها يتشاورون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (وَالأثاثُ) المتاع (والرِّئْىُ) المنظر والشارة والهيأة (فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا) أى يمد لهم فى ضلالتهم ﴿ش﴾ (كَلاَّ) زجر وردع ـ قال الله عز وجل ـ أيطمع كل امرىءٍ منهم أنْ يدخلَ جنّةَ نعيم كلا ـ وقال تعالى ـ بَلْ يُريدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ أن يؤتَى صُحُفاً مُنَشّرَةً كَلاَّ ـ وقال ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بيانه كلاَّ ـ يريد انْتَهِ عن أن تعجل به ـ يَحْسَبُ أنَّ مَالَهُ أخْلَدَهُ كلا ـ أى لا يُخَلِّدُهُ مَالُهُ ـ فى أىِّ صُورَةٍ مَاشَاءَ رَكَّبَكَ كلاَ ـ أى ليس كما غررت به وقال ـ وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ إلى قوله ـ يوم يقوم النـاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَلاَّ ـ يريد انتهوا. ﴿غ﴾ (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) أى نرثه المـالَ والولدَ الذى قال لأوتينَّه. (وَيَأْتِينا فَرْدًا) أى لاشىء معه. (وَيَكُونونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أى أعداء يوم القيامة وكانوا فى الدنيا أولياءهم. (تؤُزُّهمْ) تزعجهم إلى المعاصى (إنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) أى أيام الحياة ويقال الأنفاس. (وَفْدًا) جمع وافد مثل رَكْبٍ جمع راكب وصَحْبٍ جمع صاحب. (والوِرْدُ) جماعة يردون المـاء. (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا) أى وعدا منه له بالعمل الصالح والإيمان (جِئْتُمْ شَيْئًا إدًّا) أى عظيما. (يَتَفَطَّرْنَ) يتشققنَ. (هَدًّا) أى سقوطا. (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا) أي محبة فى قلوب الناس. ومن باب التناقض والاختلاف

المنحول إلى القرآن العزيز الكريم أن قالوا فى باب الحكاية عنه فى قوله ـ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصّالحاتِ سيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمنُ وُدًّا ـ هل يجوز أن يقال فلانٌ يجعل لك حبًّا ـ أى يحبك . فقال إنه ليس على تأولهم وإنما أراد أنه يجعل لهم فى قلوب العباد محبة ، فأنت ترى المخلص المجتهد محبباً إلى البر والفاجر مهيباً مذكورا بالجميل ونحوه قول الله عز وجل فى موسى عليه السلام ـ وألقيت عليك محبة منى ـ ولم يرد فى هذا الموضع أنى أحببتك وإن كان يحبه وإنما أراد أنه حبَّبه إلى القلوب وقربه من النفوس فكان ذلك سببا لنجاته من فرعون حتى استحياه فى السنة التى كان يقتل فيها الولدان وكذلك حكى عنه فى قوله ـ وجعلنا نومكم سُباتا ـ السبات هو النوم فكيف يكون أن يجعل نوماً نوماً وفى قوله ـ قَوَارِيرًا قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ ـ وقوله ـ لِنُرْسِلَ عليهم حجارةً من طينٍ ـ كيف يكون زجاجٌ من فضةٍ وحجارة من طينٍ . فأما قوله ـ وجعلنا نومَكُم سُباتا ـ فليس السُّبات هاهنا النوم فيكون معناه وجعلنا نومكم نوما ، ولكن السُّبات الراحة أى جعلنا نومكم راحة لأبدانكم ، ومنه قيل يوم السبت لأن الخلق اجتمع فى يوم الجمعة وكان الفراغ منه يوم السبت فقيل لبنى إسرائيل استريحوا فى هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئا فسمى يوم السبت أى يوم الراحة ، وأصل السبت التمدد ومن تمدد استراح ومنه قيل رجل مسبوت ويقال سبتت المرأة شعرها إذ نقضته من العقص وأرسلته قال أبو وجزة :

وإن سبتته مال جثلٍ كأنه ⁂ سَدا واهلاتٍ مِنْ نَواسِجِ خثعم

ثم قد يسمى النوم سُباتا لأنه بالتمدد يكون . وأما قوله ـ قواريرا من فضة ـ فان ما فى الجنة من أنهارها وسُرُرِها وفرشها مخالف لما فى الدنيا من صنعة العباد وإن الله سبحانه وتعالى إنما دلنا بما أراناه من هذا الحاضر على ماعنده من الغائب قال ابن عباس ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة إلا الأسماء . ـ والأكواب ـ كيزان لاعُرى لها وهى فى الدنيا قد تكون من فضة وتكون قوارير فأعلمنا أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة كما تقول أتانا شراب من نور أى كأنه نور . وقال قتادة فى قول الله عز وجل ـ كأنهنّ الياقوت والمرجان ـ أى لهن صفاء الياقوت وبياض المرجان . وأما قوله ـ حجارة من طين ـ فان ابن عباس ذكر أنها آجرة والآجر حجارة الطين لأنه فى صلابة الحجارة ﴿قال أبو محمد﴾ وقرأت فى التوراة ـ بعد ذكر أنساب ولد نوح أنهم تفرقوا فى الأرض وكانت الأرض لسانا واحداً فلما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة فى أرض سيعير فحلوا بها ثم جعل الرجل منهم يقول لصاحبه هلم فلنلتبن لبنا فنحرقه بالنار فيكون اللبن حجارة ونبنى مجدلا رأسه فى السماء ، وذكر بعض من رأى هذه الحجارة أنها حمر مختمة . وقال آخرون مخططة وذلك تسويمها ولهذا ذهب قوم فى تفسير ـ سجيل ـ أى سكنكل ، وأما ماحكى عنهم أنهم قالوا فى قول الله عز وجل ـ ولهُمْ رِزْقُهُم فيها بُكْرَةً وعَشِيًّا ـ أنهم يزعمون أنه لاشمس هناك ولا ليل وهذا يدل على أوقات مختلفة وشمس وفىء وليل ونهار لأن البكرة تدل على أول

النهار والعشي يدل على آخره وما كان له أول وآخر فله انصرام وإذا انصرم عاقبه الليل ﴿قال أبو محمد﴾ في باب الرد عليهم : إن الناس يختلفون في مطاعمهم فمنهم من يأكل الوجبة ومنهم من عادته الغداء والعشاء ومنهم من يزيد عليهما ومنهم من يأكل متى وجد لغير وقت ولا عدد فأعدل هذه الأحوال للطاعم وأنفعها وأبعدها من البشم والطواء على العموم الغداء والعشاء والعرب تكره الوجبة وتستحب العشاء وتقول ترك العشاء مهرمة يذهب بلحم الكاذة ، والكاذة باطن الفخذ، ونحن لا نعرف دهراً لا يختلف له وقت ولا يرى فيه ظلام ولا شمس فأراد الله عز وجل أن يعرفنا من حيث نفهم ونعلم أحوال أهل الجنة في مأكلهم واعتدال أوقات مطاعمهم فضرب لنا البكرة والعشي مثلا إذ كانا يدلان على الغداء والعشاء. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال كانت العرب اذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك فأخبرهم الله تعالى أن لهم في الجنة هذه الحالة التي تعجبهم في الدنيا. وأما قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ـ النارُ يُعْرَضون عليها غُدُوًّا وعَشِيًّا ـ وأنه لم يرد أن ذلك يكون في الآخرة وإنما أراد عز وجل أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور ﴿قال أبو محمد﴾ وهذا شاهد من كتاب الله عز وجل لعذاب القبر يدلك على ذلك قوله ـ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ـ فهم في البرزخ يعرضون على النار غدواً وعشيا وفي القيامة يدخلون أشد العذاب ﴿غ﴾ (فإنما يسرناه بلسانك) أي سهلناه

وأنزلناه بلغتك (واللُّدُّ) جمع ألدّ وهو الخصم الجدل (والرِّكْزُ) الصوت الذي لا يفهم .

﴿ غريب سورة طه ومشكلها ﴾

قوله تعالى (يعلم السِّرَّ وأخفَى) السر ما أسررته ولم تظهره (وأخفى) ماحدثت به نفسك (عَلَى الْعَرْشِ استَوَى) قال أبو عبيدة علا قال : وتقول استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت وقال غيره (استوى) استقر واحتج بقول الله عز وجل ـ فإذا استويتَ أنتَ ومَنْ معكَ على الفُلكِ ـ أي استقررت فى الفلك وبقوله تعالى ـ حتى إذا بلغَ أشُدَّه واستوى ـ أى انتهى شبابه واستقر فلم يكن فى نباته مزيد (آنسْتُ ناراً) أبصرت نارا ويكون فى موضع آخر علمت كقوله ـ فان آنستم منه رُشْدا ـ أى علمتم (وأقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرى) أى لتذكرنى فيها (أَكادُ أُخفِيها) أى أسترها من نفسي وكذلك فى قراءة أُبَيّ رضى الله عنه ـ أكاد أخفيها من نفسى ـ (فَتَرْدى) أى تهلك والردى الهلاك والموت (وَأهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي) أى أخبط بها الورق (وَلى فيهَا مآربُ أُخرى) أى حوائج أخر واحدها مأربة ومأرب (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَها الأُولى) أى نردها عصا كما كانت (وَاضمُمْ يدَكَ إلى جناحِكَ) أى جيبك (مِنْ غيرِ سُوءٍ) أى من غير برص (وَاحلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) أى رتة كانت فى لسانه (أُشْدُدْ به أزْرى) أي ظهرى ومنه يقال آزرت فلانا على الأمر أى قويته عليه وكنت له

فيه ظهيرا وأما وازرته فصرت له وزيرا وأصل الوزارة من الوزر وهو الحمل كأن الوزير يحمل عن السلطان الثقل (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسَى) أي طلبتك وهو فعل من سألت أي أعطيت ماسألت (إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ) أي قذفنا في قلبها ومثله ـ وإذْ أَوْحَيْتُ إلى الحَوارِيِّينَ ـ (وَاليَمُّ) البحر (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) أي تربيت بمرأى مني على محبتي فيك (عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) أي يضمه ومثله ـ وكفلها زكريا ـ (وَفَتَنَّاكَ فُتُونا) أي اختبرناك (ولا تَنِيا) أي تضعفا ولا تفترا يقال ونَى في الأمرين وفيه لغة أخرى ونى ونيا (نخاف أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) أي يعجل ويقدم والفرط التقدم والسبق (ربُّنا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) مثله من الاناث (ثُمَّ هَدَى) أي هدى الذكر لإتيان الأنثى (فما بَالُ القُرُونِ الأُولَى) ماحالها يقال أصلح الله بالك أي حالك (أَزْوَاجاً) أي ألوانا كل لون زوج (لِأُولِى النُّهَى) أي لأولي العقول والنهية العقل قال ذو الرمة :

وقَدْ بدا لذي نُهيَةٍ ... ألاَّ إلى أمِّ سالم

(مَكَانًا سُوَى) أي وسطا بين قريتين ﴿ش﴾ وسوى وسوى في غير هذه الآية تكون بمعنى غير وهما جميعا في معنى بدل وهي مقصورة وقد جاءت ممدودة مفتوحة الأول وهي في معنى غير قال ذو الرمة :

وماءٍ تَجافَى الغَيْثُ عنه فما بِهِ ... سَوَاء الحَمام الحضرِ الخضرُ حاضرُ

يريد غير الحمام وسواء مفتوحة الأول بمعنى وسط قال الله عز وجل ـ في سواء الجَحِيمِ ـ أي في وسطه عافانا الله . وقد جاءت أيضا بمعنى وسط مكسورة

الأول مقصورة وهى التى فى الآية فى قوله تعالى ـ مكانا سِوًى ـ أى وسطا ﴿غ﴾ (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) يعنى يوم العيد (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) للجمع فى العيد (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى حيله (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) أى يهلككم ويستأصلكم يقال سحته الله وأسحته (وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) أى كذب (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى تناظروا (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أى أخفوا الكلام (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) هذا من باب اللحن وما رواه أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضوان الله عليها أنها قالت ـ ثلاثة أحرف فى كتاب الله هى خطأ من الكاتب ـ إن هاذان لساحران ـ وإن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ـ فى سورة المائدة ولكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ـ وحديث عثمان رضى الله عنه أنه نظر فى المصحف فقال أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها ﴿قال أبو محمد﴾ أما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضى الله عنها فى غلط الكاتب وحديث عثمان رضى الله عنه فيما وقف عليه من اللحن فى المصحف فقد تكلم النحويون فى هذه الحروف واعتلوا لكل حرف منها واستشهدوا بالشعر فقالوا فى قوله عز وجل ـ إن هذان لساحران ـ هى لغة بلحارث بن كعب يقولون مررت برجلان وقبضت منه درهمان وجلست بين يداه وركبت علاه وأنشدوا :

تزوّد منا بين أذْناهُ ضَرْبَةً ... دعته إلى هافى التُّرابِ عَقيمِ

وأنشدوا: أي قَلُوصٍ راكبٍ قَراهَا طاروا عَلاهُنّ فَطِرْ عَلاهَا (١)

على أن القراء قد اختلفوا فى قراءة الحرف فقرأه أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ـ إن هذين لساحران ـ وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة رضى الله عنها. وكان عاصم الجحدرى يكتب هذه الحروف الثلاثة فى مصحفه على مثالها فى الامام. فاذا قرأها قرأ ـ إنّ هذَيْن لساحِرَان ـ وقرأ ـ والمقيمُونَ الصّلاةَ ـ وقرأ ـ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئينَ ـ وكان يقرأ أيضا فى سورة البقرة ـ والصابرون فى البأساء ـ ويكتبها والصابرين ـ وإنما فرق بين القراءة والكتابة لقول عثمان رضى الله عنه أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها، فأقامه بلسانه وترك الرسم على حاله وكان الحجاج وكّل عاصما هذا وناجية بن رمح وعلى بن أصمع عم أبى الأصمعى رحمهم الله بتتبع المصاحف وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفا لمصحف عثمان رضى الله عنه ويعطوا صاحبه ستين درهما ﴿قال أبو محمد﴾ أخبرنى بذلك أبو حاتم عن الأصمعى قال وفى ذلك يقول الشاعر: —

وإلاّ رسومَ الدار قفْراً كأنّها كتابٌ محاه الباهليّ بن أصمعَا

وقرأ بعضهم ـ إن هذان ـ اعتبارا بقراءة أبيّ لأنها فى مصحفه

---

(١) قال الراجز:

أى قلوص راكب تراها فاشدد بمثنى حقب حقواها

ناجية وناجياً أباها طاروا علاهن فطر علاها

اه من لسان العرب

ـ إنْ ذانِ إلاّ ساحِران ـ وفى مصحف عبد الله رضى الله عنه ـ وأسرّوا النجوى أنْ هذان إلاّ ساحران ـ منصوبة الألف بجعل أن هذان تبيينا للنجوى وقالوا فى قوله ـ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون ـ رفع الصائبين لأنه رده على موضع ـ إنّ الذين آمنوا ـ وموضعه رفع لأن إنْ مبتدأة وليست تحدث فى الكلام معنى كما تحدث أخواتها ألا ترى أنك تقول زيدٌ قائم ثم تقول إن زيداً قائم فلا يكون بين الكلامين فرق فى المعنى وتقول زيد قائم ثم تقول لعل زيداً قائم فيحدث فى الكلام معنى الشك وتقول زيدٌ قائم ثم تقول ليت زيدا قائم فيحدث فى الكلام معنى التمنى ويدلك على ذلك أيضا قولهم إن عبد الله قائم وزيداً فترفع زيد كأنك قلت عبد الله قائم وزيد وتقول لعل عبد الله قائم وزيدا فتنصب مع لعل وترفع مع إنّ لما أحدثته لعل من معنى الشك فى الكلام ولأن إنْ لم تحدث شيئاً وكان الكسائى يجيز إن عبد الله وزيدٌ قائمان وإن عبد الله وزيد قائمٌ والبصريون يجيزونه ويحكون ـ إن الله وملائكته يصلون على النبى ـ وينشدون:

ومن يكُ أمسى بالمدينة رحله ... فإنى وقيّارٌ بها لَغَرِيبُ(١)

وقالوا ـ فى المقيمين ـ بأقاويل قال بعضهم أراد بما أنزل اليك وإلى المقيمين وقال بعضهم وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين وكان الكسائى رحمه الله يرده إلى قوله ـ يؤمنون بما أنزل اليك ـ ويؤمنون بالمقيمين

---

(١) قاله ضابىء البرجمى

واعتبره بقوله فى موضع آخر ـ يؤمن للمؤمنين ـ أى بالمؤمنين وقال بعضهم هو نصب على المدح وقال أبو عبيدة هو نصب على تطاول الكلام وأنشد للخرنق :

لا يبعُدَنْ قومى الذين هُمُ　　سُمُّ العُداةِ وآفة الجُزُرِ
النازلينَ بكلّ مُعتَرَكٍ　　والطيبون معاقِدَ الأُزُرِ

ومما يشبه هذه الحروف ولم يذكروه قوله فى سورة البقرة ـ والموفُونَ بعهْدِهِمْ إذا عَاهَدُوا والصّابرينَ فى البأساء والضراء ـ والقراء جميعا على نصب الصابرين إلا عاصما الجحدرى فانه كان يرفع الحرف إذا قرأه وينصبه إذا كتبه للعلة التى تقدم ذكرها. واعتل أصحاب النحو للحرف فقال بعضهم هو نصب على المدح والعرب تنصب على المدح وعلى الذم كأنهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام كذلك قال الفراء وقال بعضهم أراد ـ وآتى المالَ على حُبّه ذَوِى القُرْبىٰ والتيامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرّقابِ وأقامَ الصّلاةَ وآتى الزّكاةَ والموفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء ـ وهذا وجه حسن لأن البأساء الفقر ومنه قول الله عز وجل ـ وأطْعِموا البائس الفقير ـ والضراء البلاء فى البدن عافانا الله من الزمانة والعلة فكأنه قال ـ وآتى المال على حبه ـ السائلين والطوافين والصابرين على الفقر والضراء الذين لا يسألون ولا يشكون وجعل المؤمنين وسطا بين المعطين نسقا على من آمن بالله، ومن ذلك قوله فى سورة الأنبياء عليهم السلام ـ وكذلك ننجى المؤمنين ـ كتب فى المصاحف نجى

المؤمنين بنون واحدة، وقرأها القراء جميعا بنونين إلا عاصم بن أبى النجود فانه كان يقرؤها بنون واحدة ويخالف القراء جميعا ويرسل الياء فيها على مثال فعل. فأما من قرأها بنونين وخالف الكتاب فانه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم فأسقطها كاتب المصحف لخفائها ونيته إثباتها. واعتل بعض النحويين لعاصم فقالوا: أضمر المصدر كأنه قال نجّي النجاء المؤمنين كما تقول ضرب الضرب زيدا ثم تضمر الضرب فتقول ضرب زيداً وكان أبو عبيدة يختار فى هذا الحرف مذهب عاصم كراهة أن يخالف الكتاب ويستشهد عليه حرفا فى سورة الجاثية كان يقرأ به أبو جعفر المدنى وهو قوله ـ ليُجْزَى قوما بما كانوا يكسبون ـ أى ليجزى الجزاء قوما، وأنشدنى بعض النحويين فى ذلك:

ولو ولدتْ قفيرةُ جَرْوَ كلْبٍ ... لسبَّ بذلك الجَرْوِ الكِلاَبا

ومن ذلك قوله عز وجل ـ فأصّدّق وأكُن من الصالحين ـ أكثر القرّاء يقرؤن ـ وأكن ـ بغير واو واعتل بعض النحويين فى ذلك بأنها محمولة على موضع فأصدق لو لم تكن الفاء فيه وموضعه جزم وأنشدوا:

فأبْلونى بليّتَكُمْ لعلى ... أُصالِحُكُمْ واستدْرجْ نَوِيّا[1]

فجزم أستدرج وحمله على موضع أصالحكم لولم تكن قبلها لعلى كأنه قال: أبلونى بليتكم أصالحكم وأستدرج، وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ فأصّدّق

(١) فى لسان العرب: قاله ابن الانبارى: وتكون لعل بمعنى كى على رأى الكوفيين وينشدون فأبلونى الخ

وأكون بالنصب ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو كما تسقط حروف المد واللين فى كلمون وأشباه ذلك . وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الاعراب فيها أو تكون غلطا من الكاتب كما ذكرت عائشة رضى الله عنها. فان كانت على مذهب النحويين فليس هاهنا لحن بحمد الله، وإن كانت خطأ فى الكتاب فليس على الله سبحانه ولا على رسوله ﷺ جناية الكاتب فى الخط ﴿قال أبو محمد﴾ ولو كان هذا عيبا يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع فى كتاب الله من طريق التهجى، فقد كتب فى الامام — إنْ هذان لساحران — بحذف ألف التثنية، وكذلك ألف التثنية تحذف فى هذا المصحف فى كل مكان مثل — قال رجلان — وآخران يقومان مقامهما — وكتب كتّاب المصحف الصلوة والزكوة والحيوة بالواو فاتبعناهم فى هذه الحروف خاصة على التيمن بهم، ونحن لا نكتب القطاة والقناة والفلاة إلا بالألف ولا فرق بين هذه الحروف وبين تلك ، وكتبوا الربا بالواو ، وكتبوا فما للذين كفروا، فمال هؤلاء ، وكتبوا ولقد جاءكم من نبائى المرسلين، أومن ورائى حجاب، بالياء فى الحرفين جميعا كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما إنما هى كسرة . وكتبوا — أم لهم شركٰؤ — وقال الضعفٰؤ بواو لا ألف قبلها. وكتبوا — أو أنْ نفعل فى أموالنا مانشٰؤ — بواو وفى موضع آخر مانشاء بغير واو ولا فرق، وكتبوا — أو لاأذبحنّه أو ليأتينى بسلطانٍ مبينٍ — بزيادة ألف وكذلك — ولا أوضعوا خلالكم — بزيادة ألف بعد لام ألف وهو كثير فى المصحف . وباقى هذا الباب لم أرتبه لما فيه

من الطعن على حمزة رحمة الله عليه، وكان أورعَ أهل زمانه مع خلو باقي الباب من فائدة ﴿غ﴾ (بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) يعني الأشراف يقال هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم ويقال أراد أن يذهب بسنتكم ودينكم والمثلى مؤنث أمثل مثل كُبْرَى وأكبر (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) أي حيلكم (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) أي جميعاً، وقال أبو عبيدة رحمه الله: الصَّفُّ المصلّى. وحكى عن بعضهم أنه، قال ما استطعت أن آتي الصف اليوم أي المصلَى (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أي أضمر خوفا (ولاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) أي حيث كان (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أي اصنع ما أنت صانعٌ (إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أي إنما يجوز أمرك فيها (وَيَبَسًا) أي يابساً يقال لليابس يَبَسٌ وَيَبْسٌ (لاَ تَخَافُ دَرَكًا) أي لحاقاً (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ) أي لحقهم (والطورُ) الجبل (فَقَدْ هَوَى) أي هلك يقال هوت أمّه أي هلكت (أَسِفًا) شديد الغضب. (ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) أي بقدر طاقتنا (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً) أي أحمالاً من حُلِيِّهِم (فَقَذَفْنَاهَا) يعنون في النار (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلاَ يَرَوْنَ) يعني موسى أي ترك هذا وذهب إلى آخر (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ) أي ما أمرك وما شأنك قال (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) يقال إنها قبضة من تراب موطىء فرس جبريل عليه السلام (فَنَبَذْتُهَا) أي قذفتها في العجل (وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) أي زينت لي (أَنْ تَقُولَ لاَمِسَاسَ) أي لا تخالط أحدا (وإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) يوم القيامة

(ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً) أى مقيما ، (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار ومن قرأ لَنَحْرُقَنَّهُ أراد لَنَبْرُدَنَّهُ (ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفاً) أى لنطيّرن تلك البرادة أو ذلك الرماد فى البحر (وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً) أى وسع علمه كل شىء (يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً) أى إثما (خَالِدِينَ فِيهِ) أى فى عذاب ذلك الاثم (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) أى بيض العيون من العمى قد ذهب السواد والناظر (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) أى يُسَارُّ بعضهم بعضا يقال خفت الدعاء وخفت الكلام إذا سكن (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أى رأيا . (فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً) والقاع من الأرض المستوى الذى يعلوه الماء والصفصف المستوى يريد لا نبت فيها والأمت النَّبْكُ (يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لاعِوَجَ لَهُ) لا يعدلون عنه ولا يعرجون فى اتباعهم (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ) أى خفيت (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً) أى إلا صوتا خفيا يقال هو صوت الأقدام (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) أى زلّت وأصله من عنيته أى حبسته ومنه يقال للأسير عان (وَلَا هَضْماً) أى نقيصة ويقال تهضمنى حقى وهضمنى ومنه هضيم الكشحين أى ضامر الجنبين كأنهما هضما وقوله ـ نخل طلعها هضيم ـ أى منهضم (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ من وحيه اليك وكان رسول الله ﷺ يبادر بقراءته قبل أن يتم جبريل عليه السلام جميع القول خوفا من النسيان (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ) أى ترك العهد (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) أى رأيا معزوما عليه (وَلَا تَضْحَى) أى لا يصيبك الضحاء وهو الشمس

(مَعِيشَةً ضَنْكاً) أى ضيقة (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) أى يبين لهم (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى) أي لولا أن الله جعل الجزاء يوم القيامة وسبقت بذلك كلمته لكان العذاب لزاما أى ملازما لايفارق ، مصدر لازمته وفيه تقديم وتأخير أراد لولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان العذاب لزاما.وفى تفسير أبى صالح لزاما آخذين (آنَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته واحدها إنىٌ و(زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى زينتها وهو من زهرة النبات وحسنه (لِنَفْتِنَهُمْ) أى لنختبرهم (نَسْأَلُكَ رِزْقاً) أى لانسألك رزقا لخلقنا ولا رزقا لنفسك

﴿غريب سورة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومشكلها﴾

(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ) أى اقتربت القيامة وهمْ فِى غفْلَةٍ (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أى ما آمنت بالآيات (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) لقولهم: ـ ماهذا إلاّ بشرٌ مثلكم ـ فقال الله تعالى وما جعلنا الأنبياء قبله أجساما لا يأكل الطعام ولا يموت فنجعله كذلك (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ) أى شرفكم وكذلك قوله تعالى ـ وإنّهُ لَذِكرٌ لكَ ولِقَوْمِكَ ـ (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلكناها وأصل القصم الكسر والكلام مجاز وقد تقدم فى سورة الكهف والمعنى قصمنا أهلها (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) أى يعدون وأصل الركض تحريك الرجلين يقال ركضت الفرس اذا أعديته بتحريكك رجليك فعدا ولا يقال فركض

ومنه قوله عز وجل ـ اركُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ ـ (ارْجِعُوا إلى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيه) أى إلى نعمكم التى أترفتكم وهو من المقلوب قال قتادة ومن الاستهزاء قوله عزوجل ـ فَلَمَّا أحَسُّوا بَأْسَنَا إذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ـ الآية (خَامِدِينَ) قد ماتوا فسكنوا وخمدوا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً) أى ولدا ويقال امرأة وأصل اللهو النكاح وهو مذكور فى المشكل فى باب الاستعارة ﴿قال أبو محمد﴾ ومنه قوله ـ (لو أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهوا لاتَّخذناهُ مِن لَدُنَّا إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) قال قتادة والحسن: اللهو المرأة وقال ابن عباس هو الولد والتفسيران متقاربان لأن امرأة الرجل لهو وولده لهو ولذلك يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع فكنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمتَ بَسْبَاسَةُ اليومَ أننى كبرتُ وأنْ لا يُحسن اللهوَ أمثالى

أى النكاح ويروى أيضا: وأن لايحسن السر أمثالى. وتأويل الآية أن النصارى لما قالت فى المسيح وأمه عليهما السلام ماقالت قال الله عز وجل ـ لو أردنا أن نتخذ لهوا ـ وولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من لدنا أى من عندنا ولم نتخذه من عندكم لو كنا فاعلين ذلك لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره وقال الله سبحانه (إنّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) يعنى الملائكة ﴿غ﴾ (فيَدْمَغُهُ) أى يكسره وأصل هذا لإصابة الرأس والدماغ بالضرب وهو مقتل (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) أى زائل ذاهب (لا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يعيون والحسير المنقطع به الواقف إعياء وكلالا

(وَهُمْ يُنْشِرُونَ) أي يحيون الموتى (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) أي حجتكم (هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ) يعني القرآن (وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) يعني الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل يريد أنه ليس في شيء منها أتخذ ولدا (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) أي لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى ثم يقولون عنه ونحوه قوله ـ لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ـ أي لا يقولون القول بالأمر والنهي قبله (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) أي خائفون (كَانَتَا رَتْقًا) أي كانتا شيئا واحداً ملتئما ومنه يقال هو يرتق الفتق أي يسده ومنه قيل للمرأة رتقاء (فَفَتَقْنَاهُمَا) يقال كانتا مصمتين ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات (سَقْفًا مَحْفُوظًا) من الشياطين بالنجوم (وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) أي عما فيها من الدلالة والعبر (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أي خلقت العجلة في الانسان وهو من المقلوب (وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) أي لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب لجاره (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يعني ما حول مكة هو أطرافها أي نفتحها عليك (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) مع هذا (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أي وهو غلام (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا) أي فتاتا وكل شيء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) أي يعيبهم وهذا كما يقال لئن ذكرتني لتندمن يريد بسوء (فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أي بمرأى من الناس لا يأتوا به خفية (ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ) أي ردوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق

(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَاهَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ) فحذف قالوا اختصارا ومن باب التعريض قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْئَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) أراد بل فعله الكبير إن كانوا ينطقون فسئلوهم فجعل النطق شرطا للفعل إن كانوا ينطقون فقد فعله وهو لا يفعل ولا ينطق ومن هذا الباب قوله ـ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ـ المعنى إنا لضالون أو مهتدون وإنكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن مخالفه الضال وهذا كما تقول للرجل يكذبك ويخالفك انّ أحدنا لكاذبٌ وأنت تعنيه فكذبته من وجه هو أحسن من التصريح كذلك قال الفراء ﴿غ﴾ (كُونِي بَرْدًا وسَلاَمًا) أى وسلامة أى لا تكون بردا مؤذيا مضرا (وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) دعا باسحاق فاستجيب له وزيد يعقوب نافلة كأنه تطوع من الله عز وجل وتفضل بالدعاء وإن كان كل بفضله (نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ) رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وهو إبل نفش ونفاش والواحد نافش وسرحت وسربت بالنهار (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) يعنى الدُّرُوعَ (لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) أى من الحرب (عَاصِفَةً) شديدة الحر وقال فى موضع آخر ـ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ـ أى لينة كأنها كانت تشتد إذا أراد وتلين إذا أراد ﴿ش﴾ (وَذَا النُّونِ اذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية (قال أبو محمد) يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا ويحملهم التنزيه لهم عليهم السلام على مخالفة كتاب الله واستكراه

التأويل وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التى لاتخيل عليهم أو على من علم منهم أنها ليست لتلك الألفاظ بشكل ولا لتلك المعانى بلفق كتأولهم فى قول الله عز وجل - وَعَصَى آدمُ ربَّهُ فَغَوى - أى بشم من أكل الشجر وذهبوا الى قول العرب غوى الفصيل اذا أكثر من اللبن حتى يبشم وذلك غوى بفتح الواو يغوى غيًّا وهو من البشم غوى بكسر الواو يغوى غوى قال الشاعر يذكر قوسا :

معطفة الأثناء ليس فصيلها ... برازئها دراً ولا ميّت غوى[1]

وأراد بالفصيل السهم يقول : ليس يرزؤها دراً ولا يموت بشما ولو وجدوا أيضا مثل هذا السنن فى عصى آدم لركبوه وليس فى غوى شىء إلا مافى عصى من معنى الذنب لأن العاصى لله تعالى التارك لأمره غاو فى حاله تلك والغاوى عاص والغى ضد الرشد كما أن المعصية ضد الطاعة وقد أكل آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عنها باستزلال إبليس وخدائعه إياه بالله والقسم به إنه لمن الناصحين حتى دلاه بغرور ، ولم يكن ذنبه عن ارصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله ﴿قال أبو محمد﴾ فنحن نقول : عصى وغوى كما قال الله تبارك وتعالى ، ولا نقول آدم عاص ولا غاو لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدم ولا نية صحيحة كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه : قد قطعه وخاطه، ولا تقول خائط ولا خياط حتى يكون معاودا لذلك الفعل معروفا به وكتأولهم فى قوله - وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بها - أنها همت بالمعصية

(١) قاله عامر المجنون يصف قوسا وسهما

وهم هو بالفرار منها ، وقال بعضهم : وهمّ بضربها والله تعالى يقول ـ لولا أنْ رأى بُرهَانَ رَبِّه ـ أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها أو أمسك عن ضربها ؟ هذا ما ليس به خفاء على غلط متأوله ، ولكنها همت منه بالمعصية هم نية واعتقاد ،وهم نبي الله صلى الله عليه وسلم هما عارضا بعد طول المراودة وعند حدوث الشهوة التي أتى أكثر الأنبياء عليهم السلام في هفواتهم منها ، وقد روى في حديث أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هم بالخطيئة غير يحي بن زكرياء عليهما السلام ، لأنه كان حصورا لا يأتي النساء ولا يريدهن . فهذا يدلك على أن أكثر زلات الأنبياء عليهم السلام من هذه الجهة وإن كانوا لم يأتوا في شيء منها فاحشة بنعم الله عز وجل عليهم منه لا إله إلا هو، فان الصغير منهم كبير لما آتاهم الله عز وجل من المعرفة واصطفاهم له من الرسالة وأقام لهم من الحجة ولذلك قال يوسف عليه السلام ـ وما أبرّيء نفسي ان النَّفْسَ لأَمَّارة بالسوء ـ يريد ما أضمره وحدث به نفسه عند حدوث الشهوة وقد وضع الحرج عمن هم بخطيئة ولم يعملها . وقالوا في قوله عز وجل ـ وذا النُّونِ اذ ذَهبَ مُغاضِبًا ـ أنه غاضب قومَه استيحاشا من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره يخرج مغاضبا لربه ولم يذهب مغاضبا لربه ولا لقومه لأنه بعث اليهم فدعاهم برهة من الدهر فلم يستجيبوا ،ووعدهم عن الله عز وجل فلم يرغبوا،وحذرهم بأسه فلم يرهبوا،وأعلمهم أن العذاب نازل عليهم مت ذكره لهم ، ثم اعتزلهم ينتظر هلكتهم فلما حضر الوقت أو قرب

فكر القوم واعتبروا فتابوا إلى الله تبارك وتعالى وأنابوا وخرجوا بالمراضع وأطفالها يجأرون ويضرعون فكشف الله عز وجل عنهم العذاب ومتعهم إلى حين . فان كان نبي الله عليه السلام ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا فانما راغم من استحق فى الله أن يراغم، وهجر من وجب أن يهجر، واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب، عافانا الله وأعاذنا بفضله. فبأى ذنب عوقب بالتقام الحوت والحبس فى الظلمات والغم الطويل ؟ وما الأمر الذى ألام فيه فنعاه الله تعالى عليه إذ يقول عزت كلمته ـ فالتقمه الحوت وهو مُليم ـ ؟ والمليم الذى أجرم جرما استوجب به اللوم . ولِمَ أخرجه من أولى العزم من الرسل حين يقول تبارك وتعالى لرسوله وعبده الكريم محمد ﷺ ـ واصبر لِحُكم ربِّكَ ولا تكُن كَصاحبِ الحُوتِ ـ؟ وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فهذا أغلظ مما أنكروا وأفحش مما استقبحوا كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا ؟ ولذلك انتجب وبه بعث وإليه دعا وما الفرق بين عدو الله ووليه إن كان وليه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون ﴿قال أبو محمد﴾ : والقول فى هذا أن المغاضبة المفاعلة من الغضب والمفاعلة تكون من اثنين تقول : غاضبت فلانا مغاضبة وتغاضبنا اذا غضب كل واحد منكما على صاحبه كما تقول ضاربته مضاربة وقاتلته مقاتلة وتضاربنا وتقاتلنا، وقد تكون المفاعلة من واحد فتقول غاضبت من كذا أى غضبت من كذا كما تقول سافرت وناولت وعاليت الرجل وشارفت الموضع وجاوزت وضاعفت وظاهرت وعاتبت ومعنى المغاضبة هاهنا الأنفة لأن الأنِفَ من

الشيء يغضب فتسمى الأَنَفَة غضبا والغضب أنفةً إذا كان كل واحد منهما بسبب من الآخر تقول غضبت لك من كذا وأنت تريد أنفت لك قال الشاعر :

غَضِبْتُ لكم أن تُسَاموا الكفاء بشحناء من رحم تُوصَلُ

الكفاء النقصان يقال منه فى مثل هذا الكفاء من الوفاء بشحناء أى التفاف الرحم كما قال النبى ﷺ « إنّ الرحم شحنة من الله » أى متصلة ملتفة بما يقرب اليه . يروى مرة غضبت لكم ومرة أنفت لكم، لأن المعنيين متقاربان وكذلك العبد أصله الغضب ثم قد تسمى الأَنفة عبداً قال الشاعر :

واعْبَدُ أن تهجى كُلَيْبٌ بدارم

يريد آنف وحكى أبو عبيد عن أبى عمرو الشيبانى أنه قال فى قول الله عز وجل — فأنا أول العابدين — هو من الغضب والأَنفة يفسر الحرف بمعنيين لتقاربهما فكأن نبى الله ﷺ لما أخبرهم عن الله عز وجل أنه منزل العذاب عليهم لأجل ثم بلغه بعد مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم خشى أن ينسب إلى الكذب ويعير به ويحقق عليه لا سيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه فدخلته الأنفة والحمية وكان مغيظا بطول ماعاناه من تكذيبهم وهزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله مشتهيا لأن ينزل بأس الله بهم، هذا إلى ضيق صدره وقلة صبره على ما صبر على مثله أولوا العزم من الرسل . وقد روى فى الحديث أنه كان ضيق الصدر فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، فمضى على وجهه مضى

الآبق النائي يقول الله سبحانه ـ وإنّ يونس لمن المرسلين إذْ أبقَ إلى الفُلْك المشحون ـ فظن أنْ لَنْ نقدرَ عليه ـ أى لن نضيق عليه وأنا نخليه ونهمله والعرب تقول فلان مقدر عليه فى الرزق ومقتر عليه بمعنى واحد أى مضيق عليه ومنه قول الله عز وجل ـ وأمّا إذا ما ابتَلاهُ فقَدرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ـ وقدّر بالتخفيف والتثقيل قال أبو عمرو بن العلاء : قدرَ وقترَ وقدّر وقتر بمعنى واحد أى ضيق فعاقبه الله عز وجل عن حميته وأنفته وإباقته وكراهته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه فى بطن الحوت. وفى رواية أبى صالح أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل كان أمره بالمسير إلى نينوى ليدعو أهلها بأمر شعياء النبي عليه السلام فأنف من أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحد غير الله عز وجل فخرج مغاضبا للملك فعاقبه بالتقام الحوت قال فلما قذفه الحوت بعثه الله سبحانه إلى قومه فدعاهم وأقام بينهم حتى آمنوا

﴿غ﴾ (وتَقَطَّعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى تفرقوا فيه واختلفوا (فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) أى لا يجحدها عمل (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ) أى حرام عليهم أن يرجعوا ويقال حرام واجب وقال الشاعر :

فانّ حراماً لا أرى الدّهر باكيا على شَجْوِهِ إلاَّ بكَيْتُ على عَمْرو

أى واجب ومن قرأ وحِرْمٌ فهو بمنزلة حَرَام يقال حِرْم وحرام كما يقال حِلٌّ وحلال (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) أى من كل نشز من الأرض وأكمة ينسلون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب إذا بادر والعسلان مثله (وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ) يعنى يوم القيامة

(حَصَبُ جَهَنَّمَ) أى ما ألقى فيها وأصله من الحصباء وهى الحصا ويقال حصبت فلانا رميته بالحصباء بتسكين الصاد وما رميت به فهو حَصَبٌ بفتح الصاد كما تقول نفضت الشجرة نفضا واسم ماوقع منها نفض واسم حصى الجمار حصب (السِّجِلِّ) الصحيفة (أنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالحونَ) يقال أرض الجنة ويقال الارض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ (آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ) أى أعلمتكم فصرت أنا وأنتم على سواء وإنما يريد نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك فاستوينا فى العلم وهذا من المختصر

غريب سورة الحج ومشكلها

(تَذْهَلُ كلُّ مرضعَةٍ) أى تسلوا عن ولدها وتتركه (كُتِبَ عَلَيه) أى على الشيطان (أَنَّهُ مَنْ تولاَّه فَأَنَّهُ يُضِلُّه) (مخلّقة) يعنى تامة (وغير مخلّقة) غير تامة يعنى السقط (لِنُبيّنَ لكُم) كيفَ نخلقكم فى الارحام (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) قبل بلوغ الهرم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُردُّ إلى أرْذَلِ العمُرِ) أى الخرف والهرم (وَتَرَى الأَرضَ هَامِدَةً) أى ميتة يابسة ومثل ذلك همود النار إذا طفئت فذهبت (اهتزَّتْ) أى بالنبات (وَربَتْ) انتفخت (وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أى من كل جانس حسن يبهج أى يسر وهو فعيل بمعنى فاعل يقال امرأة ذات خلق باهج (ثَانِيَ عِطفِهِ) أى متكبر معرض (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ) أى على وجه واحد ومذهب واحد (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيرٌ اطْمأَنَّ بِهِ وَإِنْ أصَابَتْهُ فِتنَةٌ

انقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ) أى ارتدى (لَبِئْسَ المَوْلَى) أى الولى (وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) أى الصاحب والخليل ﴿ ش ﴾ (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله ﷺ من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ألا يتمّ له أمره فقال الله عزت كلمته (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ) يعنى محمداً ﷺ على مذاهب العرب فى الاضمار لغير مذكور وهو يسمعنى أعده النصر والاظهار والتمكين إذ كان يستعجل به قبل الوقت الذى قضيت أن يكون ذلك فيه (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) أى بحبل (إلى السَّمَاءِ) يعنى سقف البيت وكل شيء علاك فأظلك فهو سماء والسحاب سماء يقول الله سبحانه ـ وأنْزلنَا مِنَ السَّماء مَاءً مُبَارَكا ـ وقال سلامة بن جندل يذكر قتل كسرى النعمان:

هو المدخِلُ النعمنَ بيتا سماؤُهُ ... نحورُ الفُيُولِ بعد بيتٍ مُسَرْدَقِ

يعنى سقفه وذلك أنه أدخله بيتا فيه فيلة فتوطأته حتى قتلته وقوله (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) قال المفسرون أى ليختنق (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظ) هل يذهب ذلك مافى قلبه وهذا كرجل وعدته شيئا مرة بعد مرة ووكدت على نفسك الوعد فهو يراجعك فى ذلك ولا تسكن نفسه إلى قولك فتقول له : إن كنت لاتثق بما أقوله فاذهب فاختنق يريد أجهدك . هذا معني قول المفسرين، وفيه وجه آخر على طريق الامكان وهو

أن تكون السماء هاهنا السماء بعينها لا السقف كأنه قال : فليمدد بسبب اليها أى بحبل ليرتقى اليه (ثم ليَقْطَع) حتى يخر فيهلك أى ليفعل هذا إن بلغ جهده (فينظر) هل ينفعه ومثله قوله لرسول الله ﷺ حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله تعالى أن يأتيهم بها فشق ذلك عليه صلوات الله وسلامه عليه ـ وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ـ يريد اجهد إن بلغ هذا جهدك * وروى عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح أن رجلا سأل ابن عمر وابن عباس وأبا هريرة رضى الله عنهم عن رجل قتل مؤمنا متعمداً هل له توبة فكلهم قال يستطيع أن يحييه هل يستطيع أن يبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء يريدون أنه لاتوبة له كما أن هذا لا يكون ﴿ وقال أبو عبيدة ﴾ (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ) أى يرزقه الله وذهب إلى قول العرب : أرض منصورة أى ممطورة وقد نُصِرت الأرضُ أى مطرت كأنه يريد من كان قانطاً من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك ـ ولينظر هل يذهبن كيده مايغيظ ـ أى حيلته غيظه لتأخر الرزق عنه ﴿ غ ﴾ (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ) أى الماء الحار (يُصْهَرُ بِهِ ما فِى بُطُونِهِمْ) أى يذاب يقال صهرت اليها الشحمة والصهارة ما أذيب من الألية (سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ) أى المقيم فيه والبادى هو الطارىء من البدو سواء فيه ليس المقيم فيه بأولى من النازح اليه (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ) أى من يرد فيه إلحاداً وهو الظلم والميل عن

الحق فزيدت الباء كما قال تعالى ـ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ـ وكما قال الشاعر : ــ

* سوء المحاجر لايقرأن بالسور * أي لايقرأن السور

وقال الآخر : ــ * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج *

(وإذْ بَوَّأْنَا لإبْرَاهِيمَ مَكَانَ البَيْتِ) أي جعلناه له بيتاً (يأْتُوكَ رِجَالاً) أي رَجَّالةً جمع راجلٍ مثل صاحب وصحاب (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أي رُكْبَاناً على ضمر من طول السفر (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) أي بعيد غامض (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) يقال التجارة (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) يوم التروية . وعرفة . ويوم النحر . ويقال أيام العشر كلها (ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) والتفثُ الأخذ من الشارب والأظفار ونتف الأبطين وحلق العانة و(البَيْتُ العَتِيقُ) سمي بذلك لأنه عتيق من التجبر فلا يتكبر عنده جبار (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ) يعني رمي الجمار والوقوف بجمع وأشباه ذلك وهي شعائر الله (وَأُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) يعني في سورة المائدة من الميتة والموقوذة والمتردية والنطيحة (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أشرك به في هلاكه وبعده عن الهدى (والسَّحِيقُ) البعيد ومنه يقال بعداً وسحقاً وأسحقه الله (صَوَافَّ) أي صفت أيديها وذلك إذا قرنت أيديها عند الذبح (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) أي سقطت ومنه يقال وجبت الشمس إذا غابت . و(القَانِعُ) السائل يقال قنع يقنع قناعة (والمُعْتَرُّ) الذي يعتر بك أي يلم بك لتعطيه ولا يسأل يقال اعترني وعرني وعراني واعتراني

(لَنْ ينالَ اللهَ لُحُومُهَا ولاَ دِماؤُهَا) كانوا إذا نحروا فى الجاهلية البُدُنَ نضحوا دماءها حول الكعبة فأراد المسلمون أن يصنعوا ذلك فأنزل الله عز وجل (لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُهَا ولاَ دِماؤُهَا) (لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ) للصابئين (وَبِيَعٌ) للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) يريد وبيوت صلوات يعنى كنائس اليهود (وَمَسَاجِدُ) المسلمين هذا قول قتادة وقال الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن والصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرؤن الزبور. والمجوس يعبدون الشمس والقمر. والذين أشركوا يعبدون الأوثان واليهود والنصارى (وقَصْرٍ مَشِيد) يقال هو المبنى بالشيد وهو الجص والمشيد المطول ويقال المشيد والمشيد جميعاً سواءٌ فى معنى المطول وقال عدى بن زيد : —

شاده مرمراً وجلله كلساً ... فللطير فى دراه وكور

يريد أعلاه بمرمر (مُعَاجِزِينَ) مسابقين (إلاَّ إذا تَمَنَّى) أى تلا القرآن (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فى أُمْنِيَّتِهِ) فى تلاوته (فَتُخْبِتَ لَهُ قلوبُهُمْ) أى تخضع وتذل و(عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) كأنه عقم من أن يكون فيه خير أو فرج للكافرين (جعلْنَا مَنْسكًا) أى عيداً (مالَمْ يُنَزِّل به سُلطَانًا) أى برهانا ولا حجة (يَكَادُونَ يَسْطُون بالذينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آياتِنَا) أى يتناولونهم بالمكروه من الشتم والضرب ﴿ش﴾ (يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا له) ثم قال (إنَّ الذينَ تدعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجتَمَعُوا لهُ) لم يأت بالمثل لأن فى الكلام معناه كأنه قال يا أيها الناس مثلكم

مثل عبدة آلهة اجتمعت لأن تخلق ذباباً فلم تقدر عليه وسلبها الذباب شيئا فلم تستنقذه منه (هُو اجْتَبَاكُم) أى اختاركم (وما جعل عليكم في الدِّين مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق (هُو سَمَّاكُم المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وفى هَذَا) يعنى القرآن (لِيكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عليكُمْ) أنه قد بلغكم (وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) بأن الرسل قد بلغتهم (فَنِعمَ المَوْلَى) أى الولى (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر مثل قدير وقادر وسميع وسامع .

﴿ غريب سورة المؤمنين ومشكلها ﴾

(اللَّغْو) باطل الكلام والمزاح (أولئك هُمُ الوارِثُون الَّذِينَ يرِثُون الفِرْدَوْسَ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ قال مجاهد هو البستان المخصوص بالحسن بلسان الروم ثم قال (هُمْ فيها خَالِدُون) فأنث ذهب إلى الجنة (مِنْ سُلالَةٍ) قال قتادة استل آدم (مِن طِينٍ) وخلقت ذريته من ماء مهين يقال للولد سلالة أبيه وللنطفة سلالة وللخمر سلالة ويقال إنما جعل آدم من سلالة لأنه سل من كل تربة (عَلَقَة) واحدة العلق وهو الدم (والمُضْغَةُ) اللحمة الصغيرة سميت بذلك لأنها بقدر مايمضغ كما يقال غرفة بقدر مايغرف (ثُمَّ أنْشأْنَاهُ خَلْقًا آخر) أى خلقناه بنفخ الروح فيه خلقا آخر (سَبْعَ طرائِقَ) سبع سموات كل سماء طريقة ويقال هى الافلاك كل واحد طريقة وإنما سميت طرائق بالتطارق لأن بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء إذا جعلت بعضه فوق بعض ويقال ريش طراف (وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ)

مثل الصباغ كما يقال دبغ ودباغ ولبس ولباس (فَاسْلُكْ فِيهَا) أى ادخل فيها يقال سلكت الخيط فى الابرة وأسلكته (وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) وسعنا عليهم حتى أترفوا والترفة منه ونحوها التحفة كأن المترف هو الذى يتحف (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) أى هلكى كالغثاء وهو ماعلا السيل من الزبد والقمش لأنه يذهب ويتفرق (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى) تتابع بفترة بين كل رسولين وهو من التواتر والأصل وتراً فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى والتخمة والتكلان (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) أى أخباراً وعبراً (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً) أى دليلا وعلما (والرَّبْوَةُ) الارتفاع وكل شيء ارتفع أو زاد فقد ربا ومنه الربا فى البيع (ذَاتِ قَرَارٍ) أى يستقربها للعمارة (وَمَعِينٍ) ظاهر يقال هو مفعول من العين كأن أصله معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل (يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) خوطب به النبي ﷺ وحده على مذهب العرب فى مخاطبة الواحد خطاب الجميع (إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى دينكم دين واحد وهو الاسلام وقد تقدم أن الأمة الدين والجماعة من الناس والصنف منهم ومن غيرهم والأمة الحين والامام والربانى والأمة أيضا القامة ولم يذكره أبو محمد قال الأعشى : —

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم

يعنى القامات (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى اختلفوا فى دينهم (زُبَراً) بفتح الباء جمع زبرة وهى القطعة ومن قرأ — زُبُراً — فانه أراد

جمع زبور أى كتبا (نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الخَيْرَاتِ) أى نسرع يقال سارعت إلى حاجاتك وأسرعت (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ من هٰذَا) أى فى غطاء وغفلة (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) قال قتادة ذكرُ الله تعالى ذكره (الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . والَّذِينَ هُمْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمِ لا يُشْرِكُونَ) ثم قال للكفار (بَلْ قُلُوبُهُم فى غَمْرَةٍ مِن هٰذَا) ثم رجع إلى المؤمنين فقال (ولهم أعمالٌ مِنْ دون ذلك) أى من دون الاعمال التى عدد (هم لها عاملون) (يَجْأَرُونَ) أى يضجون ويستغيثون بالله (عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) أى ترجعون القهقرى (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) يعنى بالبيت العتيق تفخرون به وتقولون نحن أهله وولاته (سَامِرًا) أى متحدثين ليلا والسمر حديث الليل وأصل السمر الليل قال ابن أحمد :

من دونهم إن جئتهم سمرا

أى ليلا ويقال هو جمع سامر كما يقال طالب وطلب وحارس وحرس ويقال هذا سامر الحى يراد المتحدثين منهم ليلا وسمر الحى (تَهْجُرُونَ) تقولون هجراً من القول وهو اللغو منه والهذيان وقال ابن عباس - تُهجِرون - بضم التاء وكسر الجيم فهذا من الهجر وهو السب والافحاش فى المنطق يريد سبهم النبى ﷺ ومن اتبعه (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ) أى يتدبرون القرآن (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بشرفهم (أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجاً) أى خراجا فهم يستثقلون ذلك (فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ) أى رزقه (عَن

الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ) أى عادلون يقال نكب عن الأمر أى عدل عنه
(وَلقدْ أخذْناهُمْ بِالْعَذَابِ) يريد نقص الأموال والثمرات (فَمَا استَكَانُوا
لِرَبِّهِمْ) أى ماخضعوا (حَتَّى إذَا فَتَحنا لَهُمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ)
يعنى الجوع (إذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) أى يائسون من كل خير (فَأَنَّى
تُسْحَرُونَ) أى تخدعون وتصرفون عن هذا (ادفَعْ بالّتى هِىَ أَحْسَنُ)
أى الحسنى من القول قال قتادة سلم عليه إذا لقيته (وَهَمَزَاتُ الشّيَاطِينِ)
نخسها وطعنها ومنه قيل للغائب همزة كأنه يطعن وينخس اذا غاب (والبَرْزَخُ)
مابين الدنيا والآخرة وكل شيء بين شيئين فهو برزخ ومنه فى قوله فى البحرين
ـ وجعل بينهما برزخا ـ أى حاجزا (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بكسر السين
أى تسخرون منهم (وَسُخْرِيا) بضمها تسخرونهم من السخرة (حَتَّى
أنْسَوْكُمْ ذِكْرِى) أى شغلكم أمرهم عن ذكرى (فَسْئَلِ الْعَادِّينَ)
أى الحساب (لا بُرهَانَ لَهُ بِهِ) أى لا حجة له به ولا دليل. ومن التناقض
والاختلاف الذى تحلوه فى مثل قوله تعالى ـ فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس
ولا جان ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا
يعملون ـ وقوله ـ فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يؤمئذ ولا يتسائلون ـ
وهو يقول فى موضع آخر ـ وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون ـ
﴿ قال أبو محمد ﴾ فالجواب فى ذلك أن يوم القيامة كما قال الله تبارك وتعالى
ـ مقداره خمسين ألف سنة ـ ففى هذا اليوم يسئلون وفيه لا يسئلون لأنهم
حيث يعرضون يوقفون على الذنوب ويحاسبون فاذا انتهت المسئلة ووجبت

الحجة ـ انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ـ وانقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدى فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار . وكذلك قال ابن عباس فى قوله ـ فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان ـ قال هو موطن لا يسئلون فيه ومثله ـ لا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ـ وقال ـ لاتختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد وهذا يوم لاينطقون ولا يؤذون لهم فيعتذرون ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ ويقول ـ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ـ والجواب عن هذا نحو الجواب الأول لأنهم يحتكمون ويدعى المظلمون على الظالمين فى تلك الحال يختصمون فاذا وقع القصاص وثبت الحكم قيل لهم لاتختصموا لدى ولا تنقطعوا ولا تعتذروا فليس ذلك بمغن عنكم ولا نافع لكم فيخسئون وروى عبدالرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلا جاء إلى عكرمة فقال أرأيت قول الله عز وجل ـ هذا يوم لاينطقون ـ وقوله ـ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ـ فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم الله عز وجل على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم فحينئذ لاينطقون وقوله تعالى ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ وهو يقول فى موضع آخر ـ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ـ ـ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ـ تقطعت الارحام وبطلت الانساب وشغلوا بأنفسهم عن التسائل ـ وصعق من فى السموات ومن فى الأرض

إلا من شاء الله ـ فاذا نفخ فيه أخرى قاموا ينظرون ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ وقالوا ـ من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ـ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنه وسترى باقى الباب فى سورة حم السجدة إن شاء الله عز وجل وهو المستعان لاشريك له

﴿ غريب سورة النور ومشكلها ﴾

(وَفَرَضْنَاهَا) أى فرضنا مافيها (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ) أى يدفعه عنها والعذاب الرجم ﴿قال أبو محمد﴾ قوله (جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أى بالكذب وقوله (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يعنى عائشة رضى الله عنها أى تؤجرون فيه أى عظمه قال الشاعر يصف امرأة : —

تنام عن كبر شأنها فاذا ... قامت رويدا تكاد تنغرف (١)

أى تنام عن عظم شأنها لأنها منعمة (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) أى بأمثالهم على مامر فى الاستعارة (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) أى هلا جاؤا عليه (فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ) أى خضتم فيه (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى تقبلونه وتلقونه أخذه من الولق وهو الكذب وبذلك قرأت عائشة رضى الله عنها (مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أى ما ظهر (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ) أى يطهر (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ) أى لا يحلف وهو يفتعل من الالية وهى اليمين وقرئت أيضا ولا يتأل على يتفعل (أَنْ يُؤْتُوا) أراد لا يؤتوا

---

(١) روايته: ما أنسي سلمى غداة تنصرف ... تمشي رويداً تكاد تنغرف

فحذف لا وكان أبو بكر رضوان الله عليه حلف ألا ينفق على مسطح وقرابته الذين ذكروا عائشة رضى الله عنها وقال أبو عبيدة رحمه الله (وَلَا يَأْتَلِ) هو يفتعل من ألوت تقول طالوت أن أصنع كذا وكذا وما آلوا جهدا قال النابغة الجعدى :

وأشمط عريانا يشد كتافه   يلام على جهد القتال وما ائتلا

أى ما ترك جهدا (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ) الدين هاهنا الحساب (الْخَبِيثَاتُ) من الكلام (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (والْخَبِيثُونَ) من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) من الكلام (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) يعنى عائشة رضى الله عنها وكذلك (الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ) على هذا التأويل (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا) والاستيناس أن يعلم من فى الدار تقول استأنست فما رأيت أحدا أى استعلمت وتعرفت ومنه ـ فان آنستم منهم رشدا ـ أى علمتم قال النابغة : ـ

كأن رحلى وقد زال النهار بنا   بذى الجليل على مستأنس وحد

يعنى ثورا أبصر شيئاً فهو فزع (بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ) أى بيوت الخانات (فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ) أى منفعة بالكن من الحر والبرد والستر والمتاع النفع (ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) يقال الدملج والوشاحان ونحو ذلك (إلاَّ مَاظَهَرَ مِنْهَا) يقول الكف والخاتم ويقال الكحل والخاتم (أَوْ إخْوَانِهِنَّ) يعنى الاخوة (أَوْ نِسَائِهِنَّ) يعنى المسلمات ولا ينبغى للمسلمة أن تتجرد بين يدى كافرة (أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الإرْبَةِ من الرِّجَالِ)

يريد الاتباع الذين ليست لهم إربة فى النساء أي حاجة مثل الخصي والخنثى والشيخ الهرم (أَو الطِّفْلِ) يريد الأطفال يدلك على ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) أى لم يعرفوها ولم يفهموها (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) أى لا يضربن بأحدى الرجلين على الأخرى ليصيب الخلخال الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) الأيامى من الرجال والنساء وهم الذين لا أزواج لهم يقال رجل أيم وامرأة أيم ورجل أرمل وامرأة أرملة ورجل بكر وامرأة بكر إذا لم يتزوجا ورجل ثيب وامرأة ثيب إذا كانا قد تزوجا (وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ) أى من عبيدكم يقال عبد وعباد وعبيد كما يقال كلب وكلاب وكليب (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) أى يريدون المكاتبة على أنفسهم من العبيد والاماء (فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أى عفافا وأمانة (وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ) أى اعطوهم وضعوا عنهم شيئا مما يلزمهم (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) أى لا تكرهوا الاماء على الزنا (لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى لتأخذوا من أجورهن على ذلك (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقال للاماء (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) إلى قوله (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أى بنوره يهتدى من فى السموات ومن فى الأرض (مَثَلُ نُورِهِ) فى قلب المؤمن (كَمِشْكَاةٍ) وهو الكوة غير النافذة (فِيهَا مِصْبَاحٌ) أى سراج المصباح فى قنديل القنديل كأنه من

شدة بياضه (كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) مضيء منسوبة إلى الدر ومن قرأ دريء بالهمز وكسر الدال فانه من الكواكب الدرارى وهن اللاتى يدرأن عليك أى يطلعن وتقديره فعيل من درأت أى دفعت بتوقد ذلك المصباح (زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) أى ليست فى مشرقة أبدا فلا يصيبها ظل ولا فى مقنأة أبداً فلا يصيبها الشمس ولكنها قد جمعت الأمرين فهى شرقية غربية يصيبها الشمس فى وقت ويصيبها الظل فى وقت وإذا كانت كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأكثر لنزلها وأصفى لدهنها. هذا لفظ الغريب ﴿وقال فى المشكل﴾ وهذا مثل ضربه الله عز وجل لقلب المؤمن وما أودعه بالايمان والقرآن من نوره فبدأ فقال (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) يعنى فى قلب المؤمن. كذلك. قال المفسرون وكان أبى بن كعب رحمه الله يقرأ (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِ المُؤْمِن) ﴿قال أبو محمد﴾ روى ذلك عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية: يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ يسرج به من شدة صفائه. وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (نُورٌ عَلَى نُورٍ) يعنى نور المصباح على نور الزجاجة والدهن (يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) ثم قال هذا المصباح (فى بُيُوتٍ) يعنى المساجد وذكر أهلها فقال (يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينا فتنقلب عما كانت عليه من الشك والكفر وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مغطاة عنه فتنقلب عما كانت عليه ونحوه ـ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك

غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ ﴿ قال أبو محمد ﴾ قد اشترك فى هذه الآية قول الكتابين أعنى المشكل والغريب فلم نسق لذلك نص المشكل إذ كان قريبا من قوله فى الغريب إلا أنه قال فى الغريب (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ) أى تنقلب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك والكفر وتتفتح فيه الأبصار من الاغطية والمعانى واحدة إلا أنا شرطنا سياقة مافى الكتابين جميعا والله الموفق للصواب ﴿ ش ﴾ ثم ضرب مثلا للكافرين فقال (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً) أى كالسراب يحسبه العطشان من البعد ماء يرويه (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) كذلك الكافر يحسب ماقدم من عمله نافعه حتى إذا جاءه أى مات لم يجد عمله شيئا لأن الله عز وجل قد أبطله بالكفر (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) أى عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) ثم ضرب مثلا آخر فقال تعالى (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) يريد أنه فى حيرة من كفره كهذه الظلمات (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا) فى قلبه (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) ﴿ غ ﴾ (السَّرَابُ) مارأيته من الشمس كالماء نصف النهار والإل مارأيته فى أول النهار وآخره الذى يرفع كل شىء (بِقِيعَةٍ) والقيعة القاع قال ذلك أبو عبيدة. وأهل النظر من أصحاب اللغة يذكرون أن القيعة جمع قالوا : القاع واحده مذكر وثلاثة أقواع والكثير منها قيعان وقيعة (وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ) قد صفت أجنحتها فى الطيران (يُزْجِي سَحَابًا) أى يسوقه (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) أى

بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) يعنى المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى من خلله (سَنَا بَرْقِهِ) ضوءه (يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) أى مقرين خاضعين (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا) وتم الكلام ثم قال:(طاعة معروفة) وأراد هى طاعة معروفة وفى هذا الكلام حذف للايجاز يستدل بظاهره عليه كأن القوم كانوا ينافقون ويحلفون فى الظاهر على مايضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هى طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيها نفاق وبعض النحويين يقولون الضمير فيها لتكن منكم طاعة معروفة (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أى أعرضوا (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ) أى على الرسول (مَا حُمِّلَ) من التبليغ (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) من القول أى ليس عليه ألا تقبلوا (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) يعنى العبيد والاماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) يعنى الأطفال (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ثم بينهن فقال (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ) يريد عند النوم ثم قال (ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) يريد هذه الاوقات لأنها أوقات التجرد وظهور العورة فأما قبل صلاة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار وأما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقائلة وأما بعد صلاة العشاء فلوضع الثياب عند النوم ثم قال (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ) أى بعد هذه الأوقات الثلاثة ثم قال (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) يريد أنهم خدمكم فلا بأس أن يدخلوا فى غير هذه الأوقات الثلاثة بغير إذن قال الله عز وجل - يطوف عليهم ولدان

مخلدون ـ أى يطوفون عليهم فى هـذه الخدمة وقال النبى ﷺ فى الهرة : « ليست بنجس إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات » جعلها بمنزلة العبيد والاماء (وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يعنى الرجال (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) يعنى العجز واحدها قاعد ويقال إنما قيل لها قاعد لقعودها عن المحيض والولد وقد تقعد عن المحيض والولد ومثلها يرجو النكاح أى يطمع فيه ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا أراها تسمت قاعدا إلا بالقعود لأنها إذا أسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة وأطالت القعود فقيل لها قاعد بلاهاء ليدل بحذف الهاء على أنه قعود كبر كما قالوا امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حبل وقالوا فى غير ذلك قاعدة فى بيتها وحاملة على ظهرها (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) يعنى الرداء (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بالرداء (خَيْرٌ لَهُنَّ) والعرب تقول امرأة واضع إذا كبرت فوضعت الخمار ولا يكون هذا إلا فى الهرمة قوله (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ) إلى قوله (جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً) ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى المشكل : كان المسلمون فى صدر الاسلام حين أمروا بالنصيحة ونهوا عن الخيانة ونزل عليهم ـ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ـ أى لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق وقوا النظر وأفرطوا فى التوقى وترك بعضهم موا كلة بعض فكان الأعمى لا يوا كل الناس لأنه لا يبصر الطعام فيخلو أن يستأثر ولا يوا كله الناس يخافون لضرره أن يقصر وكان الأعرج يتوقى ذلك لأنه يحتاج لزمانته أن يتفسح فى مجلسه

ويأخذ أكثر من موضعه ويخاف الناس أن يسبقوه لموضعه وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تعتري مع المرض من رائحة تتغير أو جرح يبض أو أنف يذن أو بول يسلس وأشباه ذلك فأنزل الله عز وجل ليس على هؤلاء حرج فى موا كلة الناس وهو معنى قول ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه . وأما عائشة رضى الله عنها فانها قالت : كان المسلمون يرغبون فى رسول الله ﷺ فى المغازى ويدفعون مفاتيحهم إلى الضمنى وهم الزمنى ويقولون لهم :قد أحللنا لكم أن تأكلوا فى منازلنا.فكانوا يتوقون أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية وإلى هذا يذهب الزهرى ثم قال (وَلاَ علىأنفُسِكُمْ أَنْ تأْكلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ) أراد ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم وقال بعضهم أراد أن تأكلوا من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم يدلك على هذا أن الناس يتوقون أن يأكلوا من بيوتهم وأنه عدد القرابات وهم أبعد نسبا من الولد ولم يذكر الولد . وقال المفسرون فى قول الله جل وعز ـ تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب ـ أراد ما أغنى عنه ماله وولده فجعل الولد له كسباً ثم قال (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أو بُيُوتِ إخْوَانِكُمْ) يريد إخوتكم (أو بيُوتِ أخَوَاتِكُمْ أَوْ بيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أو بُيُوت أَخْوالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاَتِكمْ أَوْ مامَلَكْتُمْ مفَاتِيحَهُ) يعنى العبيد لأَن السيد يملك منزل عبده هذا على تأويل ابن عباس وقال غيره :

أو ما خزنتموه لغيركم يريد الزمنى الذين كانوا يخزنون للغزاة (أَوصَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا) من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا من غير أن تتزودوا أو تحملوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أو فرادى وإن اختلفتم فكان منكم الزهيد والرغيب والصحيح والعليل وهذا من رخصته للقرابات وذوى الأَواصر كرخصته فى الغرباء والأَباعد لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مر فى سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها وكما أوجب للمسافر على من مرّ به الضيافة توسعة منه عز وجل ولطفاً بعباده ورغبة بهم عن دناءة الأَخلاق وضيق النظر ﴿غ﴾ (لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً) أى مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتاً) أى مفترقين وكأَن المسلمين تحرجوا من مواكلة أهل الضر خوفاً من أن يستأْثروا عليهم ومن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس فى مأكلهم وزيادة بعضهم على بعض (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ) قال ابن عباس : يريد المساجد إذا دخلتها فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال الحسن : يسلم بعضكم على بعض كما قال تعالى ـ ولا تقتلوا أنفسكم ـ (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جَامِعٍ) يريد يوم الجمعة لَمْ يَقُومُوا إلا باذنه ويقال بل نزل هذا فى حفر الخندق وكان قوم يتسللون منه بلا إذن (لاَتَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا) يعنى فخموه وشرفوه وقولوا يارسول الله يانبى الله ونحو هذا ولا تقولوا يامحمد كما يدعو بعضكم بعضا بالاسماء (قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً) أى من

يستتر بصاحبه فى استلاله ويخرج يقال لاذ فلان بفلان واللواذ مصدر لاوذت فعل اثنين ولو كان مصدرا للذت لكان لياذاً هذا قول الفراء

﴿غريب سورة الفرقان ومشكلها﴾

قال أبو محمد (تَبَارَكَ) من البركة (وَالنُّشُورُ) الحياة بعد الموت (افْتَرَاهُ) تخرصه (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً) أى تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون وقال قوم بل يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم ويعتبروا ذلك بقول الله عز وجل ـ ولهم فيها زفير وشهيق ـ واعتبر الأولون بقوله تعالى فى سورة الملك ـ تكاد تميز من الغيظ ـ وهذا أشبه التفسيرين إن شاء الله بما أريد لأنه قال سبحانه ـ سمعوا لها ـ ولم يقل سمعوا فيها ولا منها (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً) أى بالهلكة كما يقول القائل واهلاكاه (نَسُوا الذِّكْرَ) يعنى القرآن (وَكَانُوا قَوْماً بُوراً) أى هلكى هو من بار يبور إذا هلك وبطل يقال بار الطعام إذا كسد وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من بوار الأيم قال أبو عبيدة رحمه الله يقال رجل بور وقوم بور ولا يجمع ولا يثنى واحتج بقول الشاعر :

يارسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

وقد سمعنا برجل بائر ورأيناهم ربما جمعوا فاعلا على فعل نحو عائذ وعوذ وشارف وشرف (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) قال يونس الصرف الحيلة من قولهم إنه يتصرف فأما قولهم ما يقبل منه صرف ولا عدل فيقال إن

العدل الفريضة والصرف النافلة سميت صرفا لأنها زائدة على الواجب وقال أبو إدريس الخولاني: من طلب صرف الحديث يلتقي به إقبال وجوه الناس اليه لم يرح رائحة الجنة. أي طلب تحسينه بالزيادة فيه ورواية أبي صالح الصرف الدية والعدل رجل مثله كأنه يدى ولا يقبل منه أن يفتدى برجل مثله وعدله ولا أن يصرف عن نفسه بدية ومنه قيل صيرفي وصرف الدراهم بدنانير لأنك تصرف هذا إلى هذا (وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) أي يكفر (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) يعني الشريف للوضيع والوضيع للشريف (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) أي لا يخافونا (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) أي حراما محرما أن تكون لهم بشرى وإنما قيل للحرام حجر لأنه حجر عليه بالتحريم يقال حجرت حجرا واسم ماحجرت عليه حجر (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) أي عمدنا اليه (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) وأصل الهباء المنثور مارأيته في الكوة مثل الغبار من الشمس واحدها هباءة والهباء المنبث ماسطع من سنابك الخيل وهو من الهبوة والهبوة الغبار (تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ) أي تتشقق عن الغمام وهو سحاب أبيض فيما يذكر (يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) أي سببا ووصلة ومن باب الكناية قول الله عز وجل (يَالَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) ﴿قال أبو محمد﴾ ذهب هؤلاء وقوم من المتسمين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه وقالوا لم كنى عنه؟ وإنما يكنى هذه الكناية من يخاف المباراة ويحتاج إلى المراجاه وقال الآخرون

بل كان هذا الرجل مسمى فى هذا الموضع فغير وكنى عنه وذهبوا إلى أنه عمر رضى الله عنه وتأولوا الآية فقالوا (يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ) يعنى أبا بكر رضوان الله عليه يقول (يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) يعنى محمداً ﷺ (يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِى لم أَتَّخِذْ فُلاَنَاً خَلِيلاً) يعنى عمر (لَقَدْ أَضَلَّنِى عن الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى) يعنى علياً رضى الله عنه ﴿قال أبو محمد﴾ ونقول فى الرد على أولئك : إذا كان غلطهم من جهة قد يغلط فى مثلها من رق علمه ، فأما هؤلاء ففى قولهم ما أنبأ عن نفسه ودل على جهل متأوله كيف يكون على رضى الله عنه ذكراً ؟ وهل قال أحد إن أبا بكر لم يسلم ولم يتخذ باسلامه مع الرسول سبيلا ؟ وليس هذا التفسير بنكر من تفسيرهم وما يدعونه من علم الباطل كادعائهم فى الجبت والطاغوت أنهما رجلان وأن الخمر والميسر أخوان وأن العنكبوت غير العنكبوت وأن النحل غير النحل فى أشباه كثيرة من سخفهم وجهالاتهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير هذه الآية : إن عقبة بن أبى معيط صنع طعاماً ودعا أشراف أهل مكة وكان رسول الله ﷺ فيهم فامتنع من أن يطعم أو يشهد عقبة بشهادة الحق ففعل ذلك فأتاه أبىّ بن خلف وكان خليله فقال : صبأت ؟ قال لا ولكن دخل علىّ رجل من قريش فاستحييت أن يخرج من منزلى ولم يطعم فقال ما كنت لأرضى حتى تبصق فى وجهه وتفعل وتفعل ، ففعل ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية عامة وهذان الرجلان سبب نزولها ، كما أنه قد كانت الآية والآى تنزل فى القصة تقع وهى لجماعة الناس ، والمفسرون على أن الآية نزلت فى

هذين الرجلين وإنما يختانون فى ألفاظ القصة ، فأراد الله عز وجل بالظالم كل ظالم فى العالم، وأراد بفلان كل من أطيع بمعصية الله، وأرضى بأسخاط الله ولو نزلت هـذه الآية على تقـديرهم فقال تعالى (وَيَوْمَ يَعضُّ الظَّالِمُ) وهامان وأبى بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة والمغـيرة وفلان بالأسماء على أيديهم يقولون: ياليتنا لم نتخذ فرعون ونمروذ وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل والأسود وفلانا بالاسماء، لطال هذا وكثر وثقل ولم يدخل فيه من تأخر بعد نزول القرآن من هذا الصنف، وخرج من مذاهب العرب، بل عن مذاهب الناس فى كلامهم. فكان فلان كناية عن جماعة هذه الاسماء وقد يقول القائل ماجاء إلا فلان بن فلان يريد أشراف الناس المعروفين والشاعر[1] يقول :—

* فى لجةٍ أمْسِكْ فلاناً عن فُلِ *

يريد أمسك فلانا عن فلان ولم يرد رجلين بأعيانهما وإنما أراد أنهم فى غمرة الشر وصخبته، والحجزة تقول لهذا أمسك ولهذا كف، والظالم دليل على جماعة الظالمين كقوله عز وجل — ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا — يريد جماعة الكافرين. تم باب الكناية بحمد الله ﴿غ﴾ (إنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هٰذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً) هجروا فيه أى جعلوه كالهذيان والهجر الاثم يقال فلان يهجر فى منامه أى يهذى (وَأَصْحَابَ الرسِّ) الرس المعدن قال الجعدى : *تنابلةٌ يحفرون الرِّساسا*

أى آبار المعادن وكل ركية تطوى فهى رس (تَبَّرْنَا تَتْبِيرا) أى

(١) هو أبو النجم . وصدر البيت : تدافع الشيب ولم تقتل

أهلكنا ودمرنا (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) يقول يتبع هواه ويدع الحق فهو له كالاله (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) أى كفيلا وقيل حافظا ﴿ ش ﴾ (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) إلى قوله (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) ﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن المشكل امتداد الظل ما بين الفجر إلى طلوع الشمس كذلك قال المفسرون ، ويدلك عليه أيضا قوله فى وصف الجنة ـ وظل ممدود ـ أى لا شمس فيه كأنه ما بين هذين الوقتين (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) أى مستقرا دائما كظل الجنة التى لا تنسخه الشمس (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) يقول : لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه، وكل الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة ، ولولا الحق ما عرف الباطل، وهكذا سائر الألوان والطعوم. قال الله سبحانه ــ ومن كل شىء خلقنا زوجين ــ يريد ضدين ذكرا وأنثى وأسود وأبيض وحلوا وحامضا وأشباه ذلك (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا) يعنى الظل بعد غروب الشمس، وذلك أن الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود وذلك وقت قبضه وقوله (قَبْضًا يَسِيرًا) أى خفيا لأن الظل بغروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض الله ذلك قبضا خفيا شيئا بعد شىء، ويعقب كل جزء منه بجزء من سواد الليل حتى يذهب به، فدل بهذا الوصف على قدرته ولطفه فى معاقبته بين الظل والشمس والليل بمصالح عباده وبلاده. وبعضهم يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه ويجعل قوله ـ قبضا يسيرا ـ أى سهلا خفيفا عليه

وهو وجه غير أن التفسير الأول أجمع للمعاني وأشبه بما أراد ﴿غ﴾ (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لباساً) أى سترا (والنَّوْمَ سُبَاتًا) أى راحة وأصل السبت المتمدد كما تقدم (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورا) أى ينشرون فيه (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) يعنى المطر يسقى أرضا ويترك أرضا (وَجَاهِدْهُم بِهِ) أى بالقرآن (وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أى خلاهما، يقال مرج السلطان الناس إذا خلاهم ويقال: امرج الدابة إذا رعاها (والفُرَاتُ) العذب (والأُجاجُ) أشد المياه ملوحة وهو الذي يخالطه مرارة، ويقال ماء ملح ولا يقال مالح (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً) أى حاجزا وكذلك الحجز والحجاز لئلا يختلطا (خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً) يعنى من النطفة (فَجَعَلَهُ نَسَباً) يعنى قرابة النسب (وَصِهْراً) يعنى قرابة النكاح (ظَهِيراً) أى عونا (جَعَلَ الليْلَ والنهَارَ خِلْفَةً) أى يخلف هذا هذا قال زهير: —

بها العين والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

الريم ولد الظبي وجمعه آرام إذا ذهب فوج جاء فوج (وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ) أى عبيد الرحمن نسبهم اليه والناس جميعا عبيده لاصطفائه إياهم كما يقال بيت الله والبيوت كلها لله وناقة الله (يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً) أى مشيا رويدا (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالوا سَلَاماً) أى سدادا من القول لارفث فيه ولا هجر (كَانَ غَرَاماً) أى هلكة (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يلْقَ أثَاماً) أى عقوبة (مَرُّوا كِرَاما) لم يخوضوا فيه وأكرموا أنفسهم عنه (لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانا) أى لم يتغافلوا عنها فكأنهم لم يسمعوها

عمى لم يروها . ومن المشكل (قُلْ مَا يَعْبَوُ بِكُمْ رَبِّى) ﴿قال أبو محمد﴾ فى هذه الآية مضمر وله أشكلات أى مايعبؤ بعذابكم ربى لولا ماتدعونه من دونه من الشريك والولد، يوضح ذلك قوله عز وجل (فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاما) أى يكون العذاب لمن كذب ودعا من دونه إلها لازما ومثله من المضمر قول الشاعر : —

من شايد لى النفس فى هوةٍ ضنكٍ ولكن من له بالمضيق

أراد ولكن من له بالخروج من المضيق وقال الله عز وجل ـ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ـ أى من كان يريد علم العزة لمن هى فانها لله .

﴿غريب سورة الشعراء ومشكلها﴾

﴿قال أبو محمد﴾ (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم) أى من كل جنس حسن (وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ) أى عندى ذنب (أَنَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الرسول يكون بمعنى الجميع كما يكون الضيف (قَالَ هُؤُلاءِ ضَيْفِي) وكذلك الطفل قال يخرجكم طفلا قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالة وأنشد :

لقد كذب الواشون مابحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِين) للنعمة (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) قال أبو عبيدة يعنى من الناسين واستشهد بقوله عز وجل فى موضع آخر ـ أن تضل احداهما ـ أى تنسى فتذكرها الأخرى (عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) اتخذتهم عبيداً (أَرْجِهْ وأَخَاه) أى أخره وأخاه

(قَالُوا لَا ضَيْرَ) هو من ضاره يضوره ويضيره بمعنى ضره وقد قرىء ـ وإن تصبروا وتتقوا لا يضِرْكم كيدهم شيئا ـ يعنى لا يضرُّكم شيئا (إنَّ هٰؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) أى طائفة (فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) مصبحين حين شرقت الشمس أى طلعت، يقال أشرقنا أى دخلنا فى الشروق كما يقال أمسينا وأصبحنا إذا دخلنا فى المساء والصباح ، ومنه قول العرب فى الجاهلية أشرق ثبير كما نغير ، أى ادخل فى شروق الشمس (والطَّوْدُ) الجبل (وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ) قال الحسن أهلكنا وقال غيره جمعنا أراد جمعناهم فى البحر حتى غرقوا قال ومنه قيل ليلة المزدلفة أى ليلة الازدلاف وهو الاجتماع ولذلك قيل للموضع جمع ،ويقال أزلفنا قدمنا وقربنا ، ومنه أزلفك الله أى قربك ويقال أزلفنى كذا عند فلان أى قربنى منظراً، الزلف المنازل والمراقى لأنها تدنو بالمسافر والراقى والنازل ، وإلى هذا ذهب قتادة فقال قربهم الله من البحر حتى أغرقهم فيه ومنه ـ وأزلفت الجنة للمتقين ـ أى أدنيت وكل هذه التأويلات متقاربة يرجع بعضها إلى بعض (إلاَّ مَن أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم) أى خالص من الشرك (فَكُبْكِبُوا فِيهَا) أى ألقوا على رؤسهم وأصل الحرف كببوا من قولك كببت الاناء فأبدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع ثلاث باآت كما قالوا كمكموا من الكمة وهى القلنسوة والاصل كمموا (فَافْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) أى احكم بينى وبينهم واقض ومنه قيل للقاضى الفتاح (وَالْفُلْكُ الْمَشْحُونِ) المملوء ويقال شحنت الأناء إذا ملأته (الرِّيعُ) الارتفاع من الأرض جمع ريعة وقال ذو الرمة

يصف بازيا :-

طِراق الخوافى واقعٌ فوق رِيعةٍ   ندى ليله فى ريشه يترقرق

والريع أيضا الطريق قال المسيب بن علس يذكر ظعنا

فى الآل يخفضها ويرفعها   ريع يلوح كأنه سَحْلُ

والسحل الثوب الأبيض شبه الطريق به (والآية) العلم (والمصانع) البناء واحدها مصنعة (لعلّكُمْ تَخلُدُون) أى كما تخلدوا وكأن المعنى أنهم كانوا يستوقفون من البناء والحصون ويذهبون إلى أنها تحصنهم من أقدار الله تعالى (وَإِذَا بَطَشتُمْ بَطَشتُمْ جبّارِين) يقول إذا ضربتم بالسوط ضربتم ضرب الجبارين وإذا قتلتم قتلتم (إنْ هذَا إلاّ خُلُقُ الأَوّلين) أراد اختلاقهم وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته إذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات أحاديث الخلق ومن قرأ (خَلْق الأَوّلين) أراد عادتهم وشأنهم (طَلعُهَا هَضِيمٌ) والهضيم الطلع قبل أن تنشق عنه القشرة وتنفتح، يريد أنه منضم مكتنز ومنه قيل رجل أهضم الكشحين إذا كان منضمهما (فَرِهين) أشرين بطرين، ويقال الهاء فيه مبدلة من الحاء أى فرحين والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى - إن الله لا يحب الفرحين - أى الأشرين ومن قرأ (فارِهينَ) فهى لغة أخرى يقال فَرِهٌ وفارِهٌ كما يقال فرح وفارح ويقال فارهين حاذقين (إنّمَا أنْتَ مِنَ المُسَحّرِينَ) أى من المعللين بالطعام والشراب يريدون إنما أنت بشر وقد تقدم ذكر هذا (لَهَا شِربٌ) أى حظ من الماء (القَالِينَ) أى المبغضين يقال قليت الرجل أى أبغضته (الأَيْكَةِ)

الغيضة وجمعها أيك (وَالْجِبِلَّةَ) الخلق يقال جبل فلان على كذا وكذا أى خلق قال الشاعر :ـ

والموتُ أعظمُ حادثٍ مما يمرُّ على الجبلّة

(فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّماءِ) أى قطعة من السماء يقال كسف وكسفة كما يقال قطع وقطعة وكسف جمع كسفة كما يقال قطع (أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) أى علامة (عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ) يقال رجل أعجم إذا كانت فى لسانه عجمة وإن كان عربى النسب ورجل عجمى إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أدخلناه (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ) عن الاستماع بالزجر وقوله (يُلْقُونَ السَّمْعَ) أى يسترقونه (يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قوم يتبعونهم يتحفظون سب النبى ﷺ ويروونه (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) أى فى كل واد من القول وفى كل مذهب (يَهِيمُونَ) يذهبون كما تذهب البهائم على وجهها

﴿غريب سورة النمل ومشكلها﴾

(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ) أى يلقى عليك فتلقاه أنت فتأخذه (وَالشِّهَابِ) النار والشهاب الكوكب فى موضع آخر (وَالْقَبَسِ) النار يقال قبست النار قبسا واسم ماقبست قبس (الْجَانُّ) الحية التى ليست بعظيمة (وَلَمْ يُعَقِّبْ) أى لم يرجع ويقال لم يلتفت يقال كر على القوم وما

عقب ، ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب (يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّى لا يَخَافُ لَدَىّ الْمُرْسَلُون إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ) قد تقدم فى المشكل أن الاستثناء لم يقع من المرسلين وإنما وقع من معنى مضمر فى الكلام كأنه قال لا يخاف . هذا قول الفراء وهو يبعد عند أبى محمد لأن العرب إنما تحذف من الكلام مايدل عليه مايظهر،وليس فى ظاهر هذا الكلام على هذا التأويل دليل على باطنه قال : والذى فيه عندى أن موسى ﷺ كان مستشعراً خيفة أخرى من ذنبه فى الرجل الذى وكزه فقضى عليه فقال (إلاّ مَن ظَلَمَ ثُمّ بَدّلَ حُسْنًا) أى توبة وندما (فَإِنّهُ لا يَخَافُ) وإنى غفوررحيم.وبعض النحويين يجعل إلا من ظلم بمعنى ولا من ظلم كقوله عز وجل ـ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ـ على مذهب من تأول هذا فى إلا (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ) أى هذه الآية مع تسع آيات (مَنْطِقَ الطّيرِ)قال قتادة النمل من الطير والنمل من الحكل والحكل مالا يسمع له صوت قال رؤبة :

لو كنتُ قَدْ أُوتيتُ علم الحُكْلِ عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلام النمـلِ [1]

الحكل صغار النمل وقال العمانى يمدح رجلا

وَيَفْهم قولَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرّةً تُسَاوِدُ أخرى لَمْ يفته سوادُها

والسواد السرار جعل قولها سرارا لأنها لا تصوت ﴿غ﴾ (فَهُم

(١) قال فى لسان العرب : نسبه الأزهرى لرؤبة ، وقال ابن برى الرجز للعجاج وصوابه: والصخر مبتل كطين الوحل أو كنت قد أوتيت علم الحكل

كنت رهين هرم أو قتل

يُوزَعُونَ) أى يدفعون وأصل الوزع الكف والمنع ويقال وزعت الرجل اذا كففته ووازع الجيش هو الذى يكفهم عن التفرق ويرد من شذ منهم وقوله (رَبِّ أَوْزِعْنِى) أى ألهمنى ، وأصل الايزاع الاغراء بالشىء يقال أوزعته بكذا وكذا أى أغريته ، وهو موزع بكذا ومولع بكذا ومنه قول أبى ذؤيب فى الكلام

أُولَى سَوَابِقِهَا قَرِيباً يُوزَعِ

أى يغرى بالصيد (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً) يقال نتف الريش (أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أى بعذر بين (عَرْشٌ عَظِيمٌ) أى سرير (الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) أي المستتر فيهما وهو من خبأت الشىء إذا أخفيته وقالوا خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات (أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) أى شريف بشرف صاحبه ويقال بالخاتم (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَىَّ) من العلو أى لاتتكبروا (لَاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا) أى لا طاقة (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) أى شديدوثيق وأصله عفر زيدت التاء فيه يقال عفريت نفريت وعفرية نفرية وعفارية ، ولم أسمع بنفارية (قَبْلَ أَن تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) أى من مجالسك الذى قعدت فيه للحكم قال الله عز وجل ـ إن المتقين فى مقام أمين ـ أى فى مجلس ويقال للمجلس مقام ومقامة وقال فى موضع آخر ـ فى مقعد صدق ـ أى مجلس وقوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قيل فى تفسير أبى صالح قبل أن يأتيك الشىء من

مدى البصر ويقال بل أراد قبل أن تطرف (فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَه) أى رأى العرش (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أى غيروه ويقال نكرت الشيء فتنكر أى غيرته فتغير (الصَّرْحُ) القصر وجمعه صروح ومنه قول الهذلى:

يَحْسِبُ أعلامهُنّ الصُّرُوحا (١)

ويقال الصرح بلاط اتخذ لها من قوارير وجعل تحته ماء وسمك (وَالمَرّدُ) الأملس يقال مردت الشيء إذا بلطته وملسته ، ومن ذلك الأمرد الذى لا شعر فى وجهه ، ويقال للرملة التى لا تنبت مرداء،ويقال المرد المطول ومنه قيل لبعض الحصون مارد ، ويقال فى مثل تمرد مارد وعز الابلق (قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى تطيرنا بك وتشاءمنا بك ، فأدغم التاء فى الطاء وأثبت الالف ليسلم السكون لما بعدها (قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ) أى ليس ذلك منى وإنما هو من الله (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) أى تبتكون (تقاسموا باللهِ) أى تحالفوا بالله (لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهله) أى لنهلكنهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَاشَهِدْنَا مَهْلِكَهُمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (الْحَدَائِقُ) البساتين واحدها حديقة سميت بذلك لأنها يحدق عليها أى يحاط ومنه حدقت بالقوم إذا أحطت بهم (ذَاتَ بَهْجَةٍ) أى ذات حسن (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ) متى (يُبْعَثُونَ بَلْ ادّرَكَ عِلْمُهُمْ فِى الآخِرَةِ) أى تدارك ظنهم فى الآخرة وتتابع بالقول والحدس ﴿ وفى المشكل ﴾ المعنى وما يشعرون متى يبعثون إلا بتتابع الظنون فى علم الآخرة فهم يقولون

---

(١) نسبه صاحب اللسان إلى أبى ذؤيب . وصدره : على طرق كنحور الظبا

تارة انها تكون وتارة انها لاتكون والى كذاتكون ، وما يعلم غيب ذلك إلا الله ﴿ والكلام فى كتاب الغريب ﴾ فى هذه الآية على حاله فى المشكل إلا لفظا يسيرا كتبناه(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) أى من علمها وكان ابن عباس رضى الله عنه يقرؤها ـ بل ادارك علمهم ـ وهذه القراءة أشد إيضاحا للمعنى لأنه قال : وما يشعرون متى يبعثون ثم قال بل تداركت ظنونهم فى علم الآخرة فهم يحدسون ولا يدرون (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ) أى تبعكم واللام زائدة كأنه قال ردفكم وقيل فى التفسير دنا لكم (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) أو وجبت الحجة (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يحبس أولهم على آخرهم (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً) أى واقفة (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) هذا إذا نفخ فى الصور يريد أنها تجمع وتسير فهى لكثرتها كأنها جامدة وقد ذكره فى صدر المشكل فيما جمع الكثير من المعانى فى القليل من اللفظ نحو ـ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ـ ونحو ـ أخرج منها ماءها ومرعاها ـ كيف دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح ، لأن النار من العيدان والملح من الماء. ينبئك أنه أراد ذلك قوله ـ متاعا لكم ولأنعامكم ـ ومنه قوله أيضا ـ ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب ـ يريد ان سافك الدم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل كان فى القصاص حياة وهو قتل وقد ذكر فى سورة الاعراف بأشبع من هذا وسنذكر باقى الباب فيما

نستقبل من الكتاب إن شاء الله عز وجل

—﴿ غريب سورة القصص ومشكلها ﴾—

(مِنْ نَبَإِ مُوسَى) أى من خبره (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) أى فرقا وأصنافا فى الخدمة ﴿قال أبو محمد﴾ (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) يعنى بنى إسرائيل (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) للأرض (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) أى ألقينا فى قلبها ومثله ـ وإذ أوحيت إلى الحواريين ـ وقد تقدم أن الوحى كل مادلات عليه من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) أى فى البحر (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) لم يلتقطوه فى وقتهم ذلك لهذه العلة وإنما التقطوه ليكون لهم ولدا بالتبنى فكان عدوا وحزنا فاختصر الكلام (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا) قال أبو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يقتل ، أو قال لم يفرق وهذا من أعجب التفسير كيف يكون فؤادها من الحزن فارغا فى وقتها ذلك والله سبحانه يقول (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون؟ والعرب تقول للخائف والجبان فؤاده هواء لايعى عزما ولا صبرا ، قال الله عز وجل ـ وأفئدتهم هواء ـ وقد خالفه المفسرون إلى الصواب قالوا أصبح فارغا من كل شىء إلا من أمر موسى ، كأنها لم تهتم بشىء مما يهتم به الحى إلا أمر ولدها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أى قصى أثره أى ابتغيه (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ) أى عن بعد منها عنه واعراض لئلا يفطنوا لها والمجانبة من هذا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بها (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أى

منعناه أن يرضع المراضع جمع مرضع (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) أى يضمونه اليهم (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قد تقدم ذكره (وَاسْتَوَى) استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم تكن فيه زيادة (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) يقال نصف النهار (هٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ) أى من أصحابه يعنى من بنى إسرائيل (وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أى من أعدائه والعدو يدل على الواحد وعلى الجميع (فَوَكَزَهُ مُوسَى) أى لكزه يقال وكزته ولكزته ولهزته إذا دفعته (فَقَضَى عَلَيْهِ) أى قتله وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه (خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) أى ينتظر سوءاً يناله منهم (فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) أى يستغيث به الاسرائيلى (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) أى غويتنى بالامس حتى قتلت بنصرك رجلا ويجوز أن يكون لعدوهما (يَسْعَى) أى يسرع (قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ) يعنى الوجوه من الناس والأشراف يأتمرون بك قال أبو عبيدة يتشاورون فيك ليقتلوك واحتج بقول الشاعر(١)

أحار ابن عمرٍو كأنى خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا غلط بين لمن تدبره ومنادة للمعنى كيف يعدو على المرء ماشاور فيه والمشاورة بركة وخير وإنما أراد يعدو عليه ماهمّ به للناس من الشر ومثله قولهم من حفر حفرة وقع فيها وقوله (إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ

(١) هو امرؤ القيس ورواية لسان العرب: ويعدو على المرء ما يعتمر . ولا شاهد فيه .

بكَ) إنما معناه يهمون بك يدلك على ذلك قول النمر بن تولب

اعلمي ان كل مؤتمـر   مخطئ في الرأى أحيانا

فاذا لم يصب رشـدا   كان بعض اللوم ثنيانا

يقول اعلمي أن من ركب هواه وفعل مافعل بغير مشاورة لابد أن يخطئ أحياناً فاذا لم يصب رشداً لامه الناس مرتين مرة لركوبه الأمر بغير مشاورة ومرة لغلطه ، ومما يدلك على ذلك أيضا قوله عز وجل ـ وأتمروا بينكم بمعروف ـ لم يرد تشاوروا وإنما أراد هموا به واعتزموا عليه وقالوا فى تفسيره هو ألا تضر المرأة بزوجها ولا الزوج بالمرأة ولو أراد المعنى الذى ذهب اليه أبو عبيدة كان أولى به (إنَّ الْمَلأَ يأْتَمِرُونَ بِكَ) أى يستأمر بعضهم بعضاً (تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) أى تجاه مدين ونحوها وأصله اللقاء زيدت فيه التاء قال الشاعر (١)

* فاليوم قصَّر عن تلقائك الأملُ *

أى عن لقائك (سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى قصده (وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) أى جماعة (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) أى تكفان غنمهما وحذف الغنم اختصاراً وفى تفسير أبى صالح تحبس إحداهما الغنم على الأخرى (قالَ ماخَطْبُكُمَا) أى ما أمركما وما شأنكما (يُصْدِرَ الرِّعاءُ) أى يرجع الرعاء ومن قرأ ـ يَصْدُرَ الرِّعاءُ ـ أراد يرد الرعاء أغنامهم عن الماء (عَلَى أَنْ تأْجُرَنِى) يابنى من التزويج والأجر من

---

(١) هو الراعى وصدر البيت : أملت خيرك هل تأتى مواعده

الله عز وجل إنما هو الجزاء من العمل (فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) قال المفسرون لاسبيل عليّ والأصل من التعدى (او جذوة مِن النَّارِ) أى قطعة ومثلها الجذمة وفى التفسير الجذوة ِ د قد احترق (اسْلُكْ يَدَكَ فى جَيْبِكَ) أى أدخل يدك يقال سلكت يدي وأسلكتها (وَالجَنَاحُ) الابط والجناح اليد أيضاً (وَالرَّهَبُ) والرَّهْبُ والرهبة (وَبُرْهَانَان) أى حجتان (أَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً) أى معينا يقال أردأته على كذا وكذا أى أعنته (ويَجْعَل لَكُمَا سُلْطَاناً) أى حجة (فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ على الطِّينِ) أى اصنع لى الآجر (فَاْجْعَلْ لِي صَرْحاً) أى قصرا عاليا (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيا فى أَهْلِ مَدْيَنَ) أى مقيما يقال ثويت بالمكان إذا أقمت به ومنه قيل للضيف الثوى (ساحِرَانِ تَظَاهَرَا) أى تعاونا (ولَقَدْ وصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) أى أتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم يعنى القرآن (أَوَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمناً) أى لم نسكنهم إياه ونجعله مكانا لهم (بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) أى أشرت وكأن المعنى أبطرتها معيشتها كما تقول أبطرك مالك فبطرت (فى أُمِّهَا رَسُولا) أى فى أعظمها (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أى محضرى النار عافانا الله منها برحمته (الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) أى وجبت عليهم الحجة فوجب العذاب (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ) أى ع وا عنها من شدة الهول يومئذ فلم يجيبوا والأنباء الحجج هاهنا (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) أى يختار للرسالة (مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ) أى لا يرسل الله الرسل على اختيارهم (السَّرْمَدُ) الدائم (ونَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدا) أى أحضرنا رسولهم

المبعوث اليهم (لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ) أى تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها يقال ناءت بالعصبة مالت بها وأناءت العصبة أمالتها ونحوه فى المعنى قوله ـ ولا يؤوده حفظهما ـ أى لا يثقله حتى يؤوده أى يميله والعصبة ما بين العشرة إلى الاربعين وفى تفسير أبى صالح ـ ما إن مفاتحه يعنى الكنز نفسه وقد يكون المفاتح مكان الخزائن وقوله فى موضع آخر ـ أو ما ملكتم مفاتحه ـ أى ملكتموه من المخزون قال ـ وعنده مفاتح الغيب ـ نرى أنها خزائنه (لَا تَفْرَحْ) لا تأشر ولا تبطر قال الشاعر : —

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذَا الدهرُ سرَّنى ... وَلا جَازِعٍ من صرفه المُتَحَوِّلِ

أى لست بأشر فأما السرور فليس بمكروه ﴿ وقال فى المشكل ﴾ أصل الفرح المسرة كما قال ـ وفرحوا بها ـ أى سروا بها ، والفرح الرضا لأنه عن المسرة يكون . قال الله عز وجل ـ كل حزب بما لديهم فرحون ـ أى راضون وقال ـ فرحوا بما عندهم من العلم ـ أى رضوا والفرح البطر كما ذكر فى الغريب قال الله سبحانه ـ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ـ وقد تبدل الحاء هاء فى هذا فيقال فره أى بطر قال الله تبارك وتعالى ـ وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين ـ أى أشرين بطرين والهاء تبدل من الحاء لقرب مخرجيهما تقول مدحته ومدهته بمعنى واحد ﴿ غ ﴾ (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أى لا تترك حظك منها (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) أى لفضل عندى وروى أنه كان أقرأ بنى إسرائيل للتوراة (وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) قال قتادة يدخلون النار بغير حساب

وقال غيره يعرفون بسيماهم (وَلَا يُلَقَّاهَا) أى لا يوفق لها ويرزقها (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) قال قتادة فى الغريب: وذكر الخليل رحمه الله أنها وى مفصولة ثم تبتدىء فتقول كأن وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح هى - كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء - كأنه لا يفلح الكافرون - وقال - وى - صلة فى الكلام وهذا شاهد لقول الخليل، ومما يدل على أنها كأن أنها قد خففت أيضا كما تخفف كأن قال الشاعر :-

وى كأن من يكن له نسب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضُرّ

وقال بعضهم - ويكأن - أى رحمة لك بلغة حمير كأن تشبيه وهى أن دخلت عليها كاف التشبيه الخافضة، ألا ترى أنك تقول شربت شرابا كأنه عسل وشربت شرابا كعسل فتكونان سواء. وقد تخفف كأن ويحذف الاسم فتكون كالكاف قال الشاعر :-

جُمومُ الشَّدِّ شائله الذُّبابا وهادِيها كأن جذع سحوق[1]

أراد كجذع. وقال آخر :-

كأن ظبية تعطو إلى ناضر السلم[2]

أراد كظبية ﴿غ﴾ (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أى أوجب

---

(١) هو للنمر بن تولب وصحته:

جموم الشد شائلة الذنابى تخال بياض غرتها سراجا

اه من لسان العرب

(٢) هو الباغث بن صريم اليشكرى وصدره : ويوما توافينا بوجه مقسم

عليك العمل به قال بعض المفسرين أنزله عليك (لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) قال مجاهد رحمه الله يعنى مكة وفى تفسير أبى صالح أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فقال: أتشتاق إلى مولدك ووطنك؟ يعنى مكة، قال نعم فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهو فيما بين مكة والمدينة. وقال الحسن والزهرى أحدهما معاده يوم القيامة والآخر ميعاده الجنة قال قتادة هذا مما كان ابن عباس رضى الله عنه يكتمه، اشتبه الكلام فى الكتابين وكتبنا ما بينهما. وقال فى المشكل: معاد الرجل بلده لأنه يتصرف فى البلاد ويضرب فى الأرض ثم يعود إلى بلده، ومثله قولهم لمنزل الرجل مثاب ومثابة لأنه يتصرف فى حوائجه ثم يثوب اليه. وكان رسول الله ﷺ حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم بمفارقة مكة لأنها مولده وموطنه ومنشؤه وعشيرته فاستوحش فأخبره الله عز وجل فى طريقه أنه سيرده إلى مكة ويسره بالظهور والغلبة. وفى الآية تقديم وتأخير والمعنى — إن الذى فرض عليك القرآن — أى جعلك نبيا ينزل عليك القرآن وما كنت ترجو قبل ذلك أن تكون نبيا يوحى اليك الكتاب لرادك إلى مكة ظاهراً قاهرا وهو معنى تفسير أبى صالح ومجاهد. وقال الحسن معاده يوم القيامة ووافقه على ذلك الزهرى

﴿غريب سورة العنكبوت ومشكلها﴾

(وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) أى لا يقتلون ويعذبون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى ابتليناهم (كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ) أى يخافه (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) أى ديننا (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) أى لنحمل عنكم ذنوبكم والواو زائدة

(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) أى أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم قال قتادة من دعا قوما إلى ضلالة كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شىء (والطُّوفَانُ) المطر الشديد (الأَوْثَانُ) واحدها وثن وهو ما كان من حجارة أو جص (وَتَخلقُونَ إفْكاً) أى تختلقون كذبا وقد تقدم من قوله فى المشكل إن الخلق التخرص كما قال ـ إن هذا إلا خلق الأولين ـ أى خرصهم وكذبهم وقال ـ إن هذا إلا اختلاق ـ أى افتعال الكتاب والخلق الانشاء والابتداء وأصل الخلق التقدير ومنه قيل خالقة الأديم، والخلق الدين كقوله عز وجل ـ لا تبديل لخلق الله ـ أى دينه ويقال خلقه بالخصاء وبتك الآذان وأشباه ذلك (وَإلَيْهِ تُقْلَبُونَ) أى تردون (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فى الأَرْضِ وَلا فِى السَّماءِ) أى ولا من فى السماء (آتَيْنَاهُ أَجْرَه فِى الدُّنْيَا) بالولد الطيب وحسن الثناء عليه (وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ) النادى المجلس والمنكر يجمع الفواحش من القول والفعل وقد اختلط فى ذلك المنكر (من أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) يعنى الحجارة وهى الحصباء أيضا يعنى قوم لوط (إنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ) قالوا المصلى لا يكون فى منكر ولا فاحشة مادام فيها (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) يقول ذكر الله العبد ما كان فى صلاته أكبر من ذكر العبد لله، ويقال ولذكر الله أكبر أى التسبيح والتكبير أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ) يقول هم يجدونك أميا فى كتبهم فلو كنت تكتب لارتابوا (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) أى لننزلنهم، ومن قرأ لنثوينهم فهو

من ثويت بالمكان إذا أقمت به (وَكَأَيِّنْ مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا) أي لا ترفع شيئا لغد الله يرزقها قال ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الانسان والنملة والفأرة (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) يعني الجنة هي دار الحياة أي لاموت فيها

غريب سورة الروم ومشكلها

﴿قال أبو محمد في المشكل﴾ قوله عز وجل (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) كانت فارس غلبت الروم على أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم من سلطان فارس فسر بذلك مشركوا قريش وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على أهل فارس لأن الروم أهل كتاب وأهل فارس مجوس فساءهم أن غلبوهم على شيء من بلادهم، فأنزل الله عز وجل (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) أي الروم من بعد أن غلبوا سيغلبون أهل فارس وغلبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعا كما تقول الشهداء من بعد قتلهم سيرزقون أي من بعد أن قتلوا (فِي بِضْعِ سِنِينَ) والبضع مابين الثلاث ودون العشر فغلبت الروم أهل فارس وأخرجوهم من بلادهم يوم الحديبية (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ) أي يوم يغلب الروم أهل فارس (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) أهل الكتاب على المجوس قال الشعبي سورة الفتح أنزلت بعد الحديبية فغفر له ماتقدم من

ذنبه وما تأخر بايعوه مبايعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله وظهرت الروم على المجوس ﴿غ﴾ (أَثَارُوا الأَرْضَ) أى قلبوها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة قال الله تعالى ـ إنها بقرة لاذلول تثير الأرض (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأَى) وهى جهنم أعاذنا الله منها برحمته والحسنى الجنة فى قوله ـ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحسنى ـ (أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ) أى كانت عاقبتهم جهنم بأن كذبوا بآيات الله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) أى يسيرون والحبرة السرور ومنه يقال كل حبرة تتبعها عبرة (وحِينَ تُظْهِرُونَ) أى تدخلون فى الظهيرة وهو وقت الزوال (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مقرون بالعبودية (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال أبو عبيدة وهو هين عليه كما يقال الله أكبر أى الله كبير وأنت أوحد أى واحد الناس، وإنى لأوجل أى وجل وقال أوس بن حجر

وقد أعتب ابن العم إن كان ظالما　　　وأغفر عنه الجهل إن كان أجهلا

أى إن كان جاهلا وفى تفسير أبى صالح (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أى على المخلوق لأنه يقال له يوم القيامة كن فيكون، وأول خلقه نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿وفى المشكل﴾ (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) ﴿قال أبو محمد﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى لمن جعله شريكا من خلقه فقال عز وجل قبل المثل (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) يريد إعادته على المخلوق أهون

عليه من ابتدائه كما ذكر فى الغريب فان جعلته لله عز وجل جعلت أهون بمعنى وهو هين عليه أى سهل (وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى) يعنى شهادة أن لا إله إلا الله ثم ضرب المثل فقال (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ) وذلك أقرب عليكم (هَلْ لَكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ) من عبيدكم الذين تملكون (فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ) وعبيدكم (سواء) يأمرون فيه كأمركم ويحكمون كحكمكم وأنتم (تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى كما يخاف الرجل شريكه الحر فى المال يكون بينهما فلا يأمر فيه بشىء دون أمره ولا يمضى منه عطية بغير إذنه، وهو مثل قوله عز وجل ـ ولا تلمزوا أنفسكم ـ أى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين وقوله (ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً) أى بأمثالهم المؤمنين خيراً يقول وإذا كنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أرقائكم فكيف تجعلون لله من عبيده شركاء فى ملكه مثله قوله تعالى ـ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ـ فجعل منكم المالك والمملوك ـ فما الذين فضلوا ـ يعنى السادة ـ برادِّى رِزْقِهِمْ عَلَى مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ـ من عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء يريد فاذا كان هذا لا يجوز بينكم فكيف تجعلونه لله ﴿غ﴾ (فطرت اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) أى خلقة الله التى خلق الناس عليها وهو أن فطرهم جميعا على أن يعلموا أن لهم خالقا ومدبرا (لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ) أى لا تغيير لما فطرهم عليه من ذلك ثم قال عز من قائل (ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) أى مقبلين إليه بالطاعة ويقال أناب ينيب إذا رجع عن باطل كان عليه (أَمْ أَنْزَلنَا عَلَيْهِمْ

سُلْطَانًا) أى عذرا ويقال كتابا ويقال برهانا فهو يدلهم على الشرك وهو مجاز (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً) أى نعمة (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) أى مصيبة (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِى أَمْوَالِ النَّاسِ) أى ليزيدكم من أموال الناس، قال ابن عباس: هو الرجل يهدى الشىء يريد أن يثاب عليه أفضل منه فذلك الذى لا يربو عند الله (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) أى من صدقة (تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) أى الذين يجدون الضعف والزيادة (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أى أجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) أى يعملون ويوطئون والمهاد الفراش (فَتَرَى الْوَدْقَ) أى المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى من بين السحاب (لَمُبْلِسِينَ) أى يائسين يقال أبلس إذا يئس (فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ) يعنى آثار المطر (خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) أى من منى (مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) يحلفون إذا خرجوا من قبورهم أنهم ما لبثوا فيها غير ساعة (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) فى الدنيا أى كذبوا فى هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل، ويقال أفك بالرجل أى عدل به عن الصدق وعن الخير وأرض مأفوكة أى محرومة المطر (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى يوم البعث أى لبثتم فى القبور فى خبر الكتاب إلى يوم القيامة.

ــ ﴿ غريب سورة لقمان ومشكلها ﴾ ــ

﴿ قال أبو محمد ﴾ قوله تعالى (ومِن النّاسِ من يشْتَرى لهْوَ الحْديثِ) نزلت فى النضر بن الحارث وكان يشترى كتبا فيها أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول محمد يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم وملوك الحيرة (وهْنًا عَلى وهْنٍ) أى ضعفا على ضعف (وفِصالُهُ) فطامه (يَأْتِ بِهَا اللهُ) أى يظهرها الله ولا تخفى عليه (وَلَا تُصعِّرْ خدّكَ) أى لا تعرض بوجهك وتتكبر والاصعر من الرجال المائل بوجهه (إِنّ أنْكر الأَصْوَاتِ) أى أقبحها . عرفة: قبح رفع الصوت فى المخاطبة وفى الملاحاة بقبح أصوات الحمير لأنها عالية ومن التناقض والاختلاف الذى ادعوه على القرآن فى قوله تعالى ـ ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ـ قالوا أو ليس هذا مما يستوى فيه الصبار الشكور وغير الصبار الشكور ؟ ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى الرد عليهم : إنما أراد الله سبحانه : ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن والصبر أفضل ما فى المؤمن من خلال الخير ، فذكره الله تعالى ذكره فى هذا الموضع بأفضل صفاته ، وقال فى موضع آخر ـ لآيات لقوم يتفكرون ـ ولقوم يعقلون ـ وإنما يتذكر أولوا الألباب ـ يعنى المؤمنين ومثله فى قصة سبأ ـ ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور هذا كما تقول ان فى ذلك لآية لكل موحد مصل، ولكل فاضل تقى ، وإنما

يريد بالمسلمين ﴿ غ ﴾ (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) جمع ظلة يريد أن بعضه فوق بعض فله سواد كثرته والبحر ذو ظلال لأمواجه قال الجعدى:

يعارضهن أخضر ذوظلال على حافاته فلق الدنان

يعنى البحر (والخَتَّارُ)الغدار،والختر أقبح الغدر وأشده (لَا يَجْزِى والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) أى لا يغنى عنه ولا ينفعه (الغَرُور) الشيطان والغرور بالضم للغين الباطل

﴿ غريب سورة السجدة ومشكلها ﴾

(يُدَبِّرُ الأَمْرَ) أى يقضى القضاء من السماء فينزله إلى الأرض (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) أى يصعد إليه فى يوم واحد (مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ) أى مسافة نزوله وصعوده ألف سنة ، يريد نزول الملائكة عليهم السلام وصعودها وكذا هو فى المشكل إلا أنه قال هناك: يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعددنا ألف سنة ، لأن بعد مابين السماء والأرض خمسمائة عام لابن آدم فاذا قطعته الملائكة بادية وعادية فى يوم واحد فقد قطعت مسيرة ألف سنة فى يوم واحد ﴿ غ ﴾ (وقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِى الأَرْض) أى بطلنا وصرنا ترابا (قلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ) وهو من توفى العدد واستيفائه وأنشد أبو عبيدة : —

إن بنى الأردم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا توفاهم قريش فى العدد

أى لاتجعلهم وفاء لعددها والوفاء التمام (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) أى ترتفع (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) أى يبين لهم (الأَرْضِ الْجُرُزُ) الغليظة اليابسة التى لاتنبت شيئا وجمعها أجراز، ويقال سنون أجراز إذا كانت سنى جدب (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) يعنى فتح مكة (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يقال أراد قتل خالد بن الوليد يوم فتح مكة من قتل والله أعلم

غريب سورة الاحزاب ومشكلها

(أَدْعِيَاءَكُمْ) من تبنيتموه واتخذتموه ولدا يقال ماجعلهم بمنزلة ولد الصلب، وكانوا يورثون من ادعوا (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) أى قولكم على التشبيه والمجاز لا على الحقيقة (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) (هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) أى أعدل وأصح (مَسْطُوراً) أى مكتوبا (وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ) أى عدلت (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) أى كادت تبلغ الحلوق من الخوف وهو استعارة وفيه إضمار كاد، وقد يجوز أن يكون أراد أنها ترجف من شدة الفزع وتجف فيتصل وجيفها بالحلوق، فكأنها بلغت الحلوق بالوجيف وهم يصفون القلوب بالخفقان والنزو عند المخافة والذعر، قال الشاعر فى وصف مغازة: —

تنزو من مخافتها قلوب الادلاء ... كأن قرونهامعلقة بقرون الظباء

وهذا مثل قول امرىء القيس: —

ولا مثل يوم فى قدانان ظلته   كأنى وأصحابى على قرن أعفرا

أراد كأنا من القلق على قرن ظبي فنحن لا نستقر ولا نسكن ﴿ قال أبو محمد ﴾ وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن وينسبها فيه إلى الافراط وتجاوز المقدار قال وما أرى ذلك إلا جائزاً حسنا على ما بيناه من مذاهبهم كقول النابغة فى وصف سيوف :ــ

تقد السلوقى المضاعف نسجه   وتوقد بالصفاح نار الحباحب

ذكر أنها تقطع الدروع التى هذه حالها والفارس حتى تبلغ الأرض فتورى النار إذا أصابت الحجارة ، وكقول النمر بن تولب فى وصف سيف أيضا :ــ

تظل تحفر عنه إن ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادى

يقول إنه رسب فى الأرض بعد أن قطع ما ذكره حتى احتاج صاحبه أن يحفر عليه ليستخرجه من الارض. وكقول مهلهل :ــ

ولولا الريح أسمع أهل حجر   صليل البيض تقرع بالذكور

وقال قيس بن الخطيم يصف طعنة :ــ

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها   يرى قائم من دونها ماوراءها

وقوله أيضا :ــ

لو أنك تلقى حنظلا فوق بيضنا   تدحرج عن ذى سامه المتقارب

يقول تراص القوم فى القتال حتى لو أن ملقيا ألقى على بيضهم حنظلا لجرى عليها كما يجرى على الأرض ولم يسقط لشدة ترصفهم. وعن بمعنى على ،

وذو سامه يبضه المذهب،والسام عروق الذهب

وقال عنترة :ـ

وأنا المنية فى المواطن كلها　　والطعن منى سائق الآجال

وقال بشار :ـ

إذا ما غضبنا غضبة مضرية　　هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وقال طريح الثقفى :ـ

لو قلت للسيل دع طريقك　　والموج عليه كالهضب يعتلج

لا ارتد أوساخ أو لكان له　　فى سائر الأرض عنك منفرج

وقال ابن ميارة :ـ

ولو أن قيساً قيس غيلان أقسمت　　على الشمس لم يطلع عليك حجابها

وقال الطرماح :ـ

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة　　يكر على صفى تميم لولت

وقال آخر يذكر حديث امرأة :ـ

حديث لو أن اللحم يصلى بحره　　غريضاً أتى أصحابه وهو منضج

وقال أبو النجم يذكر سيلا :ـ

كأن فوق الأكم من غثائه　　خطائف الشامى على عبائه

والشيح يهدى إلى طحمائه

يقول صار الجبل والسهل واحداً وصار الغثاء على رؤس الأكم والطحماء شجر ينبت فى الجبال والشيح ينبت فى السهول ، فأراد أنه حمل

نبت السهل إلى الجبل، وقال وذكر ظليما يعدو ويطير :-

* هاوٍ تضل الطير فى خوائه *

الخواء ما بين قوائمه وبطنه وبين الأرض إذا عدا أوطار، يريد أن الطير يطير وبينه وبين الأرض خواء حتى يضل، وقد يروى : تضل الريح فى خوائه . وقال الكميت وذكر الرياح :-

ترامى بكذان الأكان ومروها ترامىَ ولدان الأصارم بالخشل

الخشل ردىء المقل، أراد أن الرياح ترامى بالحجارة الكبار كما يترامى الصبيان بنوى المقل وقال آخر :-

زعمت غدانة أن فيها سيداً ضخما يوازنه جناح الجندب

يرويه مايروى الذباب فينتشى سكراً وتشبعه كراع الأرنب

فهذه الأبيات التى ذكرتها ومثلها فى الشعر كثير ، والعرب تقول له الطم والرم، إذا أرادوا تكثير ماله، والطم البحر، والرم الثرى، وهذا لا يملكه إلا الله وحده ويقولون: فلان دون شائله العيون. ويقولون: له الضح والريح ، يريدون ما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، ويقولون : فلان يثير الكلاب عن مرابضها، يريدون أنه لشرهه ولومه يثيرها عن مواضعها يطلب تحتها شيئا فاضلا من طعمها ليأكله، وهذا مالا يفعله بشر ، وقال الشاعر : -

تركوا جارهم يأكله ضبع الوادى ويرميه الشجر

والشجر لا يرمي أحداً وهذا كله على المبالغة فى الوصف وينوون فى

جميعه يكاد يفعل وكلهم يعلم المراد به وقال الآخر (١)

إذا رأيت أنجما من الأسد جَبْهَته أو الخَراة وَالكتد
بَالَ سُهيلٌ في الفَضيخ ففَسَدْ وطاب ألْبانُ اللِّقاحِ وفيه برد

فهذا وقت يذهب فيه الفضيخ لأنه يكون من البسر والبسر يصير عند طلوع هذه الأنجم رطبا، فلما كان فساده عند طلوع سهيل وكان الشراب يفسد بأن يطل فيه، جعل سهيلا كأنه بال فيه لما أفسده وقت طلوعه. وقال دكين: —

وقد تعالَلت ذميل العنس بالسوط في ديمومة كالترس
* إذ عرج الليل بروح الشمس *

فجعل للشمس روحا عرج به الليل ﴿قال أبو محمد﴾ والأصل في هذا أن كل حيوان يموت يقبض روحه فلما أبطل الليل الشمس جعله كأنه قبض لها روحا. وقال ذو الرمة يصف إبلا في مسيرها: —

إذا اغتبقت نجما فغار تسحّرت علالة نجم آخر الليل طالع

يقول: تهتدى بكوكب طلع أول الليل حتى إذا غاب اهتدت بكوكب آخر طالع في السحر ولم يردها، وإنما أراد ركبانها فجعلها تغتبق النجم وتتسحر بالنجم. وقال مزرد: —

ولو أن شيخا ذا بنين كأنما على رأسه من شامل الشيب قونس
تبيت فيه العنكبوت بيانها نواشى حتى شبن أوهن عنس

---

(١) هو ثعلب الشاعر

وإنما أراد طول مكث العناكب فى رأسه، فجعلهن قد شبن، وعنسن وأصل هذا أن المرأة إذا طال مكثها فى بيت أمها لا تزوج عنست وشابت، فاستعار الشيب والتعنس مثلا لطول مكث العناكب. وقال المسيب بن علس

دعا شجر الأرض داعيهم لينصره السدر والاثاب

أراد أنه دعا عليهم الخلق يستنصر بهم فضرب مثلا لكثرة الناس والعوام تقول: جاء بالشوك والشجر إذا جاء فى جيش عظيم ﴿غ﴾ (وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) أى شدد عليهم وهول، والزلازل الشدائد وأصلها من التحريك (إِنَّ بُيوتَنا عَوْرَةٌ) أى خالية فقد أمكن من أراد دخولها وأصل العورة ماذهب عنه الستر والحفظ فكأن الرجال حفظ وستر للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت، تقول العرب أعور منزلك إذا ذهب ستره أو سقط جداره، وأعور الفارس إذا بدا منه موضع ذلك للضرب بالسيف والطعن، يقول الله عز وجل (وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ) لأن الله يحفظها ولكن يريدون الفرار (وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) أى بين جوانبها (ثُم سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) أى الكفر (لَآتَوْهَا) أى أعطوها ذلك من أراده (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا) أى بالمدينة، ومن قرأ: لأتوها بقصر الألف أراد لصاروا اليها (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ) يقول آذوكم بالكلام يقال خطيب مسلق وسلاق وفيه، لغة أخرى صلقوكم، ولا يقرأ بها، وأصل الصلق الضرب قال ابن أحمر يصف سوطا ضرب فيه ناقته: —

كأن وقعته لودان مرفقها صلق الصفا بأديم وقعه تير

ومن الاستعارة قوله (مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) أى قتل، وأصل النحب النذر وكان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أو غيرهم نذروا إن لقوا عدواً ليصدقن القتال أو ليقتلن هذا أو نحوه، فقتلوا فقيل لمن قتل قضى نحبه، فاستعير النحب مكان الأجل، لأن الأجل وقع بالنحب وكان النحب له سببا ومنه قيل للعطية المن، لأن من أعطى فقد من، قال الله عز وجل ـ ولا تمنن تستكثر ـ أى لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت. وقال ـ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك ـ أى فأعط أو أمسك. وقوله ـ بغير حساب ـ مردود إلى قوله ـ هذا عطاؤنا ـ فامنن أو أمسك بغير حساب

﴿هاهنا تم باب الاستعارة فى كتاب المشكل﴾

﴿غ﴾ (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) أى من حصونهم، وأصل الصياصى قرون البقرة لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها، فقيل للحصون صياصى لأنها تمتنع (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) لكان يجعل الواحد اثنين، هذا معنى قول أبى عبيدة، ولا أراه كما قال لأنه يقول بعد (وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) أى يطعهما (وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) فهذا يدلك على أن الضعفين ثم أيضا مثلان، وكأنه أراد (يضاعف لها العذاب) فيجعل (ضعفين) أى مثلين كل واحد منهما ضعف للآخر. وضعف الشىء مثله، ولذلك قرأ أبو عمرو (يُضَعَّفْ) لأنه رأى أن يضعف للمثل ويضاعف لما فوق ذلك، وهذا كما تقول للرجل: إن أعطيتنى درهما كافأتك بضعفين، أى بدرهمين، فان أعطيتنى فردا أعطيتك زوجين يريد اثنين ومثله ـ ربنا

آتهم ضعفين من العذاب - أي مثلين (فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) أي فلا تلن القول (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) أي فجور (وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً) أي صحيحاً لا يُطمع فاجراً (وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) من الوقار ويقال وقر في منزله يقر وقوراً ومن قرأ (وَقَرْنَ فِي بيوتكن) بفتح القاف جعله من القرار وكأنه من قر يقر بفتح القاف أراد قررن في بيوتكن فحذف الراء الأولى وحول فتحتها في القاف كما يقال ظلن في موضع كذا من أظللن قال الله عز وجل - فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ - ولم نسمع بقر يقر إلا في قرة العين فأما في الاستقرار فانما هو من قر يقر بالكاف مكسورة ولعلها لغة (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) أي أحل الله له (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أي لا حرج على أحد فيما لم يحرم عليه (وَالأَصِيلُ) فيما بين العصر إلى الليل (يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أي يبارك عليكم ويقال يغفر لكم (وَمَلاَئِكَتُهُ) أي تستغفر لكم (آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) أي أي مهورهن (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أي تؤخرهن وقد يهمز يقال أرجأت الأمر وأرجيته (وَتُؤْوِي إِلَيْكَ) أي تضم . قال الحسن : كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها النبي ﷺ أو يتزوجها ، ويقال هذا في قسمة الأيام بينهن كان يسوي بينهن قبل، ثم نزل تؤخر من شئت فلا تقسم له وتضم إليك من شئت بغير قسمة (لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) قصر على أزواجه وحرم عليه ماسواهن إلا ما ملكت يمينه من الأماء (غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ)

أى منتظرين وقت إدراكه (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) أى يلبسن الأردية (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) أى لنسلطنك عليهم ونولعنك بهم (قَوْلاً سَدِيداً) أى قصداً . ومن المشكل قوله : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ) الآية ﴿قال أبو محمد﴾ إن الله عز وجل لما استخلف آدم عليه السلام على ذريته وسلطه على جميع خلقه ممافى الأرض من الأنعام والطير والوحش عهد اليه عهداً أمره فيه ونهاه وحرم عليه وأحل له فقبله ولم يزل عاملا به إلى أن حضرته الوفاة فلما حضرته ﷺ سأل الله عزوجل أن يعلمه من يستخلف بعده ويقلده من الأمانة ماقلده ، فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشرط الذى أخذ عليه من الثواب إن أطاع ومن العقاب إن عصى، فأبين أن يقبلنه شفقا من عذاب الله، ثم أمره أن يعرض ذلك على الأرض والجبال فكلاهما أباه ، ثم أمره أن يعرض على ولده فعرضه عليه فقبله بالشرط ولم يتهيب منه ماتهيبته السماء والأرض والجبال (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً) لنفسه (جَهُولاً) بعاقبة ماتقلده لربه ثم قال (لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) أى عرضنا ذلك عليه ليتقلده وإذا تقلده ظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبه الله، وظهر إيمان المؤمن فتاب الله عليه (وَكَانَ اللهُ غَفُوراً) للمؤمنين (رَحِيماً) هذا قول على مذهب بعض المفسرين.وفيه قول آخر قالوا : الأمانة الفرائض عرضت على السموات والأرض والجبال بما فيها من الثواب والعقاب فأبين أن يحملنها ، وعرضت على الانسان بما فيها من الثواب والعقاب فحملها ،

والمعنيان فى التفسيرين متقاربان ، وكذلك فسرها فى الغريب فلم نكتبه لذلك .

﴿ غريب سورة سبأ ومشكلها ﴾

(مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ) أي يدخل (وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) أى يصعد (لَا يَعْزُبُ) لا يبعد (مِثْقَالُ ذَرَّة) أي وزن ذرة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) أي أظهروها ، ويقال : أسررت الشيء أخفيته وأظهرته وهو من الاضداد (وَالْمُتْرَفُونَ) المتكبرون (تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) أي قربا ومنزلة عندنا وقوله (فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) لم يرد فيما يرى أهل النظر والله أعلم أنهم يجازون على الواحد بواحد مثله ولا اثنين وكيف يكون هذا والله يقول ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ـ وخير منها ولكنه أراد لهم جزاء التضعيف وجزاء الضعف إنما هو مثل يضم إلى مثل إلى ما بلغ وكأن الضعف الزيادة أي لهم جزاء الزيادة ، ويجوز أن يجعل الضعف فى معنى جمع أجزاء الأضعاف ونحوه ـ عذابا ضعفا فى النار ـ أي مضعفا (وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) أي عشره (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي انكاري وكذلك ـ فكيف كان نذير ـ أي إنذاري وجمعه نكر ونذر ﴿ ومن المشكل ﴾ (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) الآية ﴿ قال أبو محمد ﴾ تأويله أن المشركين قالوا إن محمداً مجنون وساحر وأشباه ذلك من تخرصهم

فقال الله جل وعز لنبيه ﷺ : قل لهم اعتبروا أمرى بواحدة ، وهى أن تنصحوا لأنفسكم ولا يميل بكم هوى عن حق فتقوموا لله وفى ذاته مقاما يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له : هلم فلنتصادق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط ؟ أو جربنا عليه كذبا ؟ فهذا موضع قيامهم مثنى ثم ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه فيفكر وينظر ويعتبر ، فهذا موضع قيامهم فرادى فان فى ذلك مما يدلكم على أنه نذير وأنه ليس بمجنون ولا كذاب ، وكل من تحير فى أمر قد استبهم عليه واشتبه أخرجه من الحيرة فيه إن سئل ، ويناظر ثم يفكر ويعتبر ﴿وفى الغريب﴾ (مَثْنَى) أى اثنين (وَفُرَادَى) واحداً واحداً ويريد بالمثنى أن يتظاهروا فى أمر النبى ﷺ وبفرادى أى يفكروا . هذا لفظ الكتابين ﴿ع﴾ (يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) أى يلقيه إلى أنبيائه صلوات الله عليهم (وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ) أي الشيطان (وَمَا يُعِيدُ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) عند البعث هذا لفظ الغريب ﴿وفى المشكل﴾ (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ) إلى آخر السورة ﴿قال أبو محمد﴾ كان الحسن رحمه الله يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور يقول : ولو ترى يا محمد فزعهم حين لافوت أى لامهرب لهم ولا ملجأ يفوتون به ويلجأون اليه وهذا نحو قوله ـ فنادوا ولات حين مناص ـ أى نادوا حين لامهرب (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أى قريب على الله يعنى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) أى بمحمد (وَأَنَّى) صح (لَهُمُ التَّنَاوُشُ) والتناوش التناول أى كيف لهم نيل ماطلبوا من الايمان فى هذا الوقت

الذى لا يقال له كافر ولا تقبل توبته، وقوله (مِنْ مَكانٍ بَعيد) يريد بعدما بين مكانهم يوم القيامة وبين المكان الذى تتقبل فيه الأعمال (وقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) أى بمحمد ﷺ يقول كيف ينفعهم الايمان به فى الآخرة وقد كفروا به فى الدنيا (ويَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ) أى بالظن أن التوبة تنفعهم (مِنْ مَكانٍ بَعِيد) أى بعيد من موضع تقبل التوبة (وحِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الايمان (كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أى بأشباههم من الأمم الخالية، وكان غير الحسن يجعل الفزع عند نزول بأس الله من الموت أو غيره ويعتبره بقوله فى موضع آخر ـ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ـ إلى آخر القصة ﴿غ﴾ (والتَّنَاوش) يهمز ولا يهمز يقال نشت ونأشت كما يقال ذمت الرجل وذأمته، أى عبته، وقال أبو عبيدة: نأشت طلبت واحتج بقول رؤبة:

* إليك نأش القدر النؤوش *

وقال يريد طلب القدر المطلوب وقال الأصمعى: تناول القدر لنا بالمكروه تم الكلامان فى الآية، الغريب والمشكل والحمد لله أبدا.

﴿ غريب سورة فاطر ومشكلها ﴾

﴿قال أبو محمد﴾ (مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) أى من غيث (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) يقول اذكر أيادىّ عندك أى احفظها وكل ما فى القرآن من هذا فهو مثله (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)

أى شبه عليه وفى الكلام حذف واختصار وتقديم وتأخير قد تقدم فى بابه فى المشكل وتقديره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) ذهبت نفسك حسرة عليه؟ (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴿غ﴾ (النُّشُورُ) الحياة (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) أى يبطل (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ) أى جوارى ومخرها خرقها للماء (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) والقطمير الفوفة التى تكون فى النواة وفى التفسير أنه الذى بين قمع الرطبة وبين النواة وهو من الاستعارة فى قلة الشىء وتحقيره (وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا) يقول إن دعت نفس ذات ذنوب قد أثقلتها ذنوبها ليحمل عنها شىء منها لم تجد ذلك (ولو كان) من تدعوه (ذا قربى) (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) مثل للكافر والمؤمن (وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ) مثل للكفر والايمان (وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ) مثل للجنة والنار (وَلاَ يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ) مثل للعقلاء والجهال (وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ) أى سلف فيها نبى (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ) والجدد الخطوط والطرائق تكون فى الجبال فبعضها بيض وبعضها حمر (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) غرابيب جمع غربيبٍ وهو الشديد السواد ويقال أسود غربيب وتمام الكلام عند قوله (كَذَلِكَ) يقول من الجبال مختلف ألوانه ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه (كَذَلِكَ) أى كاختلاف الثمرات ثم تبتدىء (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (مصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أى لما قبله و (دَارُ الْمُقَامَةِ) ودار المقام واحد

وهما بمعنى الاقامة (لُغُوبٌ) الاعياء (جاءَكُمُ النَّذِيرُ) يعنى محمدا ﷺ ويقال الشيب ومن ذهب إلى هذا المذهب فانه أراد أو لم نعمركم حتى شبتم (فَهَلْ يَنظُرُونَ) أى هل ينتظرون (إلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ) أى سنتنا فى أمثالهم من الأولين الذين كفروا ككفرهم

غريب سورة يس ومشكلها

(لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ على أَكْثَرِهِمْ) أى وجب (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره يقال بعير قامح والإبل قماح إذا رويت من الماء فقمحت قال الشاعر [1] وذكر سفينة وركبانها

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح

يريد أنا حبسناهم عن الانفاق فى سبيل الله بموانع كالاغلال (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) السد الجبل وجمعه سداد (فأَغْشَيْنَاهُمْ) أى أغشينا عيونهم وأعمينا عيونهم عن الهدى وقال الاسود بن يعفر وكان قد كف بصره

ومن الحوادث لاأبالك أننى ضربت على الارض بالأسداد

ما اهتدى منها لمدفع تلعة بين العذيب [2] وبين أرض مراد

(ونَكْتُبُ ماقَدَّمُوا) أى أعمالهم (وآثَارَهُمْ) ما استن به بعدهم من سنتهم وهو مثل قولهم — يُنَبَّأُ الانسان يومئذٍ بما قدم وأخر — أى بما

---

(١) هو بشر بن أبى حازم
(٢) العذيب بالتصغير ماء لبنى تميم على مرحلة من الكوفة

قدم من عمله وأخر أي من أثر باق بعده (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أي قوينا وشددنا يقال عزز منه أي قوى من ميله ، وتعزز لحم الناقة إذا صلب (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قال قتادة يقولون إن أصابنا شر فهو بكم (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) ثم قال (أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ) تطيرتم بنا وقال غيره (طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) أين كنتم والطائر هاهنا العمل والرزق يقول هو في أعناقكم ليس من شؤمنا ومثله — وكل شيء ألزمناه طائره في عنقه — وقد ذكرناه فيما تقدم (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أي فاشهدوا (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أي وليأكلوا مما عملته أيديهم ، ويقرأ وما عملت أيديهم بلاهاء (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) أي الأجناس كلها ﴿ وفي المشكل ﴾ (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أي إلى مستقر لها كما تقول هو يجري لغايته وإلى غايته ومستقرها أقصى منازلها في الغروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدم في كل ليلة حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع، فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه، وقرأ بعض السلف (تَجْرِي لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا) والمعنى أنها لا تقف ولا تستقر ولكنها جارية أبدا وقوله (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) يريد أنه ينزل كل ليلة ثم يستتر وهذه المنازل هي النجوم التي كانت العرب تنسب اليها الانواء وأسماؤها

السرطان	والبطين	والثريا	والدبران	والهقعه	والهنعة
والذراع	والنثرة	والجبهة	والعرفة	والعواء	والسماك
والغفر	والزباني	والاكليل	والقلب	والشولة	والنعائم

والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية

وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشا وهو الحوت

وإذا صار القمر فى آخر منازله دق حتى يعود (كالعرجون القديم) وهو العذق والعرجون إذا يبس دق واستقوس فشبه القمر به ليلة ثمان وعشرين ثم قال (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ) يريد أنهما يسيران الدهر دائبين ولا يجتمعان فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوؤه وبطل سلطانه ودخل النهار على الليل يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة ـ وجمع الشمس والقمر ـ وذلك عند إبطال هذا التدبير ونقض هذا التأليف (وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول هما يتعاقبان ولا يسبق أحدهما الآخر فيفوته ويذهب قبل مجيء صاحبه (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) أى يجرون يعنى الشمس والقمر والنجوم ﴿ غ ﴾ (والعُرْجُون) عود الكباسة وهو الاهان أيضاً (والْقَدِيمُ) الذى قد أتى عليه حول (فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ) أى لا مغيث لهم ولا مجير (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) أى إلا أن نرحمهم ونمتعهم إلى أجل (يَخِصِّمُونَ) أى يختصمون فأدغمت التاء فى الصاد (وَالأَجْدَاثُ) القبور واحدها جدث (يَنْسِلُونَ) قد ذكرناه فى سورة الأنبياء (مُحْضَرُونَ) مشهدون (فِي شُغُلٍ فَكِهُونَ) أى يتفكهون. قال أبو عبيد: تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو الفاكهة أو بأعراض الناس إن فلانا لفكه بكذا قال الشاعر: —

فَكِهٌ إلى جنب الخوان إذا غَدَتْ نكباءُ تقطعُ ثابتَ الأطناب

ومنه قيل للمزاح فكاهة ومن قرأ (فَاكِهُونَ) أراد ذوى فاكهة كما يقال فلان تامر. وقال الفراء هما جميعا سواء: فكه وفاكه، كما يقال حذر وحاذر وروى فى التفسير فاكهون ناعمون وفكهون معجبون (فِي ظِلَالٍ) جمع ظل وفى ظلل جمع ظلة (الْأَرَائِكِ) السرر فى الحجال واحدها أريكة (وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ) أى ما يتمنون ومنه يقول الناس هو فى خير ما ادعى أى ما تمنى، والعرب تقول: ادع ماشئت أى تمن ماشئت (سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) أى سلام، ويقال لهم فيها سلام كأنهم يبلغونه من رب رحيم (وامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أى انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم يقال مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه فانماز وامتاز وميزته فتميز (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) أى ألم آمركم ألم أوصكم (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً) أى خلقا وجبلا بالضم والتخفيف والجبل أيضا الخلق قال الشاعر (١): —

ويستمتعْن بالأنس الجَبْلِ

(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا على أَعْيُنِهِمْ) والمطموس هو الذى لا يكون بين جفنيه شق (فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) ليجوزوا (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) أى فكيف يبصرون (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) هو مثل مكانهم يقال مكان ومكانة ومنزل ومنزلة (ومَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) أى نرده إلى أرذل العمر (لِيُنْذِرَ مَنْ

---

(١) قاله أبو ذؤيب. وصدره. منايا بقربن الحتوف من أهلها * جهارا

كانَ حَيًّا) أي مؤمنا ويقال عاقلا (خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) يجوز أن يكون مما عملناه بقدرتنا وقوتنا وفى اليد القوة والقدرة على العمل فتستعار اليد فتوضع موضعها على مابين فى المشكل، هـذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف والله أعلم بما أراد (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) أي مايركبون (والحَلُوبُ) مايحلبون ويقرأ ركوبتهم أيضا قراءة عائشة رضى الله عنها (وَهِيَ رَمِيمٌ) أي بالية يقال رم العظم إذا بلى فهو رميم ورمام كما يقال رفات وفتات (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً) أراد الزنود التى تورى بها الأعراب من شجر المرخ والعفار .

غريب سورة والصافات ومشكلها

قال ابن مسعود رضى الله عنه (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً) هى الملائكة عليهم السلام (لَايَسَّمَّعُونَ) أى لا يتسمعون فأدغمت التاء فى السين (إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى) ملائكة الله (دُحُوراً) طرداً يقال دحرته دحراً ودحوراً أى دفعته (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) أى دائم (فَأَتْبَعَهُ) أى لحقه (شِهَابٌ ثَاقِبٌ) كوكب مضىء بين، يقال أثقب نارك أى أضئها والثقوب ماتذكى به النار (فَاسْتَفْتِهِمْ) أى سلهم (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) أى لازق لازم والباء تبدل من الميم لقرب مخرجيهما (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) قال قتادة بل عجبت من وحى الله وكتابه وهم يسخرون (إِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ) أى يسخرون يقال

سخر واستسخر كما يقال قر واستقر ومثله عجبت واستعجبت قال أوس ابن حجر .

ومستعجب مما يَرى من أناتِنا ولو زَبَنَتْهُ الحَرْبُ لَمْ يترمْرَم

ويجوز أن يكون يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من النبي ﷺ كما يقال استعتبته سألته العتبى واستوهبته سألته الهبة واستعفيته سألته العفو (أحْشُرُوا الّذِينَ ظَلَمُوا وَأزْوَاجَهُمْ) أى أشكالهم تقول العرب زوجت إبلي أى قرنت واحداً بالآخر ويقال قرناؤهم من الشياطين ﴿ومن المشكل﴾ (وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إنّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ) قال أبو محمد يقول هذا المشركون يوم القيامة لقرنائهم من الشياطين إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا لأن إبليس قال — لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم — فشياطينه تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنى من الكيد والاضلال قال المفسرون : فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ، ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ، ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة فقال المشركون لقرنائهم إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا من جهة الدين فتشبهون علينا فيه حتى أضللتمونا، فقال لهم قرناؤهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) أى لم تكونوا على حق فنشبهه عليكم ونزيلكم عنه إلى باطل

(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أي قدرة فنقهركم ونجبركم (بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ) نحن وأنتم العذاب (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) يعني بالدعاء والوسوسة ومثل هذا قوله — وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴿غ﴾ (كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) أي تخدعوننا وتفتنوننا عن طاعة الله (لَا فِيهَا غَوْلٌ) أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول للنفس وغالني غولا والغول البعد (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) أي لا تذهب خمرهم وتنقطع ولا تذهب عقولهم يقال نزف الرجل إذا ذهب عقله وإذا نفد شرابه ويقال ينزفون من أنزف الرجل إذا حان منه أو وقع منه النزف كما يقال أقطف الكرم وأحصد الزرع (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) أي قصرن أبصارهن على الأزواج ولم يطمحن إلى غيرهم وأصل القصر الحبس (عِينٌ) نجل العيون أي واسعاتها جمع عيناء (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) العرب تشبه النساء ببيض النعام. وقال امرؤ القيس:

كبكر مقانات البياض بصفرة ... غذاها نمير الماء غير المحلل

والمكنون المصون يقال كننت الشيء إذا صنته وأكننته أخفيته (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) أي صاحب (إِنَّا لَمَدِينُونَ) أي مجزون بأعمالنا يقال دنته بما صنع أي جزيته (سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي وسطها (إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ) أي لتهلكني يقال أرديت فلانا أي أهلكته والردى الموت والهلاك (لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) أي من المحضرين النار (ذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً)

أى رزقاً ومنه إقامة الأنزال وأنزال الجنود أرزاقها (إنّا جعلناه فتنة للظّالمين) أى عذابا (طلعها كأنّه رؤس الشّياطين) أى حملها سمى طلعا لطلوعه فى كل سنة ولذلك قيل طلع النخل لأول مايخرج من ثمره فاذا انتقل عن ذلك فصار فى حال أخرى سمى باسم آخر والشياطين حيات خفيفات الأجسام قبيحات المنظر قال الشاعر وذكر ناقته :ـ

تُلاعِبُ مثنى حضرميٍّ كأنّه تعمّجُ شيطانٍ بذى خِروعٍ قفر (١)

يعنى زماما تلويه بتلوى حية وقال الراجز:

عَجَيِّزٌ تحلفُ حين أحلفُ كمثل شيطانِ الحِماطِ أعرفُ

والحماط شجر، والعرب تقول إذا رأت منظراً قبيحا كأنه شيطان الحماط يريدون حية تأوى فى الحماط كما يقولون أيم الضال وذئب الغضا وأرنب خلة وتيس خلب وقنفذ برقة (ثمّ إنّ لهم عليها لشوبا من حميم) أى خلطا من الماء الحار فيشربونه عليها (إنّهم ألفوا آباءهم ضالّين) أى وجدوهم كذلك (فهم على آثارهم يهرعون) أى يسرعون والاهراع الاسراع وفيه شبه بالرعدة (وتركنا عليه) أى أبقينا عليه ذكرا حسنا (فى الآخرين) أى فى الباقين من الأمم (فراغ عليهم ضربا) أى مال عليهم يضربهم (باليمين) والفراغ منه (فنظر نظرة فى النّجوم) مفسر فى باب التعريض من المشكل وفى سورة الأنعام فى قوله ـ جن عليه الليل رأى كوكبا ـ (فأقبلوا إليه يزفّون) أى يسرعون فى المشى يقال زفت النعامة

---

(١) لم يذكر قائله . والخروع . النبت الضعيف أى نبت كان .

(فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) أي في النار والجحيم الجمر قال عاصم بن ثابت:

* وضالةٍ مثل الجحيم الموقدِ *

أراد سهاما مثل ويقال رأيت جحمة النار أي تلهبها ، وللنار جاحم أي توقد وتلهب (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي بلغ أن ينصرف معه ويعينه (قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أي سأذبحك ولم يرد فيما يرى أهل النظر أنه ذبحه في المنام ولكنه أمر في المنام بذبحه فقال إني أرى في المنام أني سأذبحك ومثل هذا رجل رأى في المنام أنه يؤذن والأذان دليل على الحج فقال إني رأيت في المنام أني أحج أي سأحج وقوله (يَاأَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ) دليل على أنه أمر بذلك في المنام (فَلَمَّا أَسْلَمَا) أي استسلما لأمر الله عز وجل وسلما مثله (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) أي صرعه على جبينه فكان أحد جبينه على الأرض وهما جبينان والجبهة بينهما وهي ما أصاب الأرض في السجود (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْصَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) أي صدقت الأمر في الرؤيا وعملت به (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أي الاختبار العظيم (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) أي بكبش والذبح اسم ماذبح والذبح بنصب الذال مصدر لذبحت (أتدعون بعلا) أي ربا يقال أيا بعل هذه الناقة أي ربها وبعل الدار مالكها ويقال بعل صنم كان لهم (فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) السفينة المملوءة (فَسَاهَمَ) أي فقارع (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) أي فكان من المقروعين يقال دحض الله حجته فدحضت أي أزالها فزالت وأصل الدحض الزلق وقال ابن عيينة ـ فساهم ـ أي قامر فكان من المقمورين

(وهُوَ مُلِيمٌ) مذنب يقال ألام الرجل إذا أذنب ذنبا يلام عليه (فَلَوْلا أنه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) يقال من المصلين (فَنَبَذْنَاهُ) ألقيناه (بِالْعَرَاءِ) وهي الارض التى لايوارى فيها بشجر ولا غيره وكأنه من عرى الشيء (وَالْيَقْطِينُ) الشجر الذى لايقوم على ساق مثل القرع والحنظل والبطيخ وهو يفعيل (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) أى ويزيدون وأوفى معنى الواووهي على أوجه مذكورة فى المشكل ﴿قال أبو محمد﴾ هناك أو تأتى للشك تقول رأيت عبد الله أو محمداً وتكون للتخيير بين شيئين كقوله عز وجل ـ فأطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ـ وكقوله ـ ففدية من صيام أوصدقة أونسك ـ أنت فى جميع هذا مخير أية فعلت يجزى عنك وربما كانت بمعنى واو النسق كقوله ـ فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً ـ وقوله ـ يتذكر أو يخشى ـ وقوله ـ لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ـ هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق فاما قوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) فان بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل يزيدون على مذهب التدارك لكلام غلب فيه . وكذلك قوله ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ـ و ـ فكان قاب قوسين أو أدنى ـ ﴿قال أبو محمد﴾ وليس هذا كما تأولوا وانما هى فى جميع هذه المواضع بمعنى الواو (وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون) ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب ـ فكان قاب قوسين وأدنى ـ قال ابن حجر :

قراعنكما شهرين أو نصفَ شهرٍ ثالثٍ إلى ذاكما قد غيبتني غيابيا

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو أراد قرا شهرين ونصفاء ولا يجوز أن يكون قرا شهرين بل نصف ثالث وقال جرير :

أثعلبة الفوارس أو رياحا   عدلت بهم طُهَيَّةَ والخِشَابا

أراد عدلت هذين بهذين ﴿غ﴾ (فَاسْتَفْتِهِمْ) أي سلهم (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) أي حجة بينة (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً) يقول جعلوا الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك وعن كل سوء علواً كبيراً وجعلوهم من الجن (وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ) أنهم الذين جعلوهم بنات الله تعالى (إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) النار (إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ) أي بمضلين (إلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) أي من قضى عليه أنه يصلى الجحيم (وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) هذا قول الملائكة عليهم السلام (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) أي المصلون (وإنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ) يعنى أهل مكة (فَكَفَرُوا بِهِ) أي بمحمد ﷺ أي كذبوا بأنه مبعوث .

غريب سورة ص ومشكلها

قوله (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أي ذى الشرف مثل قوله ـ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ـ ويقال فيه ذكر ما قبله من الكتب شقاق وعداوة ومباعدة (وَلاَتَ حِينَ مَنَاص) أي لات حين مهرب والنوص التأخر فى كلام العرب والبوص التقدم قال امرؤ القيس : —

أمِنَ ذكرِ ليلى إن نأتك تَنوصُ   وتقصر عنها خطوةً وتبوصُ

قال ابن عباس ليس حين نَزْوٍ وفرار ﴿ ش ﴾ قال سيبويه لات مشبهة بليس فى بعض المواضع ولم تمكن تمكنها ولم يستعملوها إلا مضمرا فيها لأنها ليست كليس فى المخاطبة والأخبار عن غائبٍ ألا ترى أنك تقول : لست وليسوا وعبد الله ليس ذاهبا، فتبنى عليها ولات لا يكون فيها ذلك، وبعضهم يقول ـ ولات حينُ مناص ـ فيرفع لأنها عنده بمنزلة ليس وهى قليلة والوجه فيها النصب وقد خفض بها قال أبو زيد :

طلبوا صُلْحَنا ولات أوانٍ ... فأجبنا أن ليس حين بقاء

وقال آخر

فلمّا علمتُ أننى قد قتلته ... ندمتُ عليه لاتَ ساعةَ مَنْدَمِ

وإنما تكون لات مع الأحيان وتعمل فيها، فاذا جاوزتها فليس لها عمل. وقال أبو عبيدة التاء تزاد فى أول حين وفى أول أوان وأول الآن وإنما هى لا ثم تبتدىء فتقول تحين وتلان والدليل على هذا أنهم يقولون تحين وتلان من غير أن يتقدمها لا ، واحتج بقول الشاعر (١) :

العاطفون تحينَ مامنْ عاطفٍ ... والمطعمون زمان مامِنْ مُطْعِمِ

ويقول الآخر (٢) : ﴿ وصلينا كما زعمت تلانا ﴾

---

(١) هو أبو وجزة . وقال ابن برى : صوابه :

العاطفون تحين مامن عاطف ﴿ والمنعمون زمان أين المنعم

واللاحفون جفاتهم قمع الذى ﴿ والمطعمون زمان أين المطعم

(٢) هو جميل بن معمر وصدره : ﴿ تولى قبل نأى دارى حمانا ﴾

وجر العرب بها يفسد عليه هذا المذهب لأنهم إذا جروا ما بعدها جعلوها كالمضاف للزيادة، وإنما هى لا زيدت عليها الهاء كما قالوا : ثم وثمة . قال ابن الأعرابى فى قول الشاعر : العاطفون تحين. إنما هو العاطفونه بالهاء ثم يبتدىء فيقول: حين مامن عطف. فاذا وصلت صارت الهاء تاء وكذلك قوله: وصلينا كما زعمته . ثم تبتدىء فتقول : لا تا . فاذا وصلت صارت الهاء تاء وذهبت همزة الآن . قال . وسمعت الكسائى ينهى رجلا عن عمل فقال : حسبك تلان ، أراد حسبك الآن ، فلما وصل صارت الهاء تاء ﴿غ﴾ (عُجَابٌ) وعجيب واحد مثل طويل وطوال وعريض وعراض وكبير وكبار ومن المشكل قوله جل ثناؤه (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَتِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّاب أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) الآية ﴿قال أبو محمد﴾ أخبر الله عز وجل عن عنادهم وكفرهم وتكبرهم وتمسكهم بآلهتهم فى أول السورة فقال (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وشِقَاقٍ) وحكى قولهم (أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) أى اذهبوا ودعوه وتمسكوا بآلهتكم ، فقال الله عز وجل أعندهم بآلهتهم هذه خزائن الرحمة (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ)أى فى أبواب السماء وأبواب السماء أسبابها كما قال زهير : —

* ولو رام أسبابَ السماء بسلَّم *(١)

ويكون أيضا (فَلْيَرْتَقُوا بالأَسْبَابِ) أى فى الجبال إلى السماء كما

---

(١) صدره : ومن هاب أسباب المنية يلقها

سألوك أن ترقى فى السماء وتأتيهم بكتاب ، ويقال للرجل إذا تقدم فى العلم وغيره وبرع: قد ارتقى فى الأسباب كما يقال قد بلغ السماء . ونحو هذا قولهم فى موضع آخر ـ أم لهم سُلَّم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ـ وهو كله توبيخ وتقرير بالعجز ثم قال بعد (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ) وجند بمعنى حزب لهذه الآلهة وما زائدة ومهزوم مقموع ذليل . وأصل الهزم الكسر ومنه قيل للنقرة فى الأرض هزمة أى كسرة وهزمت الجيش وتهزمت القربة إذا انكسرت يقول : هم حزب عند ذلك مقموع ذليل (مِنَ الأَحْزَابِ) أى عند هذه المحن وعند هذا القول لأنهم لا يقدرون أن يدعوا لآلهتهم شيئا من هذه ولا لأنفسهم بها . والأحزاب سائر من تقدمهم من الكفار سموا أحزابا لأنهم تحزبوا على أنبيائهم يقول الله عز وجل على إثر هذا الكلام (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ) وكذا وكذا ، ثم قال تعالى (أُولَئِكَ الأَحْزَابُ) فأعلمنا تبارك وتعالى أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب. وكان ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه يذهب إلى أن الله عز وجل أخبر رسوله ﷺ أنه سيهزم المشركين يوم بدر ﴿غ﴾ (وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ) ذو البناء المحكم ، والعرب تقول هم فى عز ثابت الأوتاد وملك ثابت الأوتاد ، يريد أنه دائم شديد ، وأصل هذا أن البيت من بيوتهم يثبت بالأوتاد ، قال الأسود بن يعفر : —

* فى ظِلِّ مُلْكٍ ثابت الأوتاد *

وقال قتادة وغيره هى أوتاد كانت لفرعون يعذب بها الرجل فيمده

بين أربعة منها حتى يموت (وَالأَيْكَةُ) الغيضة (أُولَئِكَ الأَحْزابُ)
يريد الذين تحزبوا على أنبيائهم (مالَهَا مِنْ فَواق) قال قتادة: مالها من مثنوية
وقال أبو عبيدة : من فتحها أراد مالها من راحة ولا إفاقة كأنه يذهب بها
إلى إفاقة المريض من علته، ومن ضمها جعلها فواق الناقة وهى ما بين الحلبتين
يريد مالها انتظار والفُواق والفَوق واحد كما يقال جمام المكوك وجمامه وهو
أن تحلب الناقة وتترك ساعة حتى ينزل شيء من اللبن ثم تحلب، فما بين الحلبتين
فواق فاستعير الفواق فى موضع التمكث والانتظار (عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) والقط
الصحيفة المكتوبة وهى الصك . وروى فى التفسير أنهم قالوا ذلك حين أنزل
عليه ـ فأما من أوتى كتابه بيمينه ـ وشماله يستهزئون، أى عجل لنا هذا الكتاب
قبل يوم الحساب فقال الله تعالى (اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذكر عَبْدَنَا داود
ذَا الأَيْدِى إنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع تواب (وَفَصْلَ الخِطَابِ) يقال أما بعد ويقال
الشهود والايمان لأن القطع فى الحكم بهم (تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ) أى صعدوا
(وَلا تُشْطِطْ) لا تجرى علينا يقال أشططت إذا جرت وشطت الدار إذا
بعدت فهى تَشُطُّ وتَشِطُّ (فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أى ضمها إلى واجعلنى كافلها
(وَعَزَّنِى فِى الخِطَابِ) أى غلبنى فى القول ويقال صار أعزمنى يقال عازته
فعززته وعزنى (وَاهْدِنَا إلى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) أى قصد الطريق (بِسُؤَالِ
نَعْجَتِكَ إلَى نِعَاجِهِ) أى مضمومة إلى نعاجه فاختصر ويقال إلى بمعنى مع
(وَالخلطَاءِ) الشركاء (لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى) تقدم وقربة (وَالصَّافِنَاتُ الجِيَادُ)
الخيل ويقال هى القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف

الحافر من يد كان أو رجل هـذا قول بعض المفسرين والصافن فى كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها قال ﷺ : « من سره أن يقوم الرجال له صفوناً فليتبوأ مقعده من النار » أى يديمون له القيام (فَطَفِقَ مَسْحاً) أى أقبل يمسح بضرب سوقها وأعناقها (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) يقال شيطان ويقال صنم (رُخَاءً) أى رخوة لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أى حيث أراد من النواحى قال الأصمعى : العرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب أى أراد الصواب (الأَصْفَادُ) الأغلال فى التفسير (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) أى فاعط أو أمسك كذا قيل فى التفسير، ومثله ـ ولا تمنن تستكثر ـ لا تعط لتأخذ من المكافأة أكثر مما أعطيت قال الفراء . أراد هـذا عطاؤنا فمُنّ به فى العطية ، أراد أنه إذا أعطاه فهو مَنٌّ فسمى العطاء منا (النُّصْب)والنَّصَب واحد مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال أبو عبيدة النصب الشر والنصب الاعياء (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) أى اضرب برجلك ومنه ركضت الفرس (والْمُغْتَسَلُ) الماء وهو الغسول أيضا (والضِّغث) الحزمة من الخلا والعيدان (أتراب) أسنان واحدة (الْغَسَّاق) مايسيل من جلود أهل النار وهو الصديد يقال غسقت عينه إذا سالت ويقال هو البارد المنتن (وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ) أى من نحوه (أَزْوَاجٌ) أصناف قال قتادة هو الزمهرير (مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) أى من سنه وشرعه (أَتَّخَذْنَاهُم سِخْرِيًّا) أى كنا نسخر منهم ومن ضم أوله جعله من السخرة أي يتسخرونهم لهم تذلون لهم كذلك قال أبو عبيدة .

غريب سورة الزمر ومشكلها

(لَوْ أرَادَ اللهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)أى لاختار مايشاء من خلقه لو كان فاعلا (يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النهارِ) قال أبو عبيدة يدخل هذا على هذا ،وأصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة ومنه قوله ـ إذا الشمس كورت ـ أى جمعت ولفت (وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أزْوَاجٍ) أى ثمانية أصناف وهى التى ذكر الله عز ذكره فى سورة الأنعام(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أى علقة بعد نطفة ومضغة بعد علقة (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) يقال ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن (أمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ)أى مصل وأصل القنوت الطاعة وما قد ذكر فى موضعه(آنَاءَ اللَّيْلِ)أى ساعاته(فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ) أى أدخله فجعله ينابيع عيوناً تنبع (ثُمَّ يَهِيجُ) أى ييبس(ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً) مثل الرفات والفتات (كِتَاباً مُتَشَابِهاً) يشبه بعضه بعضا ولا يختلف(مَثَانِيَ) أى تثنى فيه القصص والانباء وذكر الثواب والعقاب (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)من آية العذاب وتلين من آية الرحمة (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) أى مختلفون يتنازعون ويتشاحون فيه يقال رجل شكس قال قتادة : هو الرجل الكافر والشركاء الشياطين (وَرَجُلاً سَالِماً لِرَجُلٍ) هو المؤمن يعمل لله وحده ومن قرأ (سَلَماً لِرَجل) أراد سلّم اليه فهو سلَم (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ)هو النبي ﷺ (وَصَدَّقَ بِهِ) هم أصحابه رضى الله

عنهم . قال أبو عبيدة : الذى جاء بالصدق فى موضع جميع وهى فى قراءة عبد الله رضى الله عنه ـ والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به ـ وقوله (يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ) هو من استيفاء العدد واستيفاء الشىء إذا استقصيته كله يقال توفيته واستوفيته كما يقال تيقنت الخبر واستيقنته وتثبت فى الأمر واستثبت هذا هو الأصل ثم قيل للموت وفاة وتوف،والعرب تسمى الدم نفسا لاتصال النفس به على مذهبهم فى تسمية الشىء بما اتصل به أو جاوره أو كان سببا له ويقولون نفست المرأة فهى نفساء وأصحاب اللغة : سميت المرأة نفساء لسيلان الدم.وقال إبراهيم كل شىء ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء إذا سقط فيه.يريد كل شىء ليس له دم سائل.وتسمى العرب النفس نسمة وأصل النسمة النفس وروى فى بعض الاحاديث : « تنكبوا الغبار فان منه تكون النسمة » يراد منه تكون النفس والربو سمى نفسا لأنه عن النفس يكون،والعرب تقول : مات فلان حتف نفسه وحتف أنفه ، إذا مات على فراشه لأنه لا يزال يتنفس حتى يموت فتخرج نفسه نفسا من أنفه وفمه (وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يقال إنهم عملوا فى الدنيا أعمالا كانوا يرون أنها تنفعهم فلم تنفعهم مع شركهم عافانا الله من الشرك برحمته (بِمَفَازَتِهِمْ) من العذاب اى بمنجاتهم (فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّموٰاتِ) أى ماتوا (إلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ) يقال الشهداء (وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا) أضاءت (لَهُ مَقَالِيدُ السَّموٰاتِ وَالأَرْضِ) أى مفاتيحها وخزائنها واحدها إقليد يقال هو فارسى معرب اكليد (وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ) أى أرض

الجنة (نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) أي ننزل منها حيث نشاء .

﴿ غريب سورة المؤمن ومشكلها ﴾

﴿ وهى أول آل حاميم ﴾

(الطَّوْلُ) الفضل يقال طُل علي برحمتك أي تفضل (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) أي تصرفهم في البلاد للتجارة وما يكسبون ومثله — لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل — (وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) أي ليهلكوه من قوله (فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) ويقال ليحبسوه وليعذبوه ويقال للأسير أخيذ (يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ) إياكم في الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان فلم تؤمنوا (أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) حين رأيتم العذاب (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) مثل قوله — كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم — وقد تقدم ذكر هذا في سورة البقرة (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا) أي تصدقوا (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ) أي الوحي وقد ذكرنا الوحي ووجوهه فيما سلف فأغنى عن إعادته ثانية (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) قال قتادة همزه بعينه وإغماضه فيما لايحب الله . والخيانة والخائنة واحد أي لايزال يطلع على خائنة منهم (يَوْمَ التَّنَادِ) يوم ينادي الناس ينادي بعضهم بعضا ومن قرأ التنادّ بالتشديد فهو من نديند إذا مضى على وجهه يقال ندت الابل إذا شردت وذهبت (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ)

أى أبوابها (فِى تَبَابٍ) أى فى بطلان وكذلك الخسران ومنه ـ تبت يدا أبى لهب ـ وقوله ـ وما زادوهم غير تتبيب (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى بغير تقدير (وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَاهُمْ بِبَالِغِيهِ) أى تكبر عن محمد صلوات الله وسلامه عليه وطمع أن يقتلوه وما هم ببالغى ذلك (دَاخِرِينَ) صاغرين (ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ) أى تبطرون وقد ذكر هذا فى القصص (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ) قال قتادة رحلةً من بلدٍ إلى بلدٍ (فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى رضوا به (سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ) وسنته فى الخالين أنهم إذا رأوا العذاب فلا ينفعهم إيمانهم .

﴿ غريب حم فُصِّلت ومشكلها ﴾

قوله (وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ) أى صَمَمٌ (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) جمع قوت وهو ما أوتيه ابن آدم لأكله ومصلحته (سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) قال قتادة من سأل فهو كلٌّ قال الله عز وجل (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) أى عمد لها (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) أى صنعهن وأحكمهن قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تُبَّعُ

(قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) هو مجاز ونذكر باب المجاز إن شاء الله عز وجل

باب المجاز

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما المجاز فمن جهته غلط كثير من الناس فى التأويل وتشعبت بهم الطرق واختلفت النحل . والنصارى تذهب فى قول المسيح عليه السلام فى الانجيل ادعوا بى، وأذهب إلى أبى ، وأشباه هذا، إلى أبوّة الولادة ، ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصة دون غيره ماجاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل فى الله عزوجل تعالى عما يقولون علواً كبيراً، مع سعة المجاز ، فكيف وهو يقول فى كثير من المواضع لغيره كقوله حين فتح فاه بالوحى « إذا تصدقت فلا تعلم شمالك ماصنعت يمينك ، فان أباك الذى يرى الخفيات يجزيك به علانية، واذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك، واذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك » وقد قرأوا فى الزبور أن الله عز وجل قال لداود عليه السلام « سيولد لك غلام يسمى لى ابناً، واسمى له أباً » وفى التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام « أنت بكرى » وتأويل هذا أنه فى رحمته وبره وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده. ولذلك قال المسيح عليه السلام للماء هذا أبى . وللخبز هذا أمى . لأن قوام الأبدان وبقاء الروح عليهما فهما كالأبوين اللذين منهما النشأة وبحضانتهما النماء . وكانت العرب تسمى الأرض أما لأنها مبتدأ الخلق وإليها مرجعهم ، ومنها أقواتهم ، وفيها كفاتهم . قال أمية بن أبى الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمَّنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وقال يذكرها : --

منها خلقنا وكانت أمنا خلقت ونحن أبناؤها لو أننا شكر

هى القرار فلا نبغى بها بدلا ما أرحم الأرض إلا أننا كفر

وقال الله عز وجل فى الكافر — فأمه هاويه — لما كانت الأم كافلة الولد وغاذيته ومأواه ومربيته ، وكانت النار للكافر كذلك ، جعلها أمه ، وقال فى أزواج رسوله الكريم عليه صلوات الله وأطيب التسليم — وأزواجه أمهاتهم — أى كأمهاتهم فى الحرمات ، رضوان الله عليهن . وفى التوراة « أن الله تبارك وتعالى برك اليوم السابع وطهره من أجل أنه استراح فيه من خليقته التى خلق » وأصل الاستراحة أن تكون فى معاناة شىء ينصبك ويتعبك فتستريح ، ثم قد ينتقل ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ ، تقول فى الكلام : استرحنا من حاجتك وأمرنا بها ، يراد بذلك فرغنا ، والفراغ أيضا يكون من الناس بعد شغل ، ثم قد ينتقل فيصير فى معنى القصد للشىء ، لأن فرغت لك أى قصدت قصدك ، وقال الله عز وجل — سنفرغ لكم أيها الثقلان — والله تعالى جده لا يشغله شأن عن شأن ، ومجازه سنقصد لكم بعد طول الترك والامهال . وقال قتادة : قد دنا من الله فراغ لخلقه ، يريد أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها . وتأول قوم فى قول الله عز وجل — فى أى صورة ماشاء ركَّبك — معنى التناسخ ، ولم يرد الله عز وجل فى هذا الخطاب إنسانا بعينه ، وإنما خاطب به جميع

الناس كافة ، كما قال تعالى ـ ياأيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا ـ وكما يقول القائل : يا أيها الرجل . وكلنا ذلك الرجل فأراد أنه صورهم وعدلهم ، وفى أى صورة شاء ركبهم ، من حسن وقبح ، وبياض وسواد ، وأدمة وحمرة ؛ ونحوه قوله . — ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم — وذهب قوم فى قول الله تعالى وكلامه العزيز الكريم إلى أنه ليس قولا ولا كلاما على الحقيقة ، وإنما هو إيجاز للمعانى ، وصرفوه فى كثير من القرآن العزيز الكريم عن المجاز كقول القائل . قال الحائط فمال ، وقل برأسك إلى ؛ يريد بذلك الميل خاصة ، والقول فصل . وقال بعضهم فى قول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام — اسجدوا لآدم ـ هو إلهام منه للملائكة كقوله تعالى ـ وأوحى ربك إلى النحل ـ أى ألهمها وكقوله عز وعلا ـ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء ـ وذهبوا فى الوحى هاهنا إلى الالهام ، وتأولوا فى قوله عز وجل للسماء والأرض ـ ائتياطوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ لم يقل الله تعالى ولم تقولا ، وكيف يخاطب معدوما ؟ وإنما هو عبارة لكونهما فكانتا ، كما قال الشاعر حكاية عن ناقته .

تقول إذا دَرأْتُ لها وضينى أهـذا دأبه أبداً ودينى
أكلّ الدهر حـلٌّ وارتحال أما يُبقى علىّ ولا يقينى

وهى لم تقل شيئا من هذا ولكنه رآها فى حال الجهد والكلال فقضى

عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل هذا الذى ذكر عنها ، وكقول الآخر :

* شكا إلىّ جملى طول السُّرى *

والجمل لم يشك ولكنه خبر عن كثرة أسفاره وإتعابه جمله فقضى عليه بأنه لو كان متكلما لاشتكى مابه . وكقول عنترة في فرسه : ـ

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلىّ بعبرة وَتَحَمْحُمِ

لما كان الذى أصابه يشتكى مثله ويستعبر منه ، جعله مشتكيا مستعبرا من أجله ، وليس هناك شكوى ولا عبرة . قالوا : ونحو هذا قوله تعالى ـ يوم تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ـ ليس يومئذ قول منه عز وجل لجهنم ، ولا قول من جهنم له تبارك وتعالى ، وإنما هو عبارة عن سعتها ؛ وفي قوله ـ تدعو من أدبر وتولى ـ يريد أن مصير من أدبر وتولى اليها فكأنها الداعية لهم كما قال ذوالرمة : ـ

دعت ميّة الاعدادواستبدلت بها خناطيل آجال من العِين خُذّل

والاعداد المياه ، لما انتقلت مية اليها ورغبت عن مائها كانت كأنها دعتها وكقول الآخر : ـ

ولقد هبطتُ الواديين وواديا يدعو الانيسَ بهالغضيضُ الأبكمُ

والغضيض الابكم الذباب ، يريد أنه يطن فيدل بطنينه على النبات والماء كأنه دعاء منه . وقال أبو النجم يذكر نبتا : ـ

مستأسدا ذبّانه في غيطَلِ يقلْنَ للرائد اعشبت انزل

ولم يقل الذباب شيئا من هذا ، ولكنه لما كان المكان كذلك دل على نفسه بطنينه ، ودل مكانه على المرعى لأنه لايجتمع إلا فى عشب ، فكأنه قال للرائد : هذا عشب فانزل . وقال آخر يصف ذئبا يستخبر الريح :

إذا لم يسمع بمثل مقراع الصفا المرقع . يريد أنه يتشمم ثم يتبع الرائحة بخطم كأنه الفأس التى يكسر بها الصخر ، فجعل تشممه استخبارا ﴿قال أبو محمد﴾ وقد تبين لمن عرف اللغة أن القول يقع فيه المجاز ، فيقول قال الحائط فمال ، وقل برأسك إلى ، أى أمله ، وقالت الناقة ، وقال البعير ، ولا يقال فى مثل هذا الكلام تكلم ، ولا يعقل الكلام إلا النطق بعينه خلا موضع واحد ، وهو أن يتبين فى شىء من الموات عبرة وموعظة فيقول : خبر وتكلم ، وذكر ، لأنه دلك بمعنى فيه ، فكأنه كلمك قال الشاعر : —

وعظتكَ أجداث صُمُتْ ونعتك أزمنة خُفُتْ
وتكلمتْ عن أوجهٍ تبْلَى وعن صور سُبُتْ
وأرتك قبرك فى القبو روأنت حىّ لم تمتْ

وقال الكميت يمدح رجلا

أخبرتْ عن فعاله الأرض واسـ تنطق منها اليباب والمعمورا

اليباب الخالى ، أراد أنه حفر فيها الأنهار ، وغرس الأشجار ، وأثر الآثار ، فلما تبينت للناظر صارت كأنها مخبرة . وقال عوف بن الخرع يذكر الدار : —

وقفتْ بها ماتُبِين الكلا م لسائلها القولَ إلاّ سرارا

يقول: ليست تبين الكلام لمخاطبها إلا أن ظاهر مايرى دليل على الحال فكأنه سرار من القول، ولهذا قالت الحكماء: كل صامت ناطق، يريدون أن أثر الصنعة فيه يدل على محدثه ومدبره. ومن هذا قول الله عز وجل ـ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ـ أى أنزلنا عليهم برهانا يستدلون به فهو يدلهم. وتبين له أيضا أن أفعال المجاز لاتخرج منها المصادر ولا تؤكد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة. وقالت الشجرة فمالت، ولا تقول قالت الشجرة فمالت قولا شديدا، والله سبحانه يقول ـ وكلم الله موسى تكليما ـ فوكد بالمصدر معنى الكلام ونفى عنه المجاز وقال ـ إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ـ فوكد القول بالتكرار ووكد المعنى بإنما. وأما قول من قال منهم: إن قوله للملائكة ـ اسجدوا لآدم ـ إلهام ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ـ أى إلهاما، فما ينكر أن القول قد يسمى وحيا، والإيماء وحيا، والرمز بالشفتين والحاجبين وحيا، والإلهام وحيا، وكل شىء دللت به فقد أوحيت به، غير أن إلهام النحل تسخيرها لاتخاذ البيوت وسلوك السبل والأكل من كل الثمرات. قال العجاج وذكر الأرض —

* وحى لها القرار فاستقرت *

أى سخرها لأن تستقر فاستقرت وأما قوله جل ثناؤه ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا فيوحى

باذنه مايشاء ـ فالوحى الأول ما أراه الله الأنبياء فى منامهم ، والكلام من وراء حجاب تكليمه موسى عليه السلام ، والكلام بالرسالة إرساله الروح الامين بالروح من أمره إلى من يشاء من عباده ، ولا يقال لمن ألهمه الله كلمه الله لما أعلمتك به من الفرق بين الكلام والقول ، ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس وطول مراجعته إياه فى السجود والخروج من الجنة والنظرة إلى يوم البعث إلهاما، هذا مالا يعقل ، وإن كان ذلك تسخيرا فكيف يسخر لشىء يمتنع منه ، وأما تأولهم فى قوله جل وعز للسماء والأرض ـ ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ إنه عبارة عن تكوينه لهما، وقوله لجهنم ـ هل امتلأت وتقول هل من مزيد ـ إنه إخبار عن سعتها فما يحوج إلى التعسف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة ، وما ينفع من وجود ذلك فى الآية والآيتين والمعنى والمعنيين ، وسائر ماجاء فى كتاب الله العزيز من هذا الجنس وفى حديث رسول الله ﷺ ممتنع على مثل هذه التأويلات ، وما فى نطق جهنم وفى نطق السماء والأرض من العجب ، والله سبحانه يُنطق الجلود والأيدى والأرجل ويسخر الجبال والطير بالتسبيح ، قال الله عز وجل ـ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ، والطير محشورة كل له أواب ـ وقال تعالى ـ ياجبال أوبى معه والطير ـ أى سبحى وقال ـ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ وقال فى جهنم ـ تكاد تميز من الغيظ ـ أى تنقطع غيظا عليهم كما تقول فلان يتقد غيظا عليك ، وقال ـ إذا رأتهم من مكان بعيد

سمعوا لها تغيظا وزفيرا – وروى فى الحديث أنها تقول « قطقط » أى حسبي حسبي . وهذا سليمان ﷺ يفهم منطق الطير وقول النمل والنمل من الحكل والحكل مالا يسمع له صوت قال رؤبة :

لو كنتُ أوتيت علم الحُكْلِ ... علم سليمان كلام النمل

وقال العمانى يمدح رجلا :

ويفهم قول الحكل لو أنّ ذرّةً ... تساود أخرى لم يفته سِوادُها

والسواد السرار، جعل قولها سراراً لأنها لا تصوت. وهذا رسول الله ﷺ تخبره الذراع المسمومة ، ويخبره البعير أن أهله يجيعونه ويذيبونه ، فى أشباه لهذا كثيرة ، وأنكروا مع هذا السحر إلا من جهة الحيلة ، وقالوا رقاة التميمة يفرق بها بين المرء وزوجه ، والكذب تصرف به القلوب عن المحبة إلى البغضة ، وعن البغضة إلى المحبة ، وقالوا : منه السموم يسحر بها فيقطع عن النساء وتحث الشعر ، وتغير الخلق ، والله سبحانه يقول – ومن شر النفاثات فى العقد – فأعلمنا أنهن ينفثن ، والنفث كالتفل كما ينفث الراقى فى عقد يعقد بها ، وقال الشاعر : —

ويعقد سحر البابليين طَرفُها ... مرارا ويَسْقينا سُلافا من الْخَمْرِ

فأراد أن طرفها يذهب بعقولنا كما يذهب السحر والراح بالعقل ، وقد سحر رسول الله ﷺ وجعل سحره فى بئر ذى أروان واستخرجه على رضى الله عنه منها ، وجعل يحله ، فكلما حل عقدة وجد النبي ﷺ خِفًّا ، فلما فرغ من حله قام النبي ﷺ كأنه نشط من عقال ، وقال الله عز وجل

ـ يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ـ أفتراهما كانا يعلمان التمائم والكذب وسقى السموم ؟ وبمثل هذا النظم أنكروا عذاب القبر ومساءلة الملكين، وحياة الشهداء عند ربهم يرزقون، وأنكروا إصابة العين ونفع الرقى والعوذ وعزيف الجنان وتخبط الشيطان، وتغول الغيلان، فلما رأوا تواطؤ العرب على ذلك وإكثار الشعراء فيه كقول ذي الرمة : —

إذا حثّهنّ الركب في مدلهمّةٍ أحاديثهامثل اصطحاب الضرائر

وكقول زهير:

تسمع للجن عازفينَ بها تضبَحُ من رهبة ثعالبها

في أشباه لهذا كثيرة طلبوا الحيلة فقالوا : علة ما يسمون من هذا ويرون انفراد القوم وتوحشهم في الخلوات والقفار، ومن انفرد فكر وتوهم واستوحش وتخيل فرأى مالا يرى وسمع مالا يسمع كقول حميد بن ثور:

مفزّعةٌ تستحيل الشخو ص من الخوف تسمع مالا ترى

قالوا ومن أحناش الأرض وأجناس الطير في الهامة والرمال مالا يظهر ولا يصوت إلا بالليل كالصدي والبوم والضُّوَّع، واليراع فاذا سمع أحدهم حسيس هامة، أو زقاء بوم، أو رأى لمع يراعة من بعد وجب قلبه وقف شعره وذهبت به الظنون، وقالوا في النهار ساعة تتغير فيها مناظر الأشباح وتتضاعف أعدادها، فربما رؤى الصغير كبيراً والكبير صغيراً، والواحد اثنين

وقد يسمع لأسواط الفلا والحرار مثل الدوى ولذلك قال ذو الرمة :

إذا قال حادينا لتشبيه نبأةٍ صهٍ لم يكن إلاّ دويٌّ المسامع

وبالدوى سميت الفلاة دوية كأن الدو حكاية مايسمعون ثم نسب المكان اليه قال الأعشى :

فوق ديمومة تخيل بالسفـ ـر قفار إلا من الآجال

يريد بقوله تخيل بالسفر أنهم يرونها مرة على هيئة ومرة على هيئة .

وقال كعب بن زهير :

وصرماء مذكار كأن دويها بُعَيدْ جنان الليل مماتُخَيَّلُ

حديث أناسى فلما سمعته إذا ليس فيه ما أبين فأعقل

وقال الأخطل يذكر فلاة رأى فيها الصغير كبيرا :

ترى الثعلب الحولى فيها كأنه إذا ماعلا نشزاً حصان مجلل

وقال النابغة

وحلت بيوتى فى يفاع ممنع تخال به راعى الحمولة طائراً

هذا رأى الكبير صغيراً لأنه فى شرف . وقال ابن أحمد فى تضاعف الاعداد

وازدادت الأشباح أخيلة وتفلل الحرباء بالنفر

﴿قال أبو محمد﴾ وأخشى أن يكون معتقد هذا والقائل به يرقق عن صبوح ويسرحوا فى ارتقاء ، وما على من آمن بالبعث بعد الممات أن يؤمن بعذاب البرزخ وقدخبر به النبي ﷺ ، وقوله قاض على الكتاب ، وبمساءلة

الله يوم القيامة أن يؤمن بمساءلة ملائكته فى القبر . ولم صدق المنذر بما تدعيه فى الفكر والرقا ، وأنكر العين والعوذ ؟ أو ليس الضر بالفكر أعجب من الضر بالعين ، وما على من آمن بأنَّ الشيطان أن يؤمن بتخبطه ، ومن صدق بخلق الغيلان أن يصدق بعزيفها وتغولها ، وما أخرجه إلى تجهيل العرب قاطبة وتغليطها وتكذيبها شاهدها على صدق ماتقول كتاب الله ورسوله ﷺ ، وكتب الله المتقدمة ، وأنبياؤه عليهم السلام ، وأمم العجم كلها ، وقد جعل الله عز وجل الجن أحد الثقلين ، وخاطبهم فى الكتاب كما خاطبنا ، سماهم رجالا فقال تبارك وتعالى ـ وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن ـ وقال فى الحور العين ـ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ـ فدل على أن الجن تطمث كما تطمث الأنس ، وأخبرنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين وقال ـ كالذى يتخبطه الشيطان من المس ـ والمس الجنون سمى مسا لأنه عن إلمام الشيطان بمسه يكون . هذا على أخبار كثيرة صحاح تؤثر عن النبى ﷺ وعن السلف فى الرئى[1] والتجنى من الجن ، وما ينكر مع هذا أن الفلوات قد يعرض فيها ما يذكرون ، ولكن ذلك لايدفع حقائق ما يسمعون ويبصرون ، ولم تكن العرب طرا مع أفهامها وألبابها لتتواطأ على تخيل وظنون ، ولا كل ما أسمعه الخوف وأراه الجبن فهذا أبو البلاد الطهرى ، وتأبط شرا وهما من مردة العرب ، وشياطين الأنس ، يصفان الغول ويجليانها ، ويساورانها ، وهذا أبو أيوب الانصارى

(١) الرئى بالكسر لغة تميم والرئى بالفتح أكثر

رضى الله عنه يأسرها ، وهذا عمر رضوان الله عليه يصارع الجنّ . وما جاء فى هذا أكثر من أن نحيط به ، فمن آمن بمحمد ﷺ وبأن ماجاء به هو الحق، آمن بجميع هذا وشرح صدرا به ، ومن أنكره لأنه لا يؤمن إلا بما أوجبه النظر والقياس على ماشاهد ورأى فى الموات والحيوان ، فماذا أبقى للمسلمين؟ وأى شىء ترك للملحدين ؟ . تم القول فى المجاز إلا أقله وهو مذكور فى سورة الانعام .

رجع القول إلى ذكر الغريب قوله عز وجل (وَأَوحَىٰ فِى كُلِّ سماء أَمْرَهَا) أى جعل فى كل سماء ملائكة (الرِّيحُ الصَّرْصَر) الشديد (فى أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال قتادة : نكدات مشؤومات . قال الشاعر :—

فسيروا لقلب العقرب اليوم إنه سواء عليكم بالنحوس وبالسعد

(عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان (فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) أى دعوناهم ودللناهم (وَجُلُودُهُم) كناية عن الفروج (وأَرْدَاكُمْ) أهلككم (وَالْغَوْا فِيهِ) الغطوا فيه (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أقدامنا) يقال إبليس وابن آدم الذى قتل أخاه فسن القتل (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أى آمنوا ثم استقاموا على طاعة الله عز وجل قال النبى ﷺ « واستقيموا ولن تحصوا » (نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أى رزقاً (اهتَزَّتْ) أى اهتزت بالنبات (وَرَبَتْ) علت وانتفخت (لَا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) قالوا لا يستطيع الشيطان أن يبطل عنه حقاً ولا يحق باطلا (مَايُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَاقَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) يعزيه ، أى قد قيل

للرسل قبلك ساحر وكذاب كما قيل لك (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) أي هلا فصلت آياته أي نزلت عربية مفصلة بالآي كان التفصيل للسان العرب ثم ابتدأ ، فقال (أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) حكاية عنهم وكانوا يعجبون : فيقولون أكتاب أعجمي ونبي عربي ؟ كيف يكون هذا ؟ فكان ذلك أشد لتكذيبهم (أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) لقلة أفهامهم يقال للرجل الذي لا يفهم أنت تنادي من مكان بعيد (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا) أي من المواضع التي كانت فيها مستترة وغلاف كل شيء كمه وإنما قيل كم القميص من هذا (وَقَالُوا آذَنَّاكَ) أي أعلمناك هذا من قول الآلهة التي كانوا يعبدون في الدنيا (مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) لهم بما قالوه وادعوه فينا (فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) أي كثير إن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) قال مجاهد فتح القرى وقال في أنفسهم فتح مكة (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) أي في شك

غريب سورة حم عسق ومشكلها

قوله (يَتَفَطَّرْنَ) يتشققن من جلال الله تعالى وعظمته (لِتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة كما قال — لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً — أي ببأس شديد (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً) يريد الاناث (وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً) يريد جعل للانعام منها أزواجا أي اناثا (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) أي يخلقكم في الرحم أو في الزوج (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)

أى ليس كهو شىء، والعرب تقيم المثل مقام النفس فيقال مثلى لا يقال له هذا، لا يقال لى أى أنا (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) أى مفاتيحها ومالك المفاتيح مالك الخزائن واحدها إقليد جمع على غير واحد كما قالوا مذاكير جمع ذكر وقالوا: محاسن جمع حسن (اللّٰهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ) أى العدل (مُشْفِقُونَ مِنْهَا) أى خائفون (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ) أى عمل الآخرة يقال فلان يحرث للدنيا أى يعمل لها ويجمع المال ومنه قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» ومن هذا سمى الرجل حارثا وإنما أراد من كان يريد بحرثه الآخرة أى بعمله (نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ) أى نضاعف له الحسنات (وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) أى أراد بعمله الدنيا آتيناه منها (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) وهم الآلهة جعلها شركاءهم لأنهم جعلوها شركاء الله عز وجل فأضافها اليهم لادعائهم فيها ما ادعوا وكذلك قوله (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَىْءٍ) أى من الشركاء الذين ادعيتموهم لى (شَرَعُوا لَهُمْ) أى ابتدعوا لهم (وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق الفصل بأن الجزاء يوم القيامة لقضى بينهم فى الدنيا (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى القُرْبَى) قال قتادة لا أسألكم أجراً على هذا الذى جئتكم به إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وكل قريش بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة

قال مجاهد رحمه الله لم يكن من قريش إلا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الحسن رحمه الله إلا أن تتوددوا إلى الله عز وجل بما يقربكم منه (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً) أى يكتسب (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا) أى يجيبهم كما قال * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ) أى نشر (وَمِنْ آيَاتِهِ الجوارى) يعنى السفن (كالأَعْلَامِ) واحدها علم (فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلى ظَهْرِهِ) أى سواكن على ظهر البحر (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) يقال فلان أوبقته ذنوبه وأراد أهل السفن (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) أى يتشاورون فيه (يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) أى قد غضوا أبصارهم من الذل (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وإِنَاثًا) أى يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات تقول العرب زوجت إبلى أى قرنت بعضها ببعض وزوجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيراً بصغير (أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً) فى المنام (أَوْ مِنْ وَرَاء حِجَابٍ) كما كلم موسى ﷺ (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً) أى ملكا فيكلمه عنه بما يشاء

﴿ غريب سورة الزخرف ومشكلها ﴾

قوله عز وجل (فإِنَّهُ فى أُمِّ الْكِتَاب) أى فى أصل الكتاب عند الله تعالى (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحاً) أى نمسك عنكم فلا نذكركم (صَفْحاً) أى إعراضا يقال صفحت عن فلان أى أعرضت عنه والأصل فى ذلك أنك توليه صفحة عنقك قال كثير يذكر امرأة

صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة　　فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أي معرضة بوجهها يقال ضربت عن فلان كذا إذا أمسكت وأضربت عنه (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) أي لأن كنتم قوما مسرفين (وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) أي مطيقين ويقال أنا مقرن لك اى مطيق لك ويقال هو من قولهم أنا قرن لفلان إذا كنت مثله فى الشدة وإن فتحته فقلت أنا قرن لفلان إذا أردت أنا مثله فى السن (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) أى نصيبا ويقال شبها ومثلا إذ عبدوا الملائكة والجن وقال أبو إسحاق: إن معنى جزءاً هاهنا بنات يقال له جزء من عيال أى بنات قال وأنشدنى بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى جزء معنى إناث قال ولا أدرى البيت قديم أم مصنوع :

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب　　قد تجزىء الحرة المذكار أحيانا

بمعنى إن أجزأت أى أنثت أى أتت بأنثى وقال المفضل بن سلمة : حكى لى بعض أهل اللغة أجزأ الرجل إذا كان يولد له بنات، وأجزأت المرأة إذا ولدت البنات وأنشد المفضل :

زوجتها من بنات الأوس مجزئة　　للعوسج اللدن فى أبياتها زجل

يريد بالعوسج المغازل (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ) أى ربى فى الحلى يعنى البنات يريد جعلتم البنات لله وأنتم إذا ولد لأحدكم بنت (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) أى حزين (وَالْخِصَامُ) جمع خصم ويكون مصدر خاصمت (غَيْرُ مُبِينٍ) للحجة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا) أى عبيده عبد وعباد (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ) يعنى لا إله

إلا الله(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) أي على دين واحد (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي كفاراً كلهم (وَالْمَعَارِجُ) الدرج يقال عرج أي صعد ومنه المعراج كأنه سبب إلى السماء أو طريق (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) أي يعلون يقال ظهرت على البيت إذا علوت سطحه (وَالزُّخْرُفُ) الذهب (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ) أي يُظلم بصره عنه هذا قول أبي عبيدة قال الفراء :(ومن يعش عن ذكر الرحمن)أي يعرض عنه ومن قرأ (وَمَنْ يَعْشَ) بنصب الشين أراد يعمى عنه . وقال في موضع آخر ـ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ـ ﴿قال أبو محمد﴾ ولا أرى القول إلا قول أبى عبيدة ولا أرى أحداً يجيز عشوت عن الشيء أعرضت عنه ، وإنما يقال تعاشوت عن كذا أى تغافلت عنه كأنى لم أره،ومثله تعاميت والعرب تقول عشوت إلى النار إذا استدللت اليها ببصر ضعيف قال الحطيئة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقدِ

ومنه حديث ابن المسيب رضى الله عنه إن إحدى عينيه ذهبت وهو يعشو بالأخرى،أى يبصر بها بصرا ضعيفا (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) أى شرف لكم يعنى القرآن (وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ) عن الشكر عليه (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) أى سل من أرسلنا اليه رسولا من رسلنا قبلك يعنى أهل الكتاب والكلام تعريض قد كتبناه فى باب التعريض عند قوله ـ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك ـ وعند قوله ـ ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ـ فأغنى عن إعادته هنا

(أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) قال أبو عبيدة أراد بل أنا خير وقال الفراء : أخبرني بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القراء قرأ ـ أما أنا خير ـ وقال لي هذا الشيخ لو حفظت الأثر لقرأت به وهو جيد في المعنى (فَلَمَّا آسَفُونَا) أي أغضبونا والأسف الغضب يقال أسفت آسف أسفا أي غضبت (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) أي قوما تقدموا (وَمَثَلاً) عبرة وقرأها الأعرج سُلُفا كما قيل اللام واحدته سلفة من الناس مثل القطعة تقول تقدمت سلفة من الناس وقرئت سُلُفًا كما قيل خشب وخُشُبٌ وثَمَرٌ وثُمُرٌ ويقال هو جمع سليف وكله من التقدم (إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي يضجون يقال صددت أصد إذا ضججت والتصدية منه وهو التصفيق والتاء فيه مبدلة من دال كأن الأصل فيه صددت بثلاث دالات فقلبت الأخرى ياء فقالوا صديت كما قالوا قصيت أظفاري والأصل قصصت ومن قرأ ـ يصُدون ـ أراد يعدلون ويعرضون (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) أي نزول المسيح عليه السلام يعلم به قرب الساعة ومن قرأ علَم للساعة فانه بمعنى العلامة والدليل (يُحْبَرُونَ) أي يسرون والحبرة السرور (وَالأَكْوَابُ) الأباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب (وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) أي يائسون من رحمة الله (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً) أي أحكموه ﴿ومن المشكل﴾ قوله عز وجل (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) أي الموحدين ومن وحد الله سبحانه فقد عبده ومن جعل له ولدا ونداً فليس من العابدين وإن اجتهد. ومنه قوله ـ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ أي ليوحدون

وقال مجاهد : يريد إن كان لله ولد فى قولكم فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم فيما تقولون. وبعض المفسرين يجعل أن بمعنى ما ﴿قال أبو محمد﴾ وليس يعجبنى ذلك ويقال (العابدون) الغضاب الأنفون يقال عبدت من كذا كذا فأنا أعبد عبدا وأكثر ماتأتى الأسماء من فعل يفعل على فعل كقولك وجل يوجل فهو وجل وفزع يفزع فهو فزع . وربما جاء على فاعل نحو علم يعلم فهو عالم . وربما جاء منه فعل وفاعل نحو صدى يصدى فهو صدو صاد وكذلك تقول عبد يعبد فهو عبد وعابد قال الشاعر :

* وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ *

أى آنف أن تهجى تميم من أجل دارم ﴿غ﴾ (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ) أى أعرض عنهم .

﴿ غريب سورة الدخان ومشكلها ﴾

قوله (يُفْرَقُ) أى يفصل (يَوْمَ تَأْتِى السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) أى بجدب يقال إن الجائع فيه كان يرى بينه وبين السماء دخانا من شدة الجوع ويقال بل قيل للجوع دخان ليبس الأرض فى سنة الجدب وانقطاع النبات وارتفاع الغبار، فشبه مايرتفع منه بالدخان كما قيل لسنة المجاعة غبراء . وقيل جوع أغبر. وربما وضعت العرب الدخان موضع الشر إذا علا فيقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى شركم ويقال إلى الآخرة (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) يعنى يوم بدر (عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ

أَنْ تَرْجُمُون) أى تقتلونى (وإنْ لم تُؤْمِنوا لِى فَاعْتَزِلُونِ) أى دعونى كفافا لا علىّ ولا لى (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا) أى ساكنا ﴿ ش ﴾ ومن المشكل من باب الاستعارة قوله (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ تقول العرب إذا أرادت تعظيم مهْلكِ رجل عظيم الشان رفيع المكان عام النفع كثير الصنائع أظلمت الشمس له وكسف القمر لفقده وبكت الريح والبرق والسماء والأرض. يريدون المبالغة فى وصف المصيبة وأنها قد شملت وعمت وليس ذلك بكذب ، لأنهم جميعا متواطئون عليه ، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه ، وهكذا يفعلون فى كل ما أرادوا أن يعظموه ويستقصوا صفته ، ونيتهم فى قولهم أظلمت الشمس كادت تظلم ، وكسف القمر كاد يكسف . ومعنى كاد همّ أن يفعل ولم يفعل .وربما أظهروا كاد قال ابن مفرغ الحميرى يرثى غلامه

الريح تبكى شجوه والبرق يلمع من غمامه

وقال الآخر

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

أراد الشمس طالعة تبكى عليه وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر لأنها مظلمة — وإنما يكسف بضوئها، فنجوم الليل بادية بالنهار وهذا كقول النابغة وذكر يوم حرب :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الأظلام إظلام

ونحوه قول طرفة فى وصف امرأة

ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر

يقول تشق عليه حتى يظلم نهاره فيرى الكواكب ظهراً والعامة تقول أراني فلان الكواكب بالنهار إذا برح به . وقال الأعشى .

رجعت لما رمت مستحسراً ترى للكواكب ظهراً وبيصا

أى رجعت حسيراً كئيبا قد أظلم عليك نهارك فأنت ترى للكواكب تعالى النهار بريقا . وقد اختلف الناس فى قول الله عز وجل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ) فذهب به قوم مذاهب العرب فى قولهم أبكته الريح والبرق . كأنه يريد أن الله عز وجل حين أهلك فرعون وقومه وغرقهم وأورث منازلهم وجناتهم غيرهم لم يبك عليهم باكٍ ولم يجزع جازعٌ . ولم يوجد لهم فقد .وقال آخرون فما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض فأقام السماء والأرض مقام أهلهما كما قال — واسئل القرية — أى واسئل أهل القرية وقال — حتى تضع الحرب أوزارها — أي حتى يضع أهل الحرب السلاح . وقال ابن عباس رضى الله عنه لكل مؤمن باب فى السماء يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه فاذا مات بكى عليه الباب وبكت عليه آثاره فى الأرض ومصلاه،والكافر لا يصعد له عمل ولا يبكى عليه باب فى السماء ولا أثر له فى الأرض ومنه قوله — وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر — يريد أنهم ينظرون اليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يزلقك من شدته أى يسقطك ومنه قول الشاعر :

يتقارضون اذا التقوا فى موطن نظرا يزيل مواطىء الاقدام

أي ينظر بعضهم الى بعض نظرا شديدا بالبغضاء والعداوة يزيل الأقدام عن مواطئها فتفهم قول الله عز وجل ـ يَكادُوا الذين كفروا ليزْلِقُونَكَ ـ أي يقاربون أن يفعلوا ذلك ولم يفعلوا وتفهم قول الشاعر نظرا يزيل ولم يلق يكاد يزيل لأنه نواها فى نفسه وكذلك قوله تبارك اسمه ـ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ـ إعظاما لقولهم وقوله عز وجل ـ وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ـ وقرأها بعضهم ـ وإن كاد مكرهم ـ وأكثر ما فى القرآن من مثل هذا فانه يأتى بكاد فما لم يأت بكاد ففيه اضمارها كقوله ـ وبلغت القلوب الحناجر ـ أى كادت من شدة الخوف تبلغ الحلوق وقد كتبت بعض هذا الباب فى سورة الأحزاب وسترى بقيته فى سورة الحاقة إن شاء الله عز وجل ﴿غ﴾ (يَوْمَ لا يُغْنى مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا) أى ولىٌّ عن ولىٍّ بالقرابة أو غيرها (وَآتَيْنَاهُم منَ الآيَات مَا فيهِ بَلَاءٌ مُبِين) أى نعم بينة عظام (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) أى بمحيين (طَعَامُ الأَثِيمِ) أى طعام الفاجر (كَالْمُهْلِ) قد تقدم تفسيره (وَالْحَمِيمُ) الماء الحار (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ) اى قودوه بالعنف ويقرأ (فاعتُلُوهُ) يقال جىء فلان يعتل إلى السلطان أى يقاد (الى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أى وسط النار أعاذنا الله من مثل ذلك برحمته (وَالاَسْتَبْرَقُ) ماغلظ من الديباج (والسُنْدُس) مارَقّ منه (كذلك وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ) اى قرناهم بهن (لا يَذُوقُون فِيهَا الْمَوْتَ إلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى) مبين فى سورة هود فى الاستثناء (فَارْتَقِبْ) أى انتظر (إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) أى منتظرون.

﴿ غريب سورة الجاثية ومشكلها ﴾

قوله عز وجل (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) أى أمامهم (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ) أى على ملة ومذهب ومنه يقال شرعت لك هذا وشرع فلان فى كذا أى أخذ فيه ومنه مشارع الماء الفرض التى يشرع فيها الناس والواردة (اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) أى اكتسبوها ومنه قيل لكلاب الصيد جوارح (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ) مرور السنين والأيام (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) على الركب يراد أنها غير مطمئنة (تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) أى إلى حسابها (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ) يريد أنهم يقرؤنه فيدلهم ويذكرهم فكأنه ينطق عليهم (إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى نكتب (قُلْتُمْ مَا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أى مانعلم ذلك إلا ظنا وحدساً وما نستيقنه والظن قد يكون بمعنى العلم قال ـ ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ـ وقال دريد ابن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج   سراتهم بالفارسى المسرد

أى أيقنوا (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ) أى نترككم (كِبْرِيَاءُ اللهِ) شرفه وهو من تكبر إذا أعلا نفسه (وَفَضْلُ اللهِ) عطاؤه وكذلك منّه وهو عطاؤه يقال الله ذو منٍّ عظيم ومنه قوله عز وجل ـ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ـ أى أعط أو أمسك ومنه قوله ـ ولا تمنن تستكثر ـ

أى لا تعط لتأخذ من المكافأة أكثر مما أعطيت .

﴿ غريب سورة الأحقاف ومشكلها ﴾

قوله تبارك وتعالى (وَأَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) أى بقية من علم تؤثر عن الأولين ويقرأ أثرة اسم مبنى على فعلة من ذلك والأول على فعالة (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ) أى بدءاً منهم ولا أولا (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً أى مشقة (وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً) أى مشقة (حَتَّى إذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) قد ذكر (قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) أى ألهمنى والأصل فى الايزاع الاغراء بالشىء يقال فلان يوزع بكذا ومولع (إذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ) واحدها حقف وهو من الرمل ما أشرف من كثبانه واستطال وانحنى (أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا) أى لتصرفنا (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً) والعارض السحاب (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) أى فيما لم نمكنكم فيه، وإن بمعنى لم ويقال بل هى زائدة والمعنى مكناهم فيما مكناكم فيه (فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قرباناً آلِهَةً) أى اتخذوهم آلهة يتقربون بهم إلى الله عز وجل (فَلَمَّا قُضِيَ) أى فرغ من قراءته

﴿غريب سورة القتال ومشكلها﴾

قوله (أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) أبطلها ويقال ضل الماء فى اللبن إذا غلب عليه فلم يتبين (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم) أى سترها (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أى حالهم (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) أى يضع أهل الحرب السلاح قال الأعشى:

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا

ومن نسج داود يحدى بها على أثر الحى عيرا فعيرا

وأصل الوزر ماحملته فسمى السلاح أوزاراً لأنه يحمل (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) يقال فى التفسير بيّنها لهم وعرفهم منازلهم فيها وقال أصحاب اللغة: عرفها لهم طيّبها يقال طعام معرف أى مطيب قال الشاعر:

فتدخل أيد فى حناجر أقنعت لعادتها من الخريز المعرّف

ويروى المغرف بالغين ومعناه مصبوغ بالمغرف (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ) من قولك تعست أى عثرت وسقطت (مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) أى وليهم (وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) أى لا ولى لهم (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) أى منزل لهم (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى كم من أهل قرية (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ) يريد أهلها (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) أى غير متغير الريح والطعم والآجن مثله (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) أى لذيذة يقال شراب لَذٌّ إذا كان طيبا (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) أى هل ينتظرون (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أى علاماتها (فَأَنَّى لَهُمْ

إذا جاءتهم ذكراهم) أى فكيف لهم بمنفعة الذكرى إذا جاءت والتوبة حينئذ لا تقبل ﴿ ومن المشكل ﴾ (وَيَقُولُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) إلى قوله (وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ كان المسلمون إذا أبطأ الوحى يقولون هلا نزل شىء تأميلا أن تنزل عليهم بشرى من الله وخير وتخفيف (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ) أى محدثة وسميت الحديثة محكمة لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى ينسخ منها شىء وهى فى حرف عبد الله (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ) أى فرض فيها الجهاد (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك ونفاق (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم وينظرون نظراً شديداً بتحديق وتحديد ، كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت من شدة العداوة . والعرب تقول : رأيته لحا باصراً أى نظراً صلبا بتحديق شديد ، ونحوه قوله ـ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ـ يسقطونك بشدة نظرهم، وقد تقدم ذكر هذا . ثم قال (فَأَوْلَى لَهُمْ) تهدد ووعيد ، تقول للرجل إذا أردت به سوءا فقاتك[1] أولى قال الشاعر لمنهزم : —

ألفيتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا وافية

وتم الكلام ، ثم قال (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ) وهذا مختصر يريد قولهم قبل نزول الفرض سمع لك وطاعة ، وقال قتادة : تقول لطاعة الله ،

---

(١) كذا بالأصل ولعله : وفاتك . فليحرر .

وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم (فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) أى جاء الجد كرهوا ذلك ، فحذف الجواب على مامضى فى باب الاختصار ، ثم ابتدأ فقال (فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ) ثم قال (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أى انصرفتم عن النبى (أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً ﷺ وما يأمركم به على أن تعودوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر والافساد فى الأرض وقطع الأرحام ﴿غ﴾ (سَوَّلَ لَهُمْ) زين لهم (وَأَمْلَى لَهُمْ) أطال لهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) أى فى نحو كلامهم ومعناه (فَلاَ تَهِنُوا) أى لا تضعفوا من الوهن (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) أى الصلح (وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أى لم ينقصكم ولن يظلمكم يقال وترتنى حقى أى بخستنيه (فَيُحْفِكُمْ) أى يلح عليكم بما يوجبه فى أموالكم (تَبْخَلُوا) يقال أحفانى المسألة وألحف وألح

﴿ غريب سورة الفتح ومشكلها ﴾

(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) أى قضينا لك قضاء عظيما ويقال للقاضى الفتاح (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) أى السكون والطمأنينة (وَتُعَزِّرُوهُ) أى تعظموه وفى تفسير أبى صالح تنصروه (وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً) أى هلكى قال ابن عباس : البور فى لغة أزد عمان الفاسد والبور فى كلام العرب لا شىء يقال أصبحت أعمالهم بوراً أى مبطلة وأصبحت ديارهم بورا أى معطلة خرابا (لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ) أى إثم فى ترك الغزو

(وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) أى جازاهم بفتح قريب (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) أى عن عيالكم (لِتَكُونَ) كف أيدى الناس أهل مكة عن عيالهم (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) أى مكة ﴿ ومن المشكل ﴾ (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إلى قوله (عَذَاباً أَلِيماً) ﴿ قال أبو محمد ﴾ كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفى الأماكن فلما صد المشركون رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وعكفوا الهدى أن يبلغ محله قال الله سبحانه لولا أن بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعرفونهم فتطئوهم لأدخلتموها أى تقتلونهم (لِيُدْخِلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) لو فعلتم (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ) من قتلهم (مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعيبكم المشركون بذلك ويقولون قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا ، وتلزمكم الديات . ثم قال (لَوْ تَزَيَّلُوا) أى تميزوا من المشركين (لَعَذَّبْنَا) المشركين بالسيف (عَذَاباً أَلِيماً) فصار قوله لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما جواباً لكلامين أحدهما (لولا رجال مؤمنون) والآخر (لو تزيلوا) ﴿ غ ﴾ (وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً) أى محبوسا يقال عكفته عن كذا إذا حبسته ومنه العاكف فى المسجد إنما هو الذى يحبس نفسه فيه (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ) أى منحره (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) قوله لا إله إلا الله (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ) أى صفتهم وقد ذكرنا معنى المثل فى سورة الرعد على ما جاء فى المشكل فأغنى عن إعادته هاهنا ، ثم استأنف فقال

(وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) قال أبو عبيدة شطأ الزرع فراخه وصغاره يقال شطأ الزرع فهو مشطىء إذا أفرخ ، قال الفراء شطأه السنبل تنبت الحبة عشرا وتسعا وثمانيا (فَآزَرَهُ) أى أعانه وقواه (فَاسْتَغْلَظَ) أى غلظ (فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ) جمع ساق ومنه يقال قام كذا على سوقه وعلى السوق لا يراد به السوق التى يباع فيها ويشترى إنما يراد أنه قد تناهى وبلغ الغاية كما أن الزرع إذا قام على السوق فقد استحكم وهذا مثل ضربه الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم إذ خرج وحده فأيده الله بأصحابه كما قوى الطلعة من الزرع بما نبت منها حتى كثرت وغلظت واستحكمت .

﴿ غريب سورة الحجرات ومشكلها ﴾

قوله تعالى (لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ) أى لا تقوموا قبل أن يقوم النبى صلى الله عليه وسلم يقال فلان يقدم بين يدى الامام وبين يدى أبيه ، أى يعجل بالأمر والنهى دونه (وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) أى لا ترفعوا أصواتكم عليه كما يرفع بعضهم صوته على بعض (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ) أى لئلا تحبط أعمالكم (امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى) أى أخلصها بالتقوى (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) واحدها حجرة مثل ظلمة وظلمات ويقرأ حجرات كما قيل ركبات وينشد هذا البيت :-

ولما رأونا باديا ركباتنا ... على موطن لا نخلط الجد بالهزل

(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) من العنت وهو الضرر

والفساد (حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) أى ترجع (وَأَقْسِطُوا) أى اعدلوا (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا تعيبوا إخوانكم المسلمين (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) أى لا تتداعوا بها والألقاب والانباز واحد ومنه قيل فى الحديث قول نبزهم الرافضة أى لقبهم وقوم من أصحاب الحديث يغيرون اللفظ (الشُّعُوب) أكثر من القبائل مثل مضر وربيعة (قُولُوا أَسْلَمْنَا) أى استسلمنا من خوف السيف وأنقذنا (لَا يَلِتْكُمْ) لا ينقصكم وهو من لات يليت وفيه لغة أخرى ألت يألت وقد جاءت اللغتان جميعا فى القرآن قال ـ وما ألتناهم من عملهم من شيء ـ والقرآن يأتى باللغتين المختلفتين كقوله فى موضع ـ تملى عليه ـ وفى موضع آخر ـ فليملل وليه بالعدل ـ

﴿ غريب سورة ق ومشكلها ﴾

قد تقدم فى المشكل ما قيل فى تفسير ق من أنه جبل محيط بالأرض كما قيل فى طه يارجل ويا يس يا إنسان ونون الدواة وقال آخر الحوت وحم قضى والله ماهو كائن وهو مذكور كله فى أول سورة البقرة (ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) يريدون البعث بعد الموت أى لا يكون (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ) أى تأكل من لحومهم إذا ماتوا (فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) أى مختلط يقال مرج أمر الناس ومرج الدين وأصل المرج أن يقلق الشيء فلا يستقر يقال مرج الخاتم فى اليد مرجا إذا قلق من الهزال (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) أى صدوع وكذلك قوله ـ هل ترى من فطور ـ (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) أى من كل جنس حسن يبتهج به (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) أراد والحب

الحصيد فأضاف الحب إلى الحصيد كما يقال صلاة الأولى يراد الصلاة الأولى ويقال مسجد الجامع يراد المسجد الجامع (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) أى طوال يقال بسق الشيء يبسق بسوقا إذا طال (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) أى منضود بعضه فوق بعض وذلك قبل أن يتفتح فاذا انشق حب الطلعة وتفرق فليس بنضيد ونحوه قوله ـ وطلح منضود ـ وقد قرأ بعض السلف رحمة الله عليهم ـ وطلع منضود ـ كأنه اعتبره بقوله فى ـ لها طلع نضيد ـ (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ) أى أفعيينا بابتداء الخلق فنعيا بالبعث وهو الخلق الثانى (بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) أى فى شك من خلق جديد أى من البعث (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) والوريدان عرقان بين الحلق والعلباوين والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظى اسمه (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) أى يتلقيان القول ويكتبان يعنى الملكين (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) أراد قعيدا من كل جانب فاكتفى بذكر واحد إذ كان دليلاً على الآخر كما قال

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ... ـدك راض والرأى مختلف

وقال الآخر :

إن شرخ الشباب والشعر الأسـ ... ـود مالم يعاص كان جنونا

وقد مر فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه (قَعِيدٌ) بمعنى قاعد كما يقال قدير بمعنى قادر وهو بمنزلة أكيل وشريب أى مؤاكل ومشارب كذلك

قعيد أى مقاعد (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) أى حاد كما يقال حفيظ وحافظ
﴿ ومن المشكل ﴾ قوله (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) إلى
قوله (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ السائق هاهنا قرينها من
الشياطين سمى سائقا لأنه يتبعها وإن لم يحثها ويدفعها . وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسوق أصحابه أى يكون وراءهم والشهيد الملك الشاهد عليها بما
عملت يقول الله عز وجل (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) فى الدنيا
(فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أى أريناك ما كان مستوراً عنك فى الدنيا
(فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) أى فأنت ثاقب البصر لما كشف عنك الغطاء
(وَقَالَ قَرِينُهُ) يعنى الملك (هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ) يعنى ما كتبه من عمله
حاضر عندى (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) يقال هو قول الملك
ويقال هو قول الله عز وجل (وَقَالَ قَرِينُهُ) من الشياطين (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) وهذا مثل قوله — احضروا الذين ظلموا
وأزواجهم — أى قرناءهم والعرب تقول زوجت البعير بالبعير إذا قرنت
أحدهما بالآخر ، ويقال ومنه قوله ـ وزوجناهم بحور عين ـ أى قرناهم بهن
ثم قال ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما
طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ـ يعنى نحن وأنتم ذائقوا العذاب
وقد تقدم تفسير هذا قال الله تعالى (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) يعنى المجرمين
وقرناءهم من الشياطين (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ

لَدَىَّ) أى لا يغير عن جهته ولا يحرف ولا يزاد فيه ولا ينقص منه لأنى أعلم كيف فعلوا وكيف أضللتموهم (وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) ﴿غ﴾ (وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) أى أدنيت (فَنَقَّبُوا فِى الْبِلاَدِ) أى طافوا وتباعدوا (هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) أى هل يجدون من الموت محيصا فلم يجدوا ذلك (إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ) أى فهم وعقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه وهو استعارة لأن القلب موضع العقل فكنى عنه (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِى الْمُنَادِى مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) يقال صخرة بيت المقدس (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) أى يوم البعث من القبور ويقال ليوم العيد يوم الخروج لخروج الناس فيه (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) أى بمسلط وليس هو من أجبرت الرجل على الأمر إذا قهرته عليه لا يقال لله ذلك فعال والجبار الملك سمى بذلك لتجبره يقول لست عليكم بملك مسلط

— غريب سورة والذاريات ومشكلها —

(والذَّارِيَاتِ) الرياح يقال ذرت تذرو ذرواً ومنه قوله — فأصبح هشيما تذروه الرياح — (وَالحامِلاَتِ وِقْراً) السحاب تحمل الماء (فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً) السفن تجرى فى الماء جريا سهلا ويقال تجرى ميسرة (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) الملائكة. هذا أو نحوه يؤثر عن على رضى الله عنه (وإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) يعنى الجزاء بالأعمال والقصاص ويقال دنته بما صنع (والسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) ذات

الطرائق ويقال للماء القائم إذا ضربته الريح فصارت فيه طرائق له حبك وكذلك الرمل إذا هبت عليه الريح فرأيت فيه طرائق فذلك حبكه (يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ) أي يحرمه من حرمه يعني القرآن (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) أي لعن الكذابون الذين قالوا في النبي ﷺ كاذب وشاعر وساحر خرصوا ما لا علم لهم به (يُفْتَنُونَ) يعذبون (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) أي ذوقوا عذابكم (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) في الدنيا (يَهْجَعُونَ) أي ينامون (وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي يصلون (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ) يعني الطواف (وَالْمَحْرُومِ) المحارف والمحروم المقتر عليه ويقال الذي لا سهم له في المغانم (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ) أي عدل اليهم في خفية ولا يكون الرواغ إلا أن تخفى ذهابك ومجيئك (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً) إذا أضمرها (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) إذا كبر (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ) أي في صيحة ولم تأت من موضع إلى موضع إنما هو كقولك أقبل يصيح وأقبل يتكلم (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) أي ضربت بجميع أصابعها جبهتها وقالت أألد (عَجُوزٌ عَقِيمٌ) (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ) قال ابن عباس رضي الله عنه هو الآجر (مُسَوَّمَةً) معلمة (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ) وبجانبه سواء أي أعرض (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي مذنب يقال ألام الرجل إذا أتى بذنب يلام عليه قال الشاعر

* ومن يخذل أخاه فقد ألاما *

(فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) أي ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أي بقوة (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) أي ضدين

ذكراً وأنثى وحلوا وحامضا وأشباه ذلك (وإنَا لَمُوسِعُونَ) أى قادرون ومنه قوله عز وجل ـ وعلى الموسع قدره ـ (ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) هو فى المشكل من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه لأنه يريد المؤمنين منهم ، يدلك على ذلك قوله فى موضع آخر ـ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس ـ أى خلقنا (لِيَعْبُدُونِ) ليوحدونى ومثله ـ وأنا أول العابدين ـ أى الموحدين (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) أى أن يرزقوا أنفسهم (ومَا أُرِيدُوا أنْ يَطْعِمُونِ) أى يطعموا أحدا من خلقى (والمَتِينُ) الشديد القوى (والذَّنُوب) الحظ والنصيب وأصله الدلو العظيمة وكانوا يستقون فيكون لكل واحد ذنوب فجعل الذنوب مكان الحظ والنصيب على الاستعارة ، وقد ذكر فى المشكل فى باب الاستعارة وأنشد هنالك : إنا إذا نازعنا شريب لنا ذنوب وله ذنوب

﴿ غريب سورة والطور ومشكلها ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ (الطُّور) جبل بمدين وعنده كلم موسى عليه السلام (وكِتَابٍ مَسْطُورٍ) أى مكتوب (فِى رَقٍّ مَنْشُورٍ) يقال هى الصحائف التى تخرج يوم القيامة إلى بنى آدم (والْبَيْتِ المَعْمُورِ) بيت فى السماء حيال الكعبة (والسَّقْفِ المَرْفُوعِ) السماء (والْبَحْرِ المَسْجُورِ) المملوء قال النمر ابن تولب . وذكر وعلا .

إذا شاء طالع مسجورة ترى لها النبع والساسما

أى عينا مملوءة (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً) أى تدور بما فيها (وتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً) عن وجه الأرض (يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) أي يدفعون يقال دَعَعْتُه ادعّه دعا أى دفعته ومنه ـ الذى يدع اليتيم ـ (فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) أي ناعمين بذلك وفاكهين معجبين بذلك (وماألتناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) أى نقصناهم (يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً) يتعاطون قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نازعنى لا بالحصول ولا فيها بسوار

(لَا لَغْوٌ فِيهَا) أى لا تذهب بعقولهم فيلغو ويرفثوا فيأثموا كما يفعل المعربد ذلك فى خمر الدنيا (إنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ) أى خائفين (فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ ولَا مَجْنُونٍ) كما تقول ما أنت بحمد الله بجاهل (نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) أى حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه والمنون الدهر . قال أبو ذؤيب :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

هكذا كان الأصمعى يرويه تتوجع ويذهب إلى أنه الدهر قال وقوله والدهر ليس بمعتب يدل على ذلك كأنه قال :

أمن الدهر وريبه تتوجع والدهر لا يعتب من يجزع

قال الكسائى العرب تقول لا أكلمك آخر المنون (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) أي الأرباب يقال تسيطرت علىّ أى اتخذتنى خولا (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فيهِ) أى درج . قال ابن مقبل :

لا يحرز المرء أحجاء البلاد ولا تبنى له فى السموات السلاليم

(وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً) قد تقدم ذكره (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) أى ركام بعضه على بعض والمعنى أنهم قالوا للنبي ﷺ إنا لا نؤمن لك حتى تسقط السماء علينا كسفا . فقال الله عز وجل لو أسقطنا عليهم كسفا من السماء قالوا : هذا سحاب مركوم ولم يؤمنوا (يُصْعَقُونَ) يموتون وقد ذكر فى المشكل أن الصعقة الموت والنار وغير ذلك .

﴿غريب سورة والنجم ومشكلها﴾

﴿قال أبو محمد﴾ (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) يقال كان القرآن ينزل نجوما فأقسم الله عز وجل بالنجم منه إذا نزل . وقال مجاهد: أقسم بالثريا إذا غابت، والعرب تسمى الثريا وهى ستة أنجم ظاهرة نجما، قال أبو عبيدة : وأقسم بالنجم إذا سقط فى الغور وكأنه لم يخصص الثريا دون غيرها (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) جبريل عليه السلام وأصله من قوى الحبل وهى طاقاته الواحدة قوة (ذُو مِرَّةٍ) أى ذو قوة وأصل المرة الفتل ومنه الحديث المرفوع «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى» وقوله (فَاسْتَوَى) أى استوى هو وجبريل صلوات الله عليهما (بِالأُفُقِ الأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) أى قدر قوسين عربيتين وقال قوم القوس الذراع أى كان ما بينهما قدر ذراعين والتفسير الأول أعجب إلىّ لأن النبي ﷺ قال « لقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قده خير له من الدنيا وما فيها » والقد السوط

(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) عن الله عز وجل (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) أفتجادلونه من المراء ومن قرأ (أَفَتَمْرُونَه) أراد أفتجحدونه (إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) من أمر الله تعالى (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) أى ما عدل (وَمَا طَغَى) أى ما زال ولا جاوز ما رأى يقول بعض المفسرين إنه أراد رؤية بصر القلب (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ) من الولد وله الاناث (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى) أى جائرة يقال ضزت فى الحكم أى جرت وضيزى فعلى ولكن كسرت الضاد للياء وليس فى النعوت فعلى (مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) أى حجة (اللَّمَمُ) صغار الذنوب وهو من ألم بالشيء إذا لم يتعمق فيه ولم يلزمه ويقال اللمم أن يلم بالذنب ولا يعود (وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى) أى قطع وهو من كدية الركية وهى الصلابة فيها وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر فقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ آخره أو أعطى ولم يتم أكدى (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) أى يعرف ماغاب عنه من أمر الآخرة وغيرها (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) أى بلغ (وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) أى ماعمل لآخرته (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أى يعلم ثم يجازى به (مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) أى تقدر وتخلق يقال ماندرى مايمنى لك المانى أى يقدر لك الله (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى) أى الخلق الثانى للبعث يوم القيامة (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى) من القنية والنسب يقال اقنيت كذا (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى) الكوكب يعنى الجوزاء وكان ناس فى

الجاهلية يعبدونها (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) مدينة قوم لوط لأنها ائتفكت أى انقلبت (أَهْوَى) اسقط يقال هوى إذا سقط وأهواه الله أى أسقطه (فَغَشَّاهَا) من العذاب والحجارة (مَا غَشَّى فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى هٰذَا نَذِيرٌ) يعنى محمداً ﷺ (مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) يعنى من الأنبياء المتقدمين (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) أى قربت القيامة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) ليس لعلمها كاشف ومبين دون الله ومثله ـ لا يجليها لوقتها إلا هو ـ وتأنيث كاشفة كما قال ـ فهل ترى لهم من باقية ـ أى بقاء والعاقبة وليست له ناهية (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أى لاهون ببعض اللغات ويقال للجارية اسمدى لنا أى غنى لنا.

﴿غريب سورة اقتربت الساعة ومشكلها﴾

(اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) أى قربت (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) أى شديد قوى وهو من المرة مأخوذ والمرة الفتل يقال استمرت مريرته ويقال هو من المرارة أمر الشيء واستمر (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) أى متعظ ومنتهى (إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) أى منكر (مُهْطِعِينَ) قال أبو عبيدة مسرعين (إِلَى الدَّاعِ) وفى التفسير ناظرين قد رفعوا رؤسهم إلى الداعى (وَازْدُجِرَ) أى زجر وهو افتعل من ذلك (بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) أى كثير سريع الانصباب ومنه يقال : همر الرجل إذا أكثر من الكلام وأسرع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) أى التقى ماء السماء وماء الأرض (وَالدُّسُرِ) المسامير واحدها دسار وهى أيضا الشرط التى تشد بها السفينة (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) أى بمرأى منا وحفظ (جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) يعنى

نوحا عليه السلام ومن حمله معه من المؤمنين (وَكُفِرَ) جحد ما جاء به (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أى معتبر ومتعظ وأصله مفتعل من الذكر مذتكر فأدغمت الذال فى التاء ثم قلبت دالا مشددة (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) جمع نذير ونذر بمعنى الانذار أى فكيف كان عذابى وإنذارى ومثله النكير بمعنى الانكار (الصَّرْصَر) الريح الشديدة ذات الصوت (فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) أى فى يوم شؤم مستمر أى استمر عليهم بالنحوسة (تَنْزِعُ النَّاسَ) أى تقلعهم من مواضعهم (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ) أى أصول نخل (مُنْقَعِرٍ) منقلع ساقط يقال قعرته فانقعر أى قلعته فسقط (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) أى سهلنا التلاوة ولولا ذلك ما أطاق العباد أن يلفظوا به ولا أن يسمعوا (إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ) أى جنون وهو من تسعرت النار إذا التهبت يقال ناقة مسعورة أى كأنها مجنونة من النشاط والانس المرح المتكبر (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ) أى مخرجوها (فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ) وبين الناقة لها يوم ولهم يوم (كُلُّ شِرْبٍ) أى كل حظ منه لأحد الفريقين (مُحْتَضَرٌ) يحضره صاحبه ويستحقه (فَتَعَاطَى) أى تعاطى عقر الناقة (فَعَقَرَ) أى قتل، والعقر قد يكون القتل، قال النبى ﷺ حين ذكر الشهداء «من عقر جواده وهريق دمه» (فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) والهشيم يابس النبت الذى يتهشم ويتكسر والمحتظر صاحب الحظيرة وكأنه يعنى صاحب الغنم الذى يجمع الحشيش فى الحظيرة لغنمه ومن قرأ المحتظَر

بفتح الظاء أراد الحظار وهو الحظيرة ويقال المحتظر هاهنا الذى يحظر على غنمه ويلته بالنبات فييبس ويسقط ويصير هشيما بوطىء الدواب والناس (فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ) أى شكوا فى الانذار (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) أى يا أهل مكة أنتم خير من أولئك الذين أصابهم العذاب (أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) يعنى الكتب المتقدمة واحدها زبور (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ) يوم بدر (وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (مُسْتَطَرٌ) أى مكتوب مفتعل سطرت إذا كتبت وهو مكتوب (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ) قال الفراء وحد لأنه رأس آية فقابل بالتوحيد رؤس الآى ويقال النهر الضياء والسعة من قولك أنهرت الطعنة إذا وسعتها قال قيس بن الخطيم يصف طعنة

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها ... يرى قائم من دونها ما وراءها

أى وسعت فتقها .

﴿ غريب سورة الرحمن جل وعز ﴾

(عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) أى الكلام (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) أى بحساب ومنازل لا يعدوانها (وَالنَّجْمُ) العشب والبقل (وَالشَّجَرُ) ماقام على ساق (يَسْجُدَانِ) قال الفراء سجودهما أنهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يحيلان معها حتى ينكسر الفيء وقد ذكرنا السجود فى سورة النحل وأنه الاستسلام فى جميع الموات والانقياد لما سخر له (وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أى العدل فى الأرض (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) ألا تجوروا (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ

بِالْقِسْطِ) أى بالعدل (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أى لاتنقصوا الوزن (وَالأَنَامِ) الخلق (ذَاتُ الأَكْمَامِ) أى ذات الكفرى قبل أن يتفتق وغلاف كل شيء كمه وقال أبو محمد الكفرى هو الحف وهو الكم وهو الكافور وهو الذى ينشق عن الطلع (وَالْعَصْفُ) ورق الزرع ثم يصير إذا جف ودرس تبنا (وَالرَّيْحَانُ) الرزق يقال خرجت أطلب ريحان الله قال النمر بن تولب : —

سلام الله وريحانه ورحمته وسماءٌ دِرَرْ

(وَالآلَاءِ) النعم واحدها ألاً مثل قفا وإلاً مثل معًا (صَلْصَال) طين يابس يصلصل أى يصوت من يبسه كما يصوت الفخار وهو ما طبخ ويقال الصلصال المنتن مأخوذ من صل الشيء إذا أنتن مكانه ، فكأنه أراد صلالا ثم قلب إحدى اللامين وقد قرىء ـ إذا صللنا فى الأرض ـ أى أنتنا (وَالْمَارِجُ) هاهنا لهب النار من قولك مرج الشيء إذا اضطرب ولم يستقر قال أبو عبيدة (مِنْ مَارِجٍ) من خلط من النار (اللُّؤْلُؤُ) كبار الحب (وَالْمَرْجَانُ) صغاره وَ (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) خلاهما تقول مرجت دابتى إذا خليتها ومرج السلطان الناس وأمرجت الدابة رعيتها (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) أى حاجز لئلا يحمل أحدهما على الآخر فيختلطان (وَالْجَوَارِى) السفن (وَالْمُنْشَآتُ) اللواتى أنشئن أى ابتدىء بهن فى البحر ومن قرأ (الْمُنْشِآتُ) جعلهن اللواتى ابتدأن يقال أنشأت السحابة تمطر أى ابتدأت وأنشأ الشاعر يقول (وَالأَعْلَامُ) من الجبال واحدها علم (أَقْطَارِ

السَّمٰوَاتِ) واقتارها جوانبها (لَا تَنْفُذُونَ إلا بِسُلْطَانٍ) أى بملك وقهر (والشُّوَاظُ) النار التى لادخان فيها (وَالنُّحَاس) الدخان قال الجعدى :—

تضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

(فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) أى حمراء فى لون الفرس الوردة (وَالدِّهَانِ) جمع دهن ويقال الدهان الأديم الأحمر (يُعْرَفُ المجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ) أى بعلامات فيهم يقال سواد الوجوه وزرقة العيون ونحو ذلك (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) بستانان فى الجنة قال الفراء : وقد يكون فى العربية جنة واحدة. قال أنشدنى بعضهم : —

ومهمهين قذفين مرتين قد جعل الارطاة جنتين

قال وذلك للقوافى والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان مالا يحتمله الكلام ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا من أعجب ماحمل عليه كتاب الله ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف أو نجيز على الله سبحانه الزيادة والنقصان فى الكلام لرأس آية، وإنما يجوز فى رؤوس الآى أن تزيد هاء للسكت كقوله ـ وما أدراك ماهيه ـ أو ألفا كقوله ـ وتظنون بالله الظنونا ـ أو بحذف همزة من الحرف كقوله ـ أثاثا ورئيا ـ أو ياء كقوله ـ إذا يسرى ـ لتستوى رؤس الآى على مذاهب العرب فى الكلام إذا تم، فأذنت بانقطاعه وابتداء غيره، لأن هذا لا نزيل معنى عن جهته ولا نزيد ولا ننقص، فأما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين فيجعلها جنة واحدة من أجل رؤس الآى فمعاذ الله، وكيف يكون هذا وهو تبارك اسمه يصفهما بصفات الاثنين فقال

تعالى (ذَوَاتَا أَفْنَانٍ) ثم قال (فِيهِمَا) ولو أن قائلا قال فى خزنة النار إنهم عشرون وإنما جعلهم تسعة عشر لرأس آية كما قال الشاعر : —

* نحن بنو أم البنين الاربعة *

وإنما هم خمسة فجعلهم للقافية أربعة ما كان هـذا القول إلا كالفراء وقوله عز وجل (حَمِيمٍ آنٍ) والحميم الماء المغلى والآنى الذى قد انتهت شدة حره (بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) قال الفراء : قد تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة وذلك أن كل واحـد منهما قد يكون وجها تقول العرب هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء الذى تراه، وقال ابن الزبير وذكر قتلة عثمان رضى الله عنه فقتلهم الله كل قتلة ونجا منهم من نجا تحت بطون الليـل . يعنى هربوا ليلا، وهذا أيضا من عجب التفسير كيف تكون البطانة ظهارة والظهارة بطانة؟ والبطانة ما بطن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه، والظهارة ما ظهر منه وكان من شأن الناس إبداؤه ؟ وهل يجوز لأحد أن يقول لوجه مصلى هذا بطانته ؟ وما ولى الأرض منه هذا ظهارته ؟ وإنما أراد الله عز وجل أن يعرفنا من حيث نفهم فضل هذه الفرش، وأن ما ولى الأرض منها إستبرق وهو الغليظ من الديباج، وإذا كانت البطانة كذلك فالظهارة أعلى وأشرف ، وكذلك قال النبى ﷺ : « لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذه الحلة » فذكر المناديل دون غيرها لأنها أخشن من الثياب ، وكذلك البطائن أخشن من الظهائر. وأما قولهـم ظهر السماء وبطن السماء لما ولينا فإن هذا قد يجوز فى ذى الوجهين المتساويين إذا ولى

كل واحد منهما قوماً تقول فى حائط بينك وبين فلان لما وليك منه هـذا ظهر الحائط ،ويقول الآخر لما وليه هـذا ظهر الحائط ، فكل واحد من الوجهين ظهر وبطن ومثل هذا كثير ، كذلك السماء لما ولينا منها ظهر وهو لما فوقها من الملائكة بطن (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ) قال أبو عبيدة لم يمسسهن ويقال ناقة مَعْيَةٌ لم يطمثها فحل قط أى لم يمسسها وقال الفراء : لم يطمثهن لم يفتضضهن والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل للحائض طامث (مُدْهَامَّتَانِ) سوداوان من شدة الخضرة والرى وقال ذو الرمة يذكر غيثا .

عسى الأكم بهمى غضة حبشية ... تؤاما وبقعان الظهور الافارع

جعلها حبشية من شدة الخضرة (نَضَّاخَتَانِ) تفوران بالماء والنضخ أكثر من النضح ولا يقال منه فعلت (خيرات) مخفف كما يقال هين لين (حُورٌ) شديدات البياض شديدات سواد المقل واحدها حوراء، ومنه يقال حوارى (مَقْصُورَاتٌ) أى محبوسات مخدرات. والعرب تسمى الحجلة المقصورة قال كثير : —

لعمرى لقد حببت كل قصيرة ... إلى وما تدرى بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد ... قصار الخطا شر النساء البحاتر

والبحاتر القصار (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) يقال رياض الجنة وقال أبو عبيدة الفرش البسط والبسط أيضا رفارف ويقال هن المحابس (وَعَبْقَرِي) الطنافس الثخان. قال أبو عبيدة يقال : لكل شيء من البسط

عبقرى ويقال إن عبقرى أرض كان يعمل فيها الوشى فنسب اليها كل شىء جيد .

﴿ غريب سورة الواقعة ومشكلها ﴾

(الْوَاقِعَةُ) القيامة (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) أى ليس لها مردود يقال حمل عليه فما كذب أى فما رجع قال الفراء قال لى أبو ثوران إن بنى نمير ليس لحدهم مكذوبة . أى تكذيب ثم قال (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) أى تخفض قوما إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة (إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا) أى زلزلت (وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا) فتتت حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس (فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا) أى ترابا منتشرا والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً) أى أصنافا (وَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ) على التعجب كأنه قال أى شيء هم ؟ ويقال فى الكلام : زيد ما زيد أى أىّ رجل هو ؟ (وَأَصْحَابُ المَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْئَمَةِ) أى أصحاب الشمال والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى والجانب الأيسر الجانب الاشأم، ومنه قيل اليمن والشؤم، فاليمن كأنه ماجاء عن اليمين والشؤم ماجاء عن الشمال، ومنه سميت اليمن والشأم (ثُلَّةٌ) جماعة (عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) أى منسوجة كأن بعضها أدخل فى بعض أو نضد بعضها على بعض ومنه قيل للدرع موضونة ، ومنه قيل وضين الناقة وهو بطان من سيور يرصع ويدخل بعضه فى بعض، قال الفراء: سمعت بعضهم

يقول الآحر موضون بعضه إلى بعض أى منسوج (وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) يقال على سن واحدة لايتغيرون ومن خلد وخلق للبقاء لم يتغير ويقال مسورون ويقال مقرطون وينشد فيه

ومخلدات باللجين كأنما أعجازهن أقاوز الكثبان

الأقاوز جمع أقواز واحدها قوز وهو الكثير من الرمل الصلب (بِأَكْوَابٍ) أى أباريق لا عرى لها ولا خراطيم (وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا) أى لايتفرقون عنها من قولك صدعته فانصدع ولا أراه إلا من الصداع الذى يعترى شراب الخمر فى الدنيا لقول النبى ﷺ فى وصف الجنة : وأنهار من كأس ماإن بها صداع ولا ندامة (وَلَا يُنْزَفُونَ) ﴿قال أبو محمد﴾ فى صدر المشكل : وهذا مما جمع القليل من اللفظ فى الكثير من المعانى ، لأنه نفى عنها بقوله تعالى (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ)وهما لفظتان جمعتا جميع عيوب الخمر وجمع بقوله (لاينزفون) عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب ﴿غ﴾ (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ)أى لاشوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ، ومنه قول النبى ﷺ فى المدينة:« لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها »(وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) الطلح عند العرب شجر من العضاة عظام والعضاه كل شجر له شوك وقال مجاهد : أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم طلح منضود،وكان بعض السلف يقول (وطلع منضود) واعتبره بقوله ـ لها طلع نضيد ـ وقال المفسرون : الطلح هاهنا الموز

والمنضود الذى نضد بالحمل من أوله إلى آخره أو بالورق والحمل فليست له سوق بارزة قال مسروق : أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود ، وشجرها نضد من أسفلها إلى أعلاها (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) لاشمس به (وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) جار غير منقطع (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَامَقْطُوعَةٍ) أى تجىء فى حين وتنقطع فى حين (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) لامحظورة عليها كما يحظر على بساتين الدنيا (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) ثم قال (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) ولم يذكر النساء قبل ذلك لأن الفرش محل النساء فاكتفى بذكر الفرش ، يقول أنشأنا الصبية والعجوز إنشاء جديدا (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً) سنا واحدا عربا جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها ويقال الغنجة (فِى سَمُومٍ) أى فى حر النار (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) أى دخان أسود (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ) أى يقيمون على الحنث العظيم ولا يتوبون ، والحنث الشرك وهو الكبير من الذنوب أيضا (وَالْهِيمُ) الابل يصيبها داء فلا تروى من الماء يقال بعير أهيم وناقة هيماء (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) أى رزقهم وطعامهم (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) من المنى (وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ) أى لسنا مغلوبين على أن نستبدل بكم أمثالكم من الخلق (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) أى تزرعون (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) تعجبون عما نزل بكم فى زرعكم إذا صار حطاما يقال تفكهون تندمون مثل تفكهون وهى لغة لعكل (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) أى معذبون من قوله عز وجل ـ إن عذابها كان غراما ـ أى هلكة (وَالْمُزْنِ) السحاب (وَالأُجَاجُ) الشديد المرارة

(التى تورُون) أى تستخرجون من الزنود (أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) التى تتخذ منها الزنود (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) أى تذكرهم جهنم (ومَتَاعاً) أى متعة (لِلْمُقْوِينَ) يعنى المسافرين سموا بذلك لنزولهم القواء وهو القفر . قال أبو عبيدة : المقوى الذى لازاد معه ، ولا أرى التفسير إلا الأول ، ولا أرى الذى لازاد معه أولى بالنار ولا أحوج اليها من الذى معه الزاد ، بل صاحب الزاد أولى بها واليها أحوج (فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) أراد نجوم القرآن إذا نزل، وقال أبو عبيدة أراد مساقط النجوم فى المغرب (أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) أى مداهنون يقال ادّهن فى أمره وداهن (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) أى شكركم (أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) أى جعلتم شكر الرزق التكذيب قال عطاء : كانوا يمطرون فيقولون : مطرنا بنوء كذا (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) أى فهلا إذا بلغت النفس الحلقوم (فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) أى مملوكين أذلاء من قولك دِنتُ له بالطاعة . وقال أبو عبيدة : مدينين مجزيين (تَرْجِعُونَهَا) أى تردون النفس (فَرَوْحٌ) أى فى القبر طيب نسيم (وَرَيْحَانٌ) رزق ومن قرأ فرُوحٌ أراد فحياة وبقاء

﴿ قال أبو محمد فى المشكل ﴾ : الرّوح والرُّوح والريح من أصل واحد اكتنفته معان تقاربت فبنى لكل معنى اسم من ذلك الأصل. وخولف بينها فى حركة البناء . والنار والنور من أصل واحد كما قالوا : الميْل والميَل وهما جميعا من مال فجعلوا الميَل بفتح الياء فيما كان خِلْقَة فقالوا : فى عنقه ميَل ، وفى الشجرة ميَل ، وجعلوا الميْل بسكون الياء فيما كان فعلا ، فقالوا : مال عن

الحق ميلا ، وفيه ميل ، أى تحامل وقالوا اللَّسَنُ واللَّسْن واللِّسْن ، وهذا كله من اللسان . فاللَّسَن جودة اللسان ، واللَّسْن العذل ، واللوم ، يقال منه : لسنت فلانا لسانا أى عذلته وأخـذته بلساني ، واللِّسن اللغة ، يقال لكل قوم لسن ، وقالوا حمل الشجرة بفتح الحاء ، وقالوا لما كان على الظهر حمل واحد فى أشباه لهذا كثيرة ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد ذكرنا منه طرفا فى صدر الكتاب — يعنى صدر المشكل — سنذكره نحن فى آخر هذا الفصل إن شاء الله

فالرُّوح روح الأجسام الذى يقبضـه الله عنـد الممات ، والروح ، جبريل عليه السلام ، قال الله عز وجل ـ نزل به الروح الأمين على قلبك ـ يعنى جبريل عليه السلام . وقال ـ وأيدناه بروح القدس ـ أى بروح جبريل عليه السلام. والروح فيما ذكر المفسرون ملك عظيم من ملائكة الرحمن يقوم وحده فيكون صفا وتقوم الملائكة صفا قال الله عز وجل ـ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ـ وقال عز وجل ـ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ ويقال للملائكة روحانيون لأنهم أرواح نسـبوا إلى الرُّوح بالالف والنون لانها نسـبة الخلقة كما قالوا زفنانى وشـعرانى (والروح) النفخ سمى روحا لانه ريح تخرج عن الروح قال ذو الرمة وذكر ناراً اقدحها:

فلما بدت كفنتها وهى طفلة بطلساء لم تكمل ذراعا ولاشبرا

وقلت له ارفعها اليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

هـذا إن جعل القيتة من القوت فان جعلها من القت وهو الحزمة من الحطب قال واقتته لها قتة

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن

عليها الصبا واجعل يداك لها سترا

قوله : أحيها بروحك ، أى أحيها بنفخك ، والمسيح روح الله لانه نفخة جبريل فى درع مريم عليهما السلام ، ونسب الروح إلى الله عز وجل ـ فنفخنا فيه من روحنا ـ يعنى نفخة جبريل عليه السلام ، وقد يجوز أن يكون سمى روح الله لانه بكلمته كأن قال الله عز وجل له كن فكان وكلام الله روح لانه حياة من الجهل وموت الكفر وقال ـ يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده ـ وقال : ـ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ـ ورحمة الله روح قال ـ وأيدهم بروح منه ـ أى برحمة كذلك قال المفسرون . ومن قرأ فى هذه السورة (فَرُوحٌ وَرَيْحَان) بضم الراء أراد فرحمة ورزق والريحان الرزق. قال النمر بن ثولب

سلام الله وريحانه ورحمته وسماء درر

فجمع بين الرزق والرحمة كما قال الله عز وجل ـ فروح وريحان ـ وهذا شاهد لتفسير المفسرين. قل أبو عبيدة فروح أراد حياة وبقاء لا موت فيه ومن قرأ (فَرَوْحٌ وَرَيْحَان) أراد الراحة وطيب النسيم وقد يكون الروح الرحمة قال الله سبحانه (لا تيئسوا من روح الله) أي من رحمة الله سماها روحا لان الروح والراحة تكونان بها *(قال أبو محمد)* فى صدر المشكل : وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها فى الأساليب وما خص الله تعالى به لغتنا دون جميع اللغات وأنه ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان

واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصا من الله لما أرهصه فى الرسول الكريم ﷺ وأراد من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب العزيز ، فجعله علم كل نبى من المرسلين من أشبه الأمور بما فى زمانه المبتعث فيه ، فكان لموسى ﷺ فلق البحر واليد والعصا وتفجر الحجر فى التيه بالماء الرواء إلى سائر أعلامه زمن السحر ، وكان لعيسى ﷺ إحياء الموتى وخلق الطير من الطين ، وإبراء الأكمه والأبرص ، إلى سائر أعلامه زمن الطب . وكان لمحمد صلوات الله وسلامه عليه الكتاب العزيز الكريم الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا إلى سائر أعلامه زمن البيان . قال : فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما فى نكاح أو حمالة أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك ، لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف ، ويطيل تارة إرادة الافهام ، ويكرر تارة إرادة التوكيد ، ويخفى بعض معانيه حتى تغمض على أكثر السامعين ، ويكشف بعضها حتى يفقهه بعض الاعجمين ، ويشير إلى الشىء ويكنى عن الشىء ، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال ، وقدر الحفل ، وكثرة الحشد ، وجلالة المقام ، ثم لا يأتى بالكلام كله مهذبا كل التهذيب ، ومصفيا كل التصفية ، بل تجده يمزج ويشوب ليدل بالناقص على الوافر ، وبالغث على السمين ، ولو جعله كله نحوا واحدا لبخسه بهاءه ، وسلبه ماءه ، ومثل ذلك الشهاب من القبس تبرزه للشعاع ، والكوكبان يقترنان فينقص النوران ، والسحاب ينظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان ولا يجعله كله جنسا واحدا من الرفيع الثمين ، ولا النفيس

المصون ، وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفا ، ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفا ليس في حروفنا إلا معدولا عن مخرجه شيئا ، مثل الحرف المتوسط ، مخرج القاف والكاف ، والحرف المتوسط مخرج الباء والفاء : فهذه حال العرب في مباني ألفاظها ، ولها الاعراب الذى جعله الله عز وجل وشيا لكلامها ، وحلية لنظامها ، وفارقا في بعض الاحوال بين الكلامين المتكافئين ، والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا استوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالاعراب . ولو أن قائلا قال هذا قاتل أخٍ بالتنوين وقال آخر هذا قاتل أخي بالاضافة لدل التنوين على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله ، ولو أن قارئا قرأ ـ فلا يحزنك قولهم أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ـ وترك طريق الابتداء بأنا وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب أن بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقته ، وجعل النبي ﷺ محزونا لقولهم إن الله يعلم مايسرون وما يعلنون ، وهذا كفر لمن تعمده وضرب من اللحن لاتجوز الصلاة به ، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه . وقال رسول الله ﷺ : « لا يقتل قرشي صبرا بعد اليوم » . فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام للقرشي ألا يقتل إن ارتد ، ولا يقتص منه إن قتل . ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منهم أحد عن الاسلام ، فيستحق القتل ، أفما ترى الاعراب كيف فرق بين هذين المعنيين ؟ وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين فيقولون : رجل لعنة إذا كان

يلعنه الناس فان كان هو يلعن الناس قالوا : رجل لعنة ، فحركوا العين بالفتح ، ورجل سبة إذا سبه الناس ، وإذا كان هو يسب الناس قالوا : رجل سببة ، وكذلك هزأة وهزأة ، وسخرة وسخرة ، وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة ، وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب مابين اللفظين لتقارب ما بين المعنيين ، كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة شروب ، ولما كان دونه مما قد يتجوز به شريب ، وكقولهم لما قد ارفض عن الثوب من البول إذا كان مثل رؤس الابر نضح ورش الماء عليه يجزىء من الغسل عند بعض أهل العلم ، فان زاد على ذلك قيل له نضخ ولم يجز منه إلا الغسل . وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع قبص ، وبالكف قبض ، وللأكل بأطراف الاسنان قضم ، وبالفم خضم ، ولما ارتفع من الأرض حَزْن ، فاذا زاد قليلا قيل حَزْم ، وللذى يجد البرد خصِر ، فان كان مع ذلك جوع قيل خَرِص وللنار إذا طفئت هامدة ، فاذا سكن اللهب وبقى من حرها شىء قيل خامدة ، وللقائم من الخيل صائم ، فان كان من حفىً أو وجىً قيل صائن ، وللعطاء شكر ، فان كانت مكافأة قيل شُكم ، وللخطأ من غير تعمد غلط فان كان فى الحساب قيل غلَت ، وللضيق فى العين خوَص ، فان كان ذلك فى مؤخرها قيل حوَص . وقد يكشف الشىء معانى ويشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشىء ، كاشتقاقهم من البطن للخميص مُبْطَن ، وللعظيم البطن إذا كان خلقة بَطِين ، فان كان من كثرة الأكل قيل مبطان ، وللعليل البطن مبطون ، ويقولون وجدت الضالة ووجدت فى الغضب

ووجدت فى الحزن ووجدت فى الاستغناء ثم يجعلون الاسم فى الضالة وجوداً ووجدانا ، وفى الحزن وجداً ، وفى الغضب موجدة ، وفى الاستغناء وجدا فى أشباه لهذا كثيرة ، الشعر الذى أقامه الله لها مقام الكتاب لغيرها ، وجعله لعلومها مستودعا ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيدا ، ولأخبارها ديوانا لايرث على الدهور ، ولا يبيد على مر الزمان ، وحرسه بالوزن والقوافى ، وحسن النظم وجودة التحبير من التدليس والتعبير ، فمن أراد أن يحدث فيها شيئا عسر ذلك عليه ولم يخفه كما يخفى فى الكلام المنثور ، وقد تجد الشاعر منهم ربما زال عن سننهم شيئا ، فيقولون له ساندت وأقويت وأكفأت وأوطأت،وإنما خالف فى السناد بين ردفين أوحرفين قبل ردفين ، كقول عمرو بن كلثوم : —

* ألاهبى بصحبك فاصبحينا *

وقال فى بيت آخر : — * تصفقها الرياح إذا جرينا *

وخالف فى الاقواء بحرف نقصه من شطر البيت الاول كقول الآخر : —

حنت نوار ولا تهنا حنت — وبدا الذى كانت نوار أجنت

لما رأت ماء السلا مشربا — والفرث يعصر فى الاناء أرنت

وكقول حميد بن ثور : —

إنى كبرت فان كل كبير — مما يظن به يمل ويبشر

وخالف فى الاكفاء بأن رفع قافية وخفض أخرى. وخالف فى الايطاء

بأن أعاد قافين مرتين قال ابن الرقاع يذكر تنقيحه لشعره :—

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

وقال ذو الرمة :

وشعر قد أرقت له غريب أجانبه المساند والمحالا

وللعرب المجازات فى الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه فمنها الاستعارة والتمثل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والاظهار والتعريض والافصاح والكناية والايضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة وستراها فى أبواب المجاز إن شاء الله تعالى . وقد كتبناها نحن من جميع مواضعها وفرقناها فى السور على ما شرطنا بحمد الله وعونه ﴿ قال أبو محمد﴾ وبكل هذه المذاهب نزل القرآن ، ولذلك لا يقدر أحد من ذوى التراجم على أن ينقله إلى شىء من الالسنة ، كما نقل الانجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله الكريمة بالعربية لان العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب ، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى ـ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ـ لم تستطع أن تأتى بهذه الالفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستودعها فتقول ـ إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد نخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد

نقضت ما شرطت لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على استواء ، وكذلك قوله تعالى ـ فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ـ إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول اليه وإن قلت : أنمناهم سنين عددا . كنت مترجما للمعنى دون اللفظ. وكذلك قوله عز وجل ـ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ـ إن ترجمته كلفظه استغلق وإن قلت لم يتغافلوا أديت المعنى بلفظ آخر ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد اعترض كتاب الله العزيز بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة ونظر مدخول ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ، وقضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاق ، وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر والحدث الغر ، فاعترضت بالشبه فى القلوب ، وقدحت بالشكوك فى الصدور ، ولو كان ما نحلوا اليه على تقديرهم وتأولهم ، لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج بالقرآن عليه ويجعله العلم لنبوته ، والدليل على صدقه ، ويتحداه فى موطن بعد موطن ، على أن يأتى بسورة من مثله وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء ، والمخصوصون من جميع الانام بالالسنة الحداد واللدد فى الخصام مع اللب والنهى وأصالة الرأى وإصابة المفصل ؛ وقد وصفهم الله عز وجل بذلك فى غير موضع من كتابه العزيز وكانوا يقولون مرة هو سحر ، ومرة هو شعر ، ومرة هو قول الكهنة ، ومرة أساطير الاولين ، ولم يحك الله سبحانه عنهم ولا بلغنا فى شىء من الروايات أنهم جذبوا به من الجهة التى جذبه منها الطاعنون .

تم الباب الأول من المشكل والحمد لله الذى أرشدنا إلى كتابه ومعرفة الفرق بين الرَّوْح والرُّوح وما أشبه ذلك مما يتغير معناها أو يظهر بالاعراب لئلا أبقى من كتاب المشكل شيئا على ماشرطناه فى الرسالة بعون الله عزوجل وله الحمد على ذلك وعلى كل حال لاشريك له .

﴿غريب سورة الحديد ومشكلها﴾

(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ) أى يدخل فيها (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ) يقال هو السور الذى يسمى الأعراف (فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) أقتموها (وَارْتَبْتُمْ) شككتم (مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) أى هى أولى بكم قال لبيد : —

فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى ألم يحن يقال أنى الشىء يأنى إذا حان (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ) يعنى الغاية (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ) أى الزراع ويقال للزارع كافر لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفره أى غطاه (عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) سعتها كسعة السماء والأرض وقد تقدم ذكر هذا (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) أى نخلقها (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ) أى تحزنوا (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) أى بالعدل (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) ذكروا أن الله سبحانه أنزل العلاة وهى السندان والكلبتين والمطرقة (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) للقتال (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) مثل

السكين والفأس والمبرد والابرة (وَرَهْبَانِيَّةً) اسم مبنى على الرهبة لما أفرط فيه وما نهى الله تعالى عنه إذ يقول ـ لا تغلوا فى دينكم ـ ويقال دين الله بين المقصر والغالى (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ) أى ما أمرناهم بها إلا ابتغاء رضوان الله أى أمرناهم منها بما يرضى الله عز وجل لا غير ذلك (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) أى نصيبين وحظين (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ) أى ليعلموا أنهم لا يقدرون على شىء من فضل الله.

غريب سورة المجادلة ومشكلها

(تَشْتَكِى إلى اللهِ) أى تشكو يقال اشتكيت ما بي وشكوته (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) أى يحرمونهن تحريم ظهور الأمهات ويروى أن هذا نزل فى رجل ظاهر فذكر الله عز وجل قصته ثم تبع هذا كل ما كان من الأم محرما على الابن أن يطأه كالبطن والفخذ وأشباه ذلك (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ) أى عتقها (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) (كُبِتُوا) قال أبو عبيدة : أهلكوا وقال غيره غيظوا وأحزنوا . وقد تقدم هذا فى سورة آل عمران (النَّجْوَى) السرار (تَفَسَّحُوا) أى توسعوا (انْشُزُوا) قوموا والناشز منه ومنه يقال نشزت المرأة على زوجها (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) أى غلب عليهم واستولى (كَتَبَ اللهُ) أى قضى (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى) (حَادَّ اللهَ) وشاقه واحد (فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ) أى يحلف المنافقون لله يوم القيامة كما حلفوا لأوليائه فى الدنيا هذا قول قتادة .

﴿غريب سورة الحشر ومشكلها﴾

(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) قال عكرمة : من شك فى أن الحشر هاهنا يعنى الشام فليقرأ ـ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ـ قال ابن عباس : فى رواية أبى صالح : يريد أنهم أول من حشر وأخرج من داره وهو الجلاء يقال جلوا من أرضهم وأجليتهم وجلوتهم أيضا (اللِّينَةُ) الدقلة ويقال للدقلة الألوان مالم تكن عجوة أو بَرْنِيَّةً وذهبت الواو لكسرة اللام واحدها لون (فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ) من الايجاف يقال وجف الفرس والبعير وأوجفته ومثله الايضاع وهو الاسراع وأراد الذى أفاءه الله على رسوله من هذا الفيء خاصة لم يكن عن غزو ولا أوجفتم فيه خيلا ولا ركابا (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً) من التداول أى يتداوله الأغنياء بينهم .

﴿غريب سورة الممتحنة ومشكلها﴾

﴿من المشكل﴾ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) إلى قوله (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) ذكر المفسرون أنها نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم لأن عياله كانوا بمكة ولم يكن له بها عشيرة تمنع منهم فأراد أن يتقرب اليهم ليكفوا عن عياله فأنزل الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) أى تخبرونهم
بما يخبر بمثله الرجل أهل مودته وتنصحون لهم (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ
مِنَ الْحَقِّ) مع النبى ﷺ (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) وتم الكلام .
يعنى من مكة (أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ) أى أخرجوا الرسول وأخرجوكم
لان آمنتم بالله ربكم (إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِى سَبِيلِى) أى طالبين
مرضاتى ثم قال (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا
أَعْلَنْتُمْ) أى كيف تستترون بمودتكم لهم منى وأنا أعلم ما تضمرون وما
تظهرون؟ ثم ضرب لهم إبراهيم عليه السلام مثلا حين تبرأ من قومه ونابذهم
وباغضهم إلى قوله (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) ﴿ غ ﴾
(تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) أى تلقون اليهم المودة وكذلك تسرون اليهم
بالمودة (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) أى عبرة وائتمام (إِلاَّ قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ) قال قتادة ائتسوا بأمر إبراهيم كله إلا فى الاستغفار لأبيه
فلا تأتسوا به فى ذلك لأنه كان عن موعدة منه له (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكَوَافِرِ) أى بحبالهن واحدتها عصمة أى لا ترغبوا فيهن (وَسَلُوا
مَا أَنْفَقْتُمْ) أى اسئلو أهل مكة أن يردوا عليكم مهور النساء اللاتى يخرجن
اليهم مرتدات (وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا) أى وليسئلوكم مهور من خرج اليكم
من نسائهم (فَإِنْ فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) يقول إن
ذهبت امرأة من نسائكم فلحقت بالمشركين بمكة (فَعَاقَبْتُمْ) أى أصبتم

عقبى أى غنيمة من غزو . ويقال عاقبتم غزوتم معاقبين غزواً بعد غزو فاعطوا المسلمين الذين ذهبت أزواجهم إلى مكة مثل ما أنفقوا يعنى المهر من تلك الغنيمة قبل الخمس. ويقرأ (فعقّبتُم) من تعقيب الغزو ويقرأ (أعقبتم) (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) وكانت المرأة تلتقط المولود وتقول لزوجها : هـذا ولدى منك . (وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ) أى فى أمر تأمرهن به وأمر رسول الله ﷺ كله معروف (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أن يبعثوا كذلك يئس أولئك من الآخرة أن تكون . يقال أراد كما يئس الكفار الموتى من الآخرة ، أى يئس المشركون من الآخرة كما يئس أسلافهم الكفار المقبورون والمقبورون هم أصحاب القبور .

﴿ غريب سورة الصف ﴾

(بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) أى يثبتون فى القتال ولا يبرحون وكأنهم بناء قد رُصّ (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أى مع الله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ) شيعة عيسى عليه السلام يقال كانوا قصارين والتحوير للثياب وغيرها تبييضها (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) أي غالبين عالين عليهم من قولك ظهرت على فلان اذا علوته وظهرت على السطح إذا صرت فوقه.

— ﴿ غريب سورة الجمعة ومشكلها ﴾ —

(يَحْمِلُ أَسْفَاراً) أى كتبا واحدها سفر يريد أن اليهود يحملون التوراة ولا يعلمون بها فمثلهم كمثل حمار يحمل كتبا من العلم وهو لا يعقلها (فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أى ادعوا على أنفسكم به وفى الحديث لو دعوا على أنفسهم بالموت لماتوا أجمعون . هذا أو نحوه من الكلام و التمنى القول والتلاوة والتخرص للكذب وليس يعرف عوام الناس منه إلا الودادة (فاَسْعَوْا إلَى ذِكْرِ اللّهِ) بادروا بالنية والجد ولم يرد العدو ولا الاسراع فى المشى (فإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ) أى فرغ منها (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً) يقال قدم دحية الكلبى رضى الله عنه بتجارة له من الشام فضرب بالطبل ليؤذن الناس ﴿ش﴾ (انْفَضُّوا إلَيْهَا) أى تفرقوا عنك اليها وقال اليها ولو قال اليهما أو اليه لكان جائزا وهذا مذكور فى باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ومنه أن يجمع شيئان فتجعل الفعل لأحدهما أو تنسبه لأحدهماوهو لهما ، ومثله قوله عز وجل ـ والله ورسوله أحق أن يرضوه ـ وقوله ـ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ـ وبقوله ، وإنها على الصلاة ولو قال وإنه فرد على الصبر جاز وكذلك لو قال وإنهما لكبيران لجاز ومثله قوله ـ عن اليمين وعن الشمال قعيد ـ أراد عن اليمين قعيدوعن الشمال قعيد ، وقد ذكرت الباب بأسره

فى سورة البقرة ﴿ع﴾ (وَتَرَكُوكَ قَائِمًا) أى تخطب يقال إن الناس خرجوا إلا ثمانية نفر .

﴿ غريب سورة المنافقين ومشكلها ﴾

(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) أى استتروا بالحلف كلما ظهر على شىء منهم يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين ومن قرأ (إِيمَانَهُمْ) بكسر الألف أراد تصديقهم بالله جنة من القتل (كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ) أراد جمع خشبة كما يقال بدنة وبُدُن وأكمة وأكم ورجمة ورجم ، ومن المعتل قادة وقود ، ومن قرأ خشب جعله جمعا لخشب مثل ثمرة وثمر وثمر (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) أى كلما صاح صائح ظنوا أن ذلك أمر عليهم جبنا كما قال الشاعر:

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وأزنما

أى لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا تدعو هاتين القبيلتين ثم قال تعالى (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) أى فهم الاعداء وأنشد فى المشكل هـذا البيت ثم قال وقال الآخر : —

مازلت تحسب كل شىء بعدهم خيلا ركبن عليكم ورجالا

وهو من الكلام المختصر الجامع للمعانى وفى هذا الباب قال وقوله عز وجل ـ ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ـ كيف دل على فضل السمع على البصر حين جعل مع الصم فقدان العقل ولم يجعل

مع العمى إلا فقدان النظر .

﴿ غريب سورة التغابن ومشكلها ﴾

(وَمَنْ يُؤمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) يقول إذا ابتلى صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر (إِنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) أى إغرام كما يقال فتن قلبه بالمرأة وشغف بها وأصل الفتنة البلوى والاختبار ثم تكون التعذيب بالنار والصد والاستنزال والاشراك والكفر والاثم والعبرة والعظة ، وكله مذكور من المشكل فى سورة البقرة فأغنى عن إعادته هاهنا ﴿ غ ﴾ (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) قال ابن عيينة الشح الظلم وليس الشح أن تبخل بما فى يديك لأن الله تعالى يقول ـ ومن يبخل فانما يبخل على نفسه ـ

﴿ غريب سورة الطلاق ومشكلها ﴾

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) الخطاب للنبى ﷺ والمراد هو والمؤمنون وهو فى المشكل من باب الكناية ومن باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) يريد الحيض ويقال الاطهار (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ) التى طلقن فيها (وَلَا يَخْرُجْنَ) من قبل أنفسهن (إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) فتخرج ليقام عليها الحد (لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) أى لعل الرجل يرغب قبل انقضاء العدة فيتزوجها (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) أى منتهى العدة فاما أمسكتم عن الطلاق فكن أزواجا

أو فارقتم فراقا جميلا لا إضرار فيه (إنْ ارْتبتُمْ) أى شككتم (مِنْ وُجْدِكُمْ) أى بقدر سعتكم والوجد القدرة والغنى يقال افتقر فلان بعد وجد (وَلا تُضارُّوهُنَّ) قد بيناه فى سورة البقرة (وَائْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ) أى هموا به واعزموا عليه ويقال هو ألا تضر المرأة بزوجها ولا الزوج بالمرأة (وَإنْ تَعَاسَرْتُمْ) أى تضايقتم (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أى ضيق (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى كم من قرية (عَذَاباً نُكْراً) أى منكرا (وَكَان عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً) أى هلكة

﴿غريب سورة التحريم﴾

(قَدْ فَرَضَ اللهَ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) أى أوجب لكم الكفارة (فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) أى عدلت ومالت (وإنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) أى يتعاونا (فَانَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ) أى وليه وقد ذكرنا المولى ووجوهه فى آخر سورة البقرة (قَانِتَاتٍ) مطيعات (سَائِحَاتٍ) صائمات ويرى أهل النظر أنما سمى الصائم سائحا تشبيها بالسائح لا زاد معه قال الفراء تقول العرب للفرس إذا كان قائما لا علف بين يديه صائم وذلك أن له قوتين غدوة وعشية فشبه به صائم الآدمى بتسحره وإفطاره وقوله (قوا أنفسكم وأهْلِيكُمْ ناراً) أى قوا أنفسكم النار بطاعة الله ورسوله وقوا أهليكم النار بتعليمهم وأخذهم بما ينجيهم منها (تَوْبَةً نَصُوحاً) أى تنصحون فيها لله ولا تدهنون (وكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أى المطيعين لله عز وجل

﴿ غريب سورة الملك ومشكلها ﴾

(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أي ليختبركم (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) أي اضطراب واختلاف وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء شيئا فيقع الخلل ولكنه متصل بعضه ببعض (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) من صدوع ومنه يقال فطر ناب البعير إذا شق اللحم فظهر (خَاسِئًا) مبعدا من قولك خسأت الكلب إذا باعدته (وَهُوَ حَسِيرٌ) أي كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر اليه (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ) أي تنشق غيظا على الكفار (فَسُحْقًا) أي بعدا (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) أي جوانبها ومنكبا الرجل جانباه (فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) أي تدور كما يدور السحاب إذا جاء وذهب (كَيْفَ نَذِيرِ) أي إنذاري ، وكذلك (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكاري (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) يضربن بها جنوبهن (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ) أي لا يبصر يمينا ولا ولا شمالا ولا بين يديه يقال أكب فلان على وجهه بالألف وكبه الله لوجهه وأراد الأعمى (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً) أي قريبا منهم يقول لما رأوا ما وعدهم الله قريبا منهم (سِيئَتْ) وجوههم (وَقِيلَ) لهم (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ) أي تدعون وهو تفتعلون من الدعاء تقول دعوت وادعيت كما تقول خبرت واختبرت وذخرت واذخرت (أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا)أي غائرا وصف بالمصدر يقال ماء غور ومياه غور ولا يجمع ولا يثنى ولا

يؤنث كما يقال رجل صوم ورجال صوم ونساء صوم (فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) أي ظاهر وهو مفعول من العين وقد تقدم ذكر هذا.

﴿ غريب سورة نون ومشكلها ﴾

قال قتادة والحسن نون: هي الدواة ويقال الحوت تحت الأرض ، وقد ذكرت الحروف المقطعة والمشكل في أول سورة البقرة (وَمَا يَسْطُرُونَ) أي يكتبون (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ) أي غير مقطوع يقال مننت الحبل إذا قطعته (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) أيكم المفتون والباء زائدة كما قال الشاعر

* فنضرب بالسيف ونرجوهم بالفرج *

أي نرجوا الفرج ، وقال الفراء : ويكون المفتون بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول أي عقل ولا معقود أي رأي وأراد الجنون (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) أي لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله سبحانه وتعالى مدة (والمَهِينُ) الحقير الدنيء (وهمَّاز) عائب (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل (مُعْتَدٍ) ظلوم (والعُتُلُّ) الغليظ الجافي وتراه من قولهم فلان يعتل إذا غلظ عليه وعنف به في القود (الزنيمُ) الداعي ومن الاستعارة قوله (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ : ذهب بعض المفسرين إلى أن الله جل وعز يسم وجه الوليد ابن المغيرة يوم القيامة بالسواد، وللعرب في مثل هذا اللفظ مذهب نخبر به والله أعلم بما أراد ، تقول العرب للرجل يسب الرجل: سبة قبيحة ناقية، أو

ينثوا عليه فاحشة : قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارا، لا يفارقه كما أن السمة لا تمحى ولا يعفو أثرها قال جرير :—

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

يريد أنه وسم الفرزدق وجدع أنف الأخطل بالهجاء أى ألقى عليه به عاراً كالجدع والوسم وقال أيضا :—

رفع المطى بما وسمت مجاشعا والزنبرى يعوم ذو الاجلال

يريد أن هجاه قد سارت به المطى وغنى به فى البر والبحر ، وقال :—

وأوقدت نارى بالحديد فأصبحت لها وهج يُصلى بها الله من يُصلى

شبه شعره بالنار وهجاءه بمو اسم الحديد . وقال الكميت يذكر قصيدة له :—

تعلط أقواماً بميسم بارق وتقطم أوشاما زنيما ومسندا

والعلاط سمة فى العنق ، وربما استعاروا للهجاء غير الوسم كقول الهذلى :—

متى ما أشاء زهو الملوك أجعلك رهطاً على حيض

وأكحلك بالصاب أو بالجلا ففتح لذلك أو غمض

وأسعطك فى الأنف ماء الأباء مما يثمل بالمحوض

جهلت سقوطك حتى ظننت أن قد أرضت ولم تؤرض

والرهط جلد تلبسه المرأة أيام الحيض ، والصاب شجر له لبن يحرف العين والجلاء كحل يحك على حجر ثم يكتحل به ، والأباء القصب وماؤه شر

المياه ، ويقال الأباء هاهنا الماء الذى تشرب منه الأروى فتبول فيه وتدمنه ويشمل ينقع ،وهذه أمثال ضربها لما يهجوه به . قال الآخر :

سأكسوكما ياابنى يزيد بن جعشم رداءين من قار ومن قطران

فى أشباه لهذا كثيرة (قال أبو محمد) وهـذه الآية نزلت فى الوليد ابن المغيرة ولا نعلم أن الله سبحانه وتعالى وصف أحداً وصفه له ، ولا بلغ من ذكرعيوبه مابلغه من ذكرها منه ، لأنه وصفه بالخلف والمهانة والعيب للناس والمشى بالنمائم والبخل والظلم والاثم والجفاء والدعوة ، فألحق به عاراً لايفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم ، وألين مايكون الوسم فى الوجه ومما يشهد لهـذا المذهب مارواه سفيان عن زكريا عن الشعبى قوله (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) أنه يقال (العُتُلُّ)الشديد (والزنيم) الذى له زنمة من الشعر يعرف بها كما تعرف الشاة ، أراد الشعبى أنه قد لحقته سبة من الدعوة عرف بها كزنمة الشاة ﴿غ﴾ (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) أى سوداء كالليل متخرفة والليل هو الصريم والصبح أيضا صريم لأن كل واحـد منهما منصرم عن صاحبه وهو من المقلوب كقولهم للظلمة سدفة وللضوء سدفة ، وأصل السدفة السترة فكأن الظلام إذا أقبل ستر للضوء والضوء إذا أقبل ستر للظلام، وقد ذكر فى بابه فيما سلف ، ويقال أصبحت وقد ذهب مافيها من الثمر فكأنه صرم أى قطع وجذ (وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ) أى يتسارون (أَلاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ) أي منع والحرد والمحاردة المنع ، يقال حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر ،

وحاردت الناقة إذا لم يكن فيها لبن ، والحرد أيضا القصد يقال لئن حردت حردك أى قصدت قصدك ومنه قول الشاعر : —

أما إذا حردت حردى فمجرية(١)

أى إذا قصدت قصدى ويقال على حَرَد أى على حَرْدٍ وهما لغتان كما يقال الدرَك والدرْك قال الأشهب بن رميلة : —

أسود شرى لاقت أسود خفية ‏ ‏ ‏ ‏ تساقوا على حرد دماء الأساود

(قَادِرِينَ) أى منعوا وهم قادرون أى واجدون (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) أى خيرهم وأعدلهم فعلا (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) أى هلا تسبحون (أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ) أى كفيل يقال زعمت أزعم إذا كفلت (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) أى عن شدة أمر قال الشاعر : —

فى سنة قد كشفت عن ساقها ‏ ‏ ‏ ‏ حمراء تبرى اللحم عن عراقها

عراقها جمع عرق والعراق العظام وقوله قامت الحرب بنا على ساق ، وقد ذكرناه فى باب الاستعارة وما أنشد فيه، وأن إبراهيم يعنى النخعى قال يوم يكشف عن ساق عن أمر عظيم وأصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه شمر له عن ساقه،فاستعير الساق فى موضع الشدة كما قال دريد بن الصمة يرثى رجلا

---

(١) الذى فى لسان العرب :

وجاء سيل كان من أمر الله ‏ ‏ ‏ ‏ يحرد حرد الجنة المغلة

وقد ساق هذا شاهدا على أن حرد بمعنى قصد .

كميش الأزار خارج نصف ساقه ... صبور على الجُلاء طلاع أنجد

وقال الهذلى :

وكنت إذا جارى دعا لمضوفة ... أشمر حتى ينصف الساق مئزرى

(تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) تغشاهم (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) أى نأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم وهو مستعار من الدرج (وَأُمْلِى لَهُمْ) أى أطيل لهم وأمهلهم (إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ) أى شديد والكيد الحيلة والمكر (وهو مَكْظُومٌ) من الغم وكظيم مثله (الْعَرَاءِ) الأرض التى لا توارى من فيها بجبل ولا شجر (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) قال الفراء يعتانونك أى يصيبونك بأعينهم وذكر أن رجلا من العرب كان يمثل على طريق الابل إذا صدرت عن الماء فيصيب منها ما أراد بعينه حتى يهلكه هذا معنى قول الفراء، وليس هو بعينه ولم يرد الله عز وجل فى هذا الموضع أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن ما يستحسنه ويعجبه ، وإنما أراد أنهم ينظرون اليك إذا قرأت القرآن نظراً شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يزلقك أى يسقطك كما قال الشاعر : —

يتقارضون إذا التقوا فى موطن ... نظرا يزيل مواطىء الاقدام (١)

وقد كتبناه فى باب الاستعارة .

---

(١) لم يذكر قائله فى اللسان وقد تقدم .

﴿ غريب سورة الحاقة ومشكلها ﴾

(الحَاقَّةُ) القيامة حقت فهى حاقة وحقة قال الفراء: وإنما قيل لها حاقة لأن فيها حواق الأمور يقول لما عرفت الحقة منى هويت وهى مثل الحاقة (حُسُوماً) تباعا ويقال هو من حسم الداء لأنه يكون مرة بعد مرة يتابع عليه بالكى (أَعْجَازُ نَخْلٍ) أصول نخل (خَاوِيَةٍ) بالية (بِالخَاطِئَةِ) أى بالذنوب (فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ) أى بالطغيان (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) أى أثر ويقال هل ترى لهم من بقاء (أَخْذَةً رَابِيَةً) أى عالية مذكورة (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) من وعت الاذن (وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا) أى على نواحيها (فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ) يقال بمعنى هاكم اقرؤا كتابيه أبدلت الهمزة من الكاف ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى المشكل هاء بمعنى خذ وتناول وتقول هاء يارجل وتأمر بها ولا تلغى فتقول ـ هاؤكم اقرؤا كتابيه ـ ويقال للاثنين هاؤما وفيها لغات ، والأصل هاكم اقرؤا ، فحذفوا الكاف وأبدلوا الهمزة وألقوا حركة الكاف عليها وكذلك هات بمعنى اعط مكسورة التاء مثل رام وغاز وعاط فلانا قال الله سبحانه ـ قل هاتوا برهانكم ـ ائتوا به قال الفراء : ولم أسمع هاتيا للاثنين انما يقال للواحد والجميع وللمرأة هات وللنساء هاتين وتقول ما أهاتيك بمعنى ما أعاطيك ، وليس من كلام العرب هاتيت ولا ينهى بها ﴿ غ ﴾ (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ) ثمرها واحدها قطف (يَالَيْتَهَا كَانَتْ القَاضِيَةَ) أى المنية (إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ) وهو فعلين من

غسلت كأنه غسالة ويقال هو مايسيل من صديد أجساد المعذبين (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) لم يرد أنه قول الرسول وإنما أراد أنه قول رسول الله عزوجل، وفى الرسول مادل على ذلك، وا كتفى به من أن يقول عن الله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) هو استعارة للقوة قال ابن عباس : اليمين هاهنا القوة وإنما أقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شىء فى ميامنه ، ولأهل اللغة فى هذا مذهب آخر قد جرى الناس على اعتياده إن كان الله عز وجل أراده فى هذا الموضع ، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجل خذ بيده وافعل كذا وأكثر ما يقوله السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم : خذ بيده واستمسك بيده ونحوه قول الله عز وجل ـ لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ـ وإنما يعنى صاحبها، والناس يقولون هو مشئوم الناصية لا يريدونها دون غيرها من البدن ويقولون : قد مر على رأسى كذا أى مر على فكأنه قال : لو كذب علينا فى شىء مما يلقيه اليكم عنا لأمرنا بالأخذ بيده ثم عاقبناه بقطع الوتين . قال أبو محمد وإلى هذا المعنى ذهب الحسن رحمة الله عليه فقال فى قوله عزوجل (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أى بالميامن ثم عاقبناه بقطع الوتين وهو عرق يتعلق به القلب إذا انقطع مات صاحبه ، ولم يرد أنا نقطعه بعينه فيما يرى أهل النظر ، ولكنه أراد لو كذب لأمتناه أو قتلناه ، فكان كمن قطع وتينه ومثله قول النبى ﷺ : « مازالت أكلة خيبر تعاد بى ، فهذا أوان قطعت أبهرى » والأبهر عرق يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، فكأنه قال فهذا أوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع أبهره .

﴿ غريب سورة المعارج ومشكلها ﴾

قوله (سَأَلَ سَائِلٌ) أي دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ) يريد معارج الملائكة وأصل المعارج الدرج وهو من عرج إذا صعد (الْمُهْلِ) ما أذيب من الفضة والنحاس (تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) أي كالصوف وذلك أنها تبس (وَلَا يُسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) أي لا يسئل ذو قرابة عن قرابته ولكنهم (يُبَصَّرُونَهُمْ) يعرفونهم (وَفَصِيلَتِهِ) أي عشيرته الادنون (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) يريد جلود الرؤس واحدها شواة (الهلوع) الشديد الجزع والاسم الهلاع ومنه يقال ناقة هلوع إذا كانت ذكية حديدة النفس ويقال الهلوع الضجور (عِزِينَ) جماعات (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) والنصب حجر ينصب ويذبح عنده أو صنم يقال له نصبٌ ونصبٌ ونصب يوفضون يسرعون (والإيفاضُ) الاسراع.

﴿ غريب سورة نوح عليه السلام ومشكلها ﴾

(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) أي لا تخافون له عظمة (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) أي ضروبا يقال نطفة ثم علقة ثم عظما ويقال بل أراد اختلاف الأخلاق والمناظر (وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً) أي كبيرا يقال كبير وكبارٌ وكبّارٌ كما يقال طويل وطوال وطُوّال (وَدّاً) صنم ومنه

كانت تسمى العرب عبدَ وُدٍّ وكذلك (يَغُوث) ومنه سمى عبد يغوث (وَسُوَاعَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) كلها أصنام كانت لقوم نوح عليه السلام ثم صارت فى قبائل العرب (مِمَّا خطيئاتِهِمْ) أى من خطيئاتهم وما زائدة (دَيَّاراً) أى أحداً ويقال ما بالمنازل ديار أى أحدوهو من الدار أى ليس بها نازل دار (إلاَّ تبَاراً) أى إلا هلاكا ومنه قوله ـ وكلا تبرنا تتبير ـ

﴿ غريب سورة الجن ومشكلها ﴾

ونبدأ بما فيها من المشكل ثم نتبعه الغريب إن شاء الله عز وجل ﴿ قال أبو محمد ﴾ رحمه الله فى هذه السورة إشكال وغموض بما وقع فيها من تكرار أن واختلاف القراء فى نصبها وكسرها واشتباه ما فيها من قول الله عز وجل وقول الجن، فاحتجنا إلى تأويل السورة كلها قال الله لنبيه ﷺ (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) وكانوا استمعوا الرسول ﷺ وهو يقرأ (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَباً) يعنى أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا اليهم، واعتبار هذا قوله (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) ثم قال (فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِين) ثم قال (وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبِّنَا) أى عظمته (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً) يقال جد فلان فى قومه إذا عظم عندهم ثم قال (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً) أى جاهلنا يقول شططا أى علواً فى الكذب والجور ثم قال (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً) يقول كنا نتوهم

أن أحداً لا يقول على الله باطلا يريدون إنا كنا نصدقهم ونحن نظن أن أحدا لا يكذب على الله وانقطع هاهنا قول الجن وإن فى جميع هذا مكسورة إلا أنه استمع وقال الله سبحانه وتعالى (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) فان شئت أن تنصب وأنه وترده إلى قوله قل أوحى إلى، وأنه أوحى إلى أنه استمع رجال نصبت وإن أبيت أن تكسرها وتجعلها مبتدأة من الله فعلت. وكان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فصار إلى موضع مقفر موحش لا أنيس به قال أعوذ بسيد هذا المكان من سفهائه يعنى سفهاء الجن ويعنى بالسيد رئيسهم يقول الله عز وعلا (فَزَادُوهُمْ رَهقاً) يريد أنهم نزدادون بهذا التعوذ طغيانا وإثما فيقولون سدنا الجن والانس ثم قال الله سبحانه (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً) يقول ظن الجن كما ظننتم أيها الانس ألا بعث يوم القيامة أى كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنتم لا تؤمنون به. وانقطع هاهنا قول الله جل وعز وقالت الجن (وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً) وإنا مكسورة نسق على ماتقدم من قولهم يريدون حرست بالنجوم من أسماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منهامقاعد للسمع روى عبد الرزاق عن معمر أنه قال قلت للزهرى: أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية؟ فقال نعم. قلت أفرأيت قوله (وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً) فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث الله النبى ﷺ وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس رضى

لله عنهما قال بينا النبي ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هـذا في الجاهلية ؟ فقالوا : كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم ،في حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه ليدل على أن الرجم قد كان قبل مبعثه ﷺ ، ولكن لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه ، وكانت تسترق في بعض الأحوال فلما بعث النبي ﷺ منعت من ذلك أصلا ، وعلى هذا وجدنا الشعر القـديم ، قال بشر بن خازم وهو جاهلي : —

والعَـير يرهقها الغبار وجحشـها ينقض خلفها انقضاض الـكوكب

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي : —

وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الجزع وهو جاهـلي : —

يرد علينا العير من دون إلفه أو الثور كالدري يتبعه الدم

﴿ قال أبو محمد ﴾ وفي أيدى الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم تنبئ عن انقضاض النجوم في كل عصر وكل زمان . ثم قالت الجن (وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ) حين اشتدت حراسة السماء من استراق السـمع (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) أى خـيرا ثم قالت الجن (وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) بعد استماع القرآن أى منا بررة أتقياء (وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ) أى دون البررة وهم مسلمون (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) أى أصنافا وفرقا وكل فرقة قدة وهي مثـل قطعة في التقـدير وفي المعنى فـكأنهم قالوا نحن

أصناف وقطع ثم قالت الجن (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) أى الكافرون الآية ، وانقطع كلام الجن وقال الله عز وجل (وَأَن لو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) يعنى الخلق كلهم الجن والانس (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) أى لو آمنوا جميعا لوسعنا عليهم فى الدنيا وضرب الماء الغدق وهو الكثير لذلك مثلا لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون فأقيم مقامه إذ كان بسببه على ما أعلمتك فى المجاز (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أى لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم وفيه قول آخر يقول (وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا) جميعا على طريقة الكفر لوسعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة لهم وأن منسوقة على ما تقدم من قول الله عز وجل ثم قال (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) أى يدخله عذاباً شاقاً يقال سلكت الخيط فى الحبة وأسلكته أدخلته ، وبه سمى الخيط سلكا ، تقول سلكته سلكا فتفتح أول المصدر ، وتقول للخيط هذا السلك ، فتكسر أول الاسم مثل القطف والقطف ، ومن الصعد قيل تصعدنى هذا الأمر أى نسق على صعود العقبة الشاقة ، ومنه قيل - سأرهقه صعوداً - ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شىء ما تصعدنى خطبة النكاح ﴿وقال فى الغريب﴾ وترى أصل هذا كله من الصعود لأنه شاق فكنى به عن المشقات ثم قال (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) بنصب أن نسق على ما تقدم من قوله ، يريد وأن السجود لله عز وجل ولا يكون لغيره، جمع مسجد كما تقول ضربت فى البلاد مضربا بعيداً ، وهذا

مضرب بعيد ، ثم قال الله تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) بنصب أن نسق على ما تقدم من قول الله سبحانه ، يريد لما قام النبي ﷺ (يَدْعُوهُ) أى يدعو الله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) يعنى الجن كادوا يلبدون به ويتراكبون ، رغبة فيما سمعوا منه ، وشهوة له ، وهو جمع لبدة يقال غشيته لبدة من الجن أى قطعة لبدت به ، ثم قال لنبيه ﷺ (قُلْ إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) إلى قوله (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) أى ارتضاه للنبوة والرسالة فانه يطلعه على ما يشاء من غيبه ، ثم قال الله عز وجل (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى يجعل من بين يديه ومن خلفه (رَصَدًا) من الملائكة يحوطون الوحى من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة حتى تكون للأنبياء دلالة ، ثم قال الله عز وجل (لِيَعْلَمُوا أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) أى ليبلغوا رسالات ربهم والعلم هاهنا مثله فى قوله ـ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ـ ولما تجاهدوا وتصبروا فيعلم الله ذلك ظاهراً موجوداً يجب به ثوابكم على ما بينا فى غير هذا الموضع .

﴿ذكر ما فى هذه السورة من الغريب﴾ مما لم نذكره فى المشكل إن شاء تعالى (النَّفَرُ) ما بين الثلاثة إلى العشرة (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) قال مجاهد جلال ربنا وقال قتادة عظمته ، ومنه يقال فى افتتاح الصلاة تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ويقال جد الرجل فى صدور الناس وفى عيونهم أى عظم ومنه قول أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ،

أى عظم . وقال أبو عبيدة : جـده ملـكه وسلطانه (سَفِيهُنَا) جاهلنا (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أى ضلالا ، وأصل الرهق العيب ، ومنه يقال يرهق فى دينه (وَالشُّهُبُ) جمع شهاب وهو النجم المضىء والشهاب الرصد الذى قد أرصد به للرجم (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) أى كنا فرقاً مختلفة أهواؤنا (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِى الأَرْضِ) استيقنا (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا) أى نقصا من الثواب (وَلَا رَهَقًا) أى ظلما وأصـل الرهق مارهق الانسان من عيب أو ظلم (الْقَاسِطُونَ) الجائرون يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل (فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) أى توخوه وأموه (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) أى معـدلا وموئلا و (إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ) هنا استثناء من (لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) إلا أن أبلغكم (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّى أَمَدًا) أى غاية (لِيَعْلَمَ) محمد أن الرسل قبله قد بلغت عن الله عز وجل وأن الله تعالى حفظها ورفع عنها وأحاط بما لديها ، ويقال ليعـلم محمد أن الملائـكة يريد جبريل عليه السلام قد بلغ رسالات ربه . ويقرأ (لتعلم) بالتاء يريد لتعلم الجن أن الرسل قد أبلغت إلههم بما رجوا من اسـتراق السمع .

﴿ غريب سورة المزمل ومشكلها ﴾

(الْمُزَّمِّلُ) الملتف فى ثيابه وأصله المتزمل فأدغمت التاء فى الزاى وقوله (إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) ﴿ فى المشكل ﴾ (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) أى صـل الليل إلا شيئا يسـيرا منه تنام فيه ، وهو

الثلث ، ثم قال (نِصْفَهُ أَوْ انقُصْ) من النصف (قَلِيلاً) أى قم نصفه ، فاكتفى بالفعل الأول عن الثانى لأنه دليل عليه ، أوانقص من النصف قليلا الى الثلث ، أو زد عليه إلى الثلثين، جعل له سعة فى مدة قيامه بالليل، فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله ﷺ وطائفة من المؤمنين معه أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وأخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على المقادير حتى شق ذلك عليهم، فأنزل الله عز وجل (إِنَّ رَبكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَىِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) أى وتقوم نصفه وثلثه (وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) فيعلم مقدار ثلثيه ونصفه وسائر أجزائه ومواقيته ، ويعلم أنكم (لَنْ تُحْصُوهُ) أى لن تطيقوا معرفة ذلك والقيام فيه (فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) رخص لهم فى أن يقوموا ما أمكن وخف لغير مدة معلومة ولا مقدار ، وكان هذا فى صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس ، كذلك قال المفسرون ، وقوله (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) وهى آناؤه وساعاته مأخوذ من نشأت تنشأ نشئا أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعد شىء وأنشأها الله فنشأت وأنشأت ، ومنه قوله ـ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ ـ وقوله ـ إنا أنشأناهن إنشاء ـ أى ابتدأناهن ابتداء وثبتاهن قال نصيب

ولولا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسىَ النشأ الصغار

ومنه قيل لصغار الجوارى نشأ فكأنه قال : إن ساعات الليل الناشئة، واكتفى بالوصف من الاسم وقوله (أَشَدُّ وَطْأً) أى أثقل على المصلى من ساعات النهار ، وهو من قولك : اشتدت فى القوم وطأة سلطانهم ، إذا ثقل

عليهم مايلزمهم ويأخذهم به فأعلم الله سبحانه نبيه ﷺ أن الثواب فى قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها، ومن قرأ وطاء على تقدير فعال فهو مصدر لواطأت فلانا على كذا وكذا مواطأة ووطاء وأراد أن القراءة بالليل يتواطأ فيها قلب المصلى ولسانه وسمعه على التفهم والأداء والاستماع بأكثر مما يتواطأ عليه بالنهار (وَأَقْوَمُ قِيلاً) أى أخلص للقول وأسمع له لأن الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع فيه الحركات ، فيخلص القول ولا يكون دون تسمعه وتفهمه حائل ، وقوله (إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً) أى تصرفا وإقبالا وإدبارا فى حوائجك وأشغالك. هذا نص المشكل . ونذكر فى الغريب مالم يتكرر فى الآية قوله عز وجل (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا) مذكور فى بنى إسرائيل (قَوْلاً ثَقِيلا) أى ثقيل الفرائض والحدود ، ويقول أراد قولا ليس بالخفيف ولا السفساف ، لأنه كلام الله عز وجل (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ) انقطع اليه من قولك بتلت الشىء إذا قطعته (وَالأَنْكَالُ) القيود واحدها نكل (وَجَحِيمًا) نارا (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) تغص به الحلوق (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً) أى رملا سائلا ومثله ـ وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا ـ (أَخْذًا وَبِيلاً) أى شديدا وهو من قولك استوبلت البلد ، ويقال كلأ مستوبل لا يستمرأ (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) المعنى فكيف تتقون (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) إن كفرتم (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) أى منشق فيه (عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ) لن تطيقوه (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) أى طريقا ووجهة .

﴿غريب سورة المدثر ومشكلها﴾

(الْمُدَّثِّرُ) المتدثر بثيابه إذا نام فأدغم التاء فى الدال (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أى طهر نفسك من الذنوب ، فكنى عنه بثيابه وقد ذكر فى باب الاستعارة لما كانت الثياب مشتملة عليه كنى عن جسمه بثيابه كما قالت ليلى الاخيلية وذكرت إبلا :—

رموها بأثواب خفاف فما نرى لها شبها إلا النعام المنفرا

المعنى ركبوا فرموها بأنفسهم. وقال آخر :—

لاهم إن عامر بن جهم أو ذم حجا فى ثياب دسم

أو ذم أوجب المعنى : وهو متدنس بالذنوب ، وقال أبو عبيدة لا تلبس ثيابك على كذب ولا فجور * وقال ابن عباس أما سمعت قول الشاعر :—

إنى بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من خزية أتقنع

وقال بعضهم ثيابك فقصر ، فان تقصير الثياب طهر لها (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) يعنى الأوثان وأصل الرجز العذاب ، سميت الأوثان رجزا لأنها تؤدى إلى العذاب (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ) يقول لا تعطى فى الدنيا شيئا لتصيب أكثر منه (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) أى نفخ فى الصور أول نفخة (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) أى فردا لا مال له ولا بنين (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) دائما (وَبَنِينَ شُهُودًا) وهو الوليد بن المغيرة كان له عشرة بنين لا يغيبون عنه فى تجارة ولا عمل (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا) أى معاندا

(سَأُرْهِقُهُ صَعُودا) أى سأغشيه مشقة من العذاب ، والصعود العقبة الشاقة وكذلك الكؤود (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) فى كيد محمد ﷺ وما جاء به فقال شاعر مرة ، وساحر مرة ، وكاهن مرة ، وأشباه ذلك (عَبَسَ وبَسَرَ) أى قطب وكدر وقوله (قُتِلَ) أى لعن كذلك قيل فى التفسير (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) أى مغيرة لهم تقول لاحته الشمس إذا غيرته (ومَا جَعَلْنَا أصْحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلاَئِكَةً) روى أن رجلا من المشركين قال أنا أكفيكم سبعة واكفونى اثنين فأنزل الله عزوجل (ومَا جَعَلْنَا أصْحَابَ النَّارِ إلاّ مَلاَئِكَةً) فمن يطيقهم (ومَاجَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) فى هذه القلة (إلا فِتْنَةً لِلّذِينَ كَفَرُوا) لأنهم قالوا : وما قدر تسعة عشر فيطيقوا هذا الخلق كله (لِيَسْتَيْقِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ) حين وافقت عدة خزنة النار ما فى كتابهم ، هذا قول قتادة (واللَّيْلِ إذَا أدْبَرَ) أى جاء بعد النهار كما تقول : خلفنى ويقال دبرني فلان وخلفنى إذا جاء بعدى (والصُّبْحِ إذَا أسْفَرَ) أى أضاء (إِنَّهَا لإِحْدَى الكُبَرِ) جمع كبرى مثل الأولى والأول والصغرى والصغر ، وهذا كما يقال إنها لاحدى العظائم والعظم (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) أى ما أدخلكم النار (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ) مذعورة استنفرت فنفرت ، ومن قرأ مستنفرة بالكسر أراد نافرة قال الشاعر : —

أربط حمارك إنه مستنفر … فى إثر أحمرة عمدن لغرب

(فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال أبو عبيدة هو الأسد ، وكأنه من القسر

وهو القهر ، والاسد يقهر السباع ، وفى بعض التفاسير أنهم الرماة ، وروى ابن عيينة أن ابن عباس قال ركز الناس يعنى حسهم وأصواتهم (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) قالت كفار قريش إن كان الرجل يذنب فيكتب ذنبه فى رقعة فما بالنا لانرى ذلك (كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ) يعنى القرآن .

﴿غريب سورة القيامة ومشكلها﴾

قوله عز وجل (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) لاصلة أريد بها تكذيب الكفار ، لأنهم قالوا لا قيامة (والنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) أى تلوم نفسها يوم القيامة (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) تفسير هذا فى المشكل ﴿قال أبو محمد﴾ هذا رد من الله عز وجل ، وذلك أنهم ظنوا أن الله لاينشر الموتى ولا يقدر على جمع العظام البالية ، فقال : بلى : فاعلموا أنا نقدر أن نعيد السلاميات على صغرها ، ونؤلف بينها حتى يستوى البنان ، ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر ، ومثل هذا رجل قلت له أتراك تقدر على أن تؤلف هذا الحنظل فى خيط ؟ فيقول لك : نعم ، وبين الخردل ، وأما قوله (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) فقد كثرت فيه التفاسير فقال سعيد بن جبير : يقول سوف أتوب ، سوف أتوب ، وقال الكلبى : يكثر الذنوب ويؤخر التوبة . وقال آخرون : يتمنى الخطيئة ، وفيه

قول آخر على طريق الامكان إن كان الله عز وجل أراده، وهو أن يكون الفجور بمعنى التكذيب بيوم القيامة، ومن كذب بحق فقد فجر، وأصل الفجور الميل، فقيل للكاذب والمكذب والفاسق فاجر، لأنه مال عن الحق، وقال بعض الاعراب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان أتاه فشكا اليه نقب إبله ودبره واستحمله فلم يحمله:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر اغفر له اللهم إن كان فجر

أى كذب فهذا وجه لأن الفجور اعترض بين كلامين من أسباب يوم القيامة أولهما (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) فى الآخرة (بَلَى) نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه (بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ) أى ليكذب بيوم القيامة وهو أمامه، فهو (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) أى متى يكون ﴿ع﴾ (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) إذا حار عند الموت وأصل البرق الدهش يقال برق الرجل يبرق برقا، ومن قرأ برق أراد بريقه إذا شخص (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) وكسف وحجب (كَلَّا لَا وَزَرَ) وأصل الوزر الجبل الذى يمتنع فيه (يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ) من عمل الخير والشر (وَمَا أَخَّرَ) من سنة عمل بها بعده (بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) أى شهيد عليها بعملها بعده ولو اعتذر يريد شهادة جوارحه، ويقال أراد بل على الانسان من نفسه بصيرة (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) أى ضمه وجمعه (فَإِذَا

قَرَأْنَاهُ)أى جمعناه (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) أى جمعه والقراءة والقرآن مصدران قال قتادة اتبع حلاله وحرامه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ)أى مشرقة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) أى عابسة مقطبة (وَالْفَاقِرَةُ) الداهية يقال إنها من فقار الظهر كأنها تكسره تقول فقرت الرجل كسرت فقاره ، كما تقول رأسته إذا كسرت رأسه ، وبطنته إذا ضربت بطنه ، ويقال رجل فقير وفقر ، وقال أبو عبيدة هو من الوسمة الذى يفقر به على الأنف (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ) يعنى النفس أى صارت النفس بين تراقيه (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) أى أهل أحد يرقى (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أتاه أول شدة أمر الآخرة والشد آخر أمر الدنيا ، ويقال هو التفاف ساق الرجل عند السباق هو مثل قوله : شمرت عن ساقها (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى) أراد لم يصدق ولم يصل *ش* قال أبو محمد :لا : قد تكون بمعنى لم ، كما قال الله عزوجل فى الآية وقال الشاعر : —

وأى خميس لا أفأنا نهابه وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

الكبش هاهنا الرئيس أى لم نفئ نهابه ، وقال الآخر :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما

أى لم يلم *غ* (يَتَمَطَّى) يتبختر وأصله يتمطط فقلبت الطاء فيه ياء كما قالوا يتظنى ، وأصله يتظنن ومنه المشية المطيطى وأصل الطاء فى هذا كله دال إنما هو مد يده فى المشى إذا تبختر ، يقال مددت ومططت بمعنى واحد (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) تهدد ووعيد (أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أى يهمل فلا يؤمر

ولا ينهى ولا يعاقب يقال اسديت الأمر إذا أهملته .

﴿ غريب سورة الانسان ومشكلها ﴾

قوله (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ) قال المفسرون : أراد قد أتى على الانسان ، وقال فى المشكل : ومثله ـ هل أتاك حديث الغاشية ـ و ـ هل أتاك حديث موسى ـ و ـ وهل أتاك نبأ الخصم ـ هذا كله عندهم بمعنى قد ـ يعنى المفسرين ـ قال وتكون هل للاستفهام ويدخلها من معنى التوبيخ والتقرير ما يدخل الألف التى يستفهم بها كقوله عز وجل ـ هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء ـ وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ ،وكذلك قوله تعالى ـ هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ـ ويجعلونها أيضا بمعنى ما .فى قوله عز وجل ـ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة ـ و ـ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ـ وهل ينظرون إلا الساعة ـ ـ وهل ينظرون إلا تأويله ـ ـ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ـ هذا كله عندهم بمعنى ما ، وهو والأول عند أهل اللغة تقرير ﴿غ﴾ (أَمْشَاجٍ) أخلاط يقال مشجته فهو مشيج يريد اختلاط ماء الرجل بماء المرأة (نَبْتَلِيهِ) نختبره (إِنَّا جَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) نبتليه بذلك (كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً) أى فاشيا منتشراً يقال استطار الحريق إذا انتشر ، واستطار الفجر إذا انتشر الضوء (يوماً عَبُوساً) أى يوما تعبس فيه الوجوه فجعل عبوسا من صفة اليوم كما قال تعالى ـ فى يوم عاصف ـ أراد عاصف الريح

(وَالْقَمْطَرِيرُ) الصعب الشديد ويقال للمعبس الوجه : قمطرير وقماطر (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا) أى أدنيت منهم من قولك حائط ذليل إذا كان قصير السمك ونحوه ـ قطوفها دانية ـ والقطوف الثمر واحدها قطف والتذليل أيضا تسوية العذوق يقول أهل الحجاز ذَلِّلِ النخل سوّ عذوقها (وَالأَكْوَاب) كيزان لاعرى لها ، واحدها كوب (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) قد فسر فى المشكل مامعنى ذكره القوارير من الفضة وأن الله سبحانه أعلمنا أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة ، كما تقول أتانا بشراب من نور ، أى كأنه نور (قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً) أى على قدر الرى (كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً) يقال هو اسم العين وكذلك السلسبيل اسم العين قال مجاهد : السلسبيل الشديد الجرية ، وقال غيره السلسلة اللينة وأما الزنجبيل فان العرب تضرب به المثل وبالخمر ممتزجين قال ابن علس يصف فم امرأة :

وكان طعم الزنجبيل به إذا ذقته وسلافه الخمر

(السُّنْدُسُ وَالإِسْتَبْرَقُ) قد تقدم ذكرها (وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) أى خلقهم يقال امرأة حسنة الاسر أى حسنة الخلق كأنها أسرت أى شدت وأصل هذا من الاسار وهو الشد ، يقال ماأحسن ماأسرقتبه . أى ما أحسن ماشده ، وكذلك امرأة حسنة العصب إذا كانت مدمجة الخلق كأنها عصبت أى شدت .

﴿غريب سورة والمرسلات ومشكلها﴾

(وَالْمُرْسَلَاتِ) الملائكة (عُرْفًا) أى متتابعة ويقال هم اليه عرف واحد ويقال أرسلت بالعرف أى المعروف ﴿ش﴾ ومن الاستعارة قوله (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) يعنى الملائكة يريد أنها متتابعة يتلو بعضها بعضا بما ترسل من نور الله عز وجل ﴿قال أبو محمد﴾ وأصل هذا من عرف الفرس لأنه سطر مستو بعضه فى إثر بعض، واستعير للقوم يتبع بعضهم بعضا، ومنه يقول الناس هم اليه عرف واحد، إذا كثروا وتتابعوا فى توجههم اليه، ويقال أرسلت بالعرف أى بالمعروف، والكلامان فى الكتابين متقاربا اللفظ، ولكنا كتبناه للشرط المذكور ﴿غ﴾ (وَالْعَاصِفَاتِ) الرياح (وَالنَّاشِرَاتُ) الرياح التى تأتى بالمطر، من قوله ـ وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ـ (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) الملائكة تنزل تفرق ما بين الحلال والحرام (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) هى الملائكة تلقى الوحى إلى الأنبياء على جميعهم السلام (عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) إعذار من الله وإنذار (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) أى ذهب ضوؤها كما يطمس الأثر حتى يذهب (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) أى فتحت (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) جمعت لوقت، وهو يوم القيامة (لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ) على التعظيم لليوم كما يقال ليوم أى يوم (وأُجِّلَتْ) أخرجت (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) أى حقير (فَقَدَرْنَا) بمعنى قدّرنا مشددة، يقال قدرت كذا وقدرته، ومنه قول النبي ﷺ فى الهلال

« إذا غم عليكم فأقدروا له » أى فقدروا له المسير والمنازل (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا) أى نضمهم فيها والكفت الضم ويقال أكفت اليك كذا أى ضممت اليك ، وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لأنها مقبرة تضم الموتى (أَحْيَاءً وأَمْوَاتًا) يريد أنها تضم الاحياء والأموات (شَامِخَاتٍ) طوال يقال شمخ بأنفه (مَاءً فُرَاتًا) أى عذبا ﴿ فى المشكل ﴾ قوله (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) إلى قوله (كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا يقال يوم القيامة للمكذبين ، وذلك أن الشمس تدنو من رؤس الخلائق ليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم كنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم ، وتأخذ بأنفاسهم ومدذلك اليوم وكربه ثم ينجى الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظله ، فهنالك يقولون ـ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ـ ويقال للمكذبين (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) من عذاب الله وعقابه (انْطَلِقُوا) من ذلك (إِلَى ظِلٍّ) من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب فكونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله فى ظل عرشه ، أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من الحساب . ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار . ثم وصف الظل فقال (لَا ظَلِيلٍ) أى يظلكم من حر هذا اليوم . بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس . ولا يغنى عنكم من اللهب . وهذا مثل قوله ـ وظل من يحموم لابارد ولا كريم ـ (والْيَحْمُوم) الدخان وهو سرادق أهل النار فيما ذكر المفسرون ثم وصف

النار فقال(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) فمن قرأ بتسكين الصاد أراد القصر من قصور مياه الاعراب ومن قرأ القصر بكسر الصاد شبهه بأعناق النخل ويقال بأصوله إذا قطع ووقع شبيه الشرر بالقصر فى مقاديره ثم شبهه فى لونه بالجمالات الصفر وهى السود والعرب تسمى السود من الابل صفراً قال الشاعر : —

تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب

أى هن سود وانما سميت السود من الابل صفراً لأنه يشوب سوادها شىء من صفرة كما قيل لبيض الظباء أدم لأن بياضها تعلوه كدرة. والشرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار يكون أشبه شىء بالابل السود لما يشوبها من الصفرة ﴿ غ ﴾ وواحد الجمالات جمالة وقال ابن عباس الجمالات الصفر حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كأوساط الرجال (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ) أى حيلة فاحتالوا

﴿ غريب سورة عم يتساآلون ومشكلها ﴾

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) يقال القرآن ويقال القيامة (مِهَاداً) أى فراشا (وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً) أى أوتادا للأرض (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً) أى أصنافا وأضدادا (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً) أى راحة لأبدانكم وأصل السبت التمدد ﴿ ش ﴾ وقد تقدم مافيه فى باب الرد عليهم فيما ادعوه من أن السبات هو النوم ، فيكون معناه (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ) نوما والسبات هو الراحة أى جعلنا النوم راحة لأبدانكم ومنه قيل ليوم السبت

السبت لأن الخلق اجتمع فى يوم الجمعة وكان الفراغ منه يوم السبت فقيل لبنى إسرائيل استريحوا فى هذا اليوم لا تعملوا فيه شيئا فسمى يوم السبت السبت بمعنى يوم الراحة (وجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) أى سترا لكم . وهو استعارة فيما سكن اليه والتبس به كما استعير فى قوله فى النساء ـ هن لباس لكم ـ أى سكن لكم وإنما اعتبر ذلك من قوله ــ جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ــ ومن قوله ــ وجعل منها زوجها ليسكن اليها ــ وكذلك المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان فى ثوب واحد ويتضامان . فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس قال الجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت عليه فكانت لباسا

وقد تقدم ذكر هذا فى بابه . وفيما شبه من القرآن . وأعدنا منه شيئا للتنبيه عليه والتوكيد فيه ﴿غ﴾ (وجَعَلْنَا سِرَاجاً وهَّاجاً) أى وقادا يعنى الشمس (وأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) يعنى السحاب يقال شبهت بمعاصير الجوارى والمعصر الجارية التى دنت من الحيض ويقال هن ذوات الاعاصير أى الرياح (مَاءً ثَجَّاجاً) أى سيالا (وجَنَّاتٍ أَلْفَافا) أى ملتفة قال أبو عبيدة: واحدها لف ويقال هو جمع الجمع كأن واحده ألف ولفاء وجمعه لف وجمع الجمع ألفافا (لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابا) يقال الحقب ثمانون سنة وليس هذا مما يدل على غاية كما يظن بعض الناس وإنما يدل على الغاية التوقيت كخمسة أحقاب أو عشرة وأراد أنهم يلبثون فيها أحقابا كلما مضى حقب تبعه حقب آخر (لَايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً) أى نوما قال الشاعر:

وإن شئت حرمت النساء سواكم   وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا برداً

﴿قال أبو محمد﴾ البرد النوم، وسمى بذلك لأنه يبرد فيه عطش الانسان، والنفاخ الماء ويقال لايذوقون فيها برد الشراب (إلاّ حَمِيمًا) وهو الماء الحار (وَغَسَّاقًا) أي صديداً وقد تقدم ذكر هذا (جَزَاءً وِفَاقًا) أي وفاقا لأعمالهم (إنَّهُمْ كانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا) أي لايخافون (مفازاً) موضع فوز وهو من المقلوب الذي يوصف الشيء فيه بضد صفته للتطير والتفاؤل فيقولون للفلاة مفازة أي منجاة وهي مهلكة كقولهم للديغ سليم تطيرا من السقم وتفاؤلا بالسلامة، وللعطشان ناهل أي سينهل يعنون يروى وقد تقدم هذا الباب بما فيه فيما سلف من الكتاب (حَدَائِقَ) بساتين نخل واحدها حديقة (وكأساً دِهَاقًا) أي مترعة ملأى (وكواعِبَ) نساء قد كعبت ثديهن (أتْرَابًا) على سن واحد (عطَاءً حِسَابًا) أي كثيراً يقال أعطيت فلانا إعطاء حسابا وأحسبت فلانا قال الشاعر:

وتقفى وليد الحى إن كان جائعا   وتحسبه أن كان ليس بجائع

﴿قال أبو محمد﴾ وترى أصل هذا أن يعطيه حتى يقول حسبي (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والملَائِكَةُ صَفًّا) أي صفوفا فهذا يدل على الصفوف (فَمَنْ شاءَ اتَّخذَا إلى ربِّهِ مآبًا) أي مرجعاً إلى الله ـ كأنه إذا عمل خيراً رده إلى الله وإذا عمل شراً باعده منه

﴿غريب سورة والنازعات ومشكلها﴾

(والنَّازِعَاتِ غَرْقًا) يقال هى الملائكة تنزع النفوس إغراقا كما يغرق النازع فى القوس (وَالنَّاشِطَاتِ) الملائكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال أى يربط (وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا) أى الملائكة جعل نزولها كالسباحة والسبح أيضا التصرف كقوله — إن لك فى النهار سبحا طويلا — (فالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) تسبق الشياطين بالوحى (فالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)فانها الملائكة وإلى هذا ذهب أبو عبيدة (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) الأرض ويقال الرجفة والراجفة هاهنا سواء (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) أى تردفها أخرى يقال ردفته وأردفته إذا جئت بعده (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) أى تخفق وتجف (إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الحَافِرَةِ) أى الى أول أمرنا يقال رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء وأرادوا(أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَاخِرَةً) نرد أحياء كما كنا؟ قال الشاعر : —

أحافرة على صلع وشيب   معاذ الله من سفه وعار

أى أرجع إلى أول أمرى فى حداثتى بعد الصلع والشيب (تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أى رجعة يخسر فيها (وَالسَّاهِرَةُ) وجه الأرض (فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ والأُولى) إحداهما قوله ـ أنا ربكم الأعلى ـ والأخرى قوله ـ ماعلمت لكم من إله غيرى ـ (أَغْطَشَ لَيْلَهَا) أى جعله مظلما

﴿ومن المشكل﴾ قوله (وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) أى بسطها قال قوم فى قوله ـ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له

أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ـ فدلت هذه الآيات على أنه خلق الارض قبل السماء . وقال فى موضع آخر (أم السَّمَاءُ بنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) فدلت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض ﴿قال أبو محمد﴾ وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين ، ولا غلط المتأولين ، وإنما كان يجد الطاعن متعلقا ومقالا لو قال والأرض بعد ذلك خلقها ، أو ابتداها ، أو أنشأها ، وإنما قال دحاها فابتدأ خلق الأرض على مافى الآى الأول فى يومين ، ثم خلق السموات وكانت دخانا فى يومين ، ثم دحى بعد ذلك الارض أى بسطها ومدها وكانت ربوة مجتمعة ، وأرساها بالجبال ، وأنبت فيها النبات فى يومين ، فتلك ستة أيام سواء للسائلين ، وهى معنى قول ابن عباس : وقال مجاهد بعد ذلك فى هذا الموضع بمعنى مع ذلك، ومع وبعد فى كلام العرب سواء ﴿غ﴾ (مَتَاعًا لَكُمْ) أى منفعة لكم (أَيَّانَ مُرْسَاهَا) أى متى تأتى فتستقر لأن الأشراط تتقدمها (فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) أى ليس علم ذلك عندك

﴿ غريب سورة عبس وتولى ﴾

(تَصَدَّى) تعرض يقال فلان يتصدى لفلان اذا تعرض له ليراه (كَلَّا

إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ) يعنى السورة (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) يعنى القرآن (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) أى كتبة وهم الملائكة واحـدهم سافر (قُتِلَ الانْسَانُ) أي لعن (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) أى جعله ممن يقبر ولم يجعله ممن يلقى بوجه الارض كما تلقى البهائم يقال قبرت الرجـل دفنتـه ، وأقبرته جعلت له قبراً يدفن فيـه (أَنْشَرَهُ) أحياه (لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ) أى لم يقض ما أمره به (الْقَضْبُ) القت يقال سمى بذلك لأنه يقضب مرة بعد مرة أى يقطع وكذلك الفصل لأنه يفصل أى يقطع (وَالْغُلْب) الغلاظ الأعناق يعنى النخل (وَالأَبُّ) المرعى (وَالصَّاخَّةُ) القيامة صخت تصخ صخاً أى تصم ويقال رجل أصخ وأصلخ اذا كان لايسمع والداهيـة الصاخة أيضا (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) أى يصرفه ويصـده عن قرابته ، ومنه يقال أُغن عنى وجهك أى اصرفه ، واُغن عنى السفيه (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) أى تغشاها غبرة .

غريب سورة اذا الشمس كورت

(كُوِّرَتْ) قال أبو عبيـدة تكور اى تلف كما تكور العمامة . وقال بعض المفسرين كورت ذهب ضوءها (انْكَدَرَتْ) انتثرت وانصبت (سُجِّرَتْ) ملئت يقال يفضى بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا (وَالْعِشَار) الابل الحوامل واحدتها عشراء وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع ، وبعد ماتضع تقول عطلها أهلها من الشغل بأنفسهم

(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت بأشكالها فى الجنة والنار (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ) البنت تدفن حية (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) أى نزعت فطويت كما يكشط الغطاء عن الشيء (وَأُزْلِفَتْ) أدنيت (وَالْخُنَّسُ) النجوم (الْجَوَارِى) الخمسة الكبار لأنها تخنس أى ترجع فى مجراها وتكنس تستتر كما تكنس الظباء (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) قال أبو عبيدة إذا أقبل ظلامه وقال غيره ـ والليل إذا أدبر ـ (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أى متهم على مايخبر عن الله عز وجل ومن قرأ (بِضَنِينٍ) أراد ببخيل أى ليس ببخيل عليكم بعلم ماغاب عنكم، مما ينفعكم.

﴿ غريب سورة الانفطار ومشكلها ﴾

(انفَطَرَتْ) انشقت فجرت أى فجر بعضها إلى بعض (بُعْثِرَتْ) قلبت وأخرج مافيها يقال بعثرت المتاع وبحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه (فَعَدَّلَكَ) قوم خلقك ومن قرأ (فعَدَلك) بالتخفيف أراد حرفك إلى ماشاء من السور فى الحسن والقبح (يكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) أى بالجزاء والحساب.

﴿ غريب سورة المطففين ومشكلها ﴾

﴿قال أبو محمد﴾ فى آخر المشكل (وَيْلٌ) تقبيح قال الله عز وجل ـ ولكم الويل مما تصفون ـ قال الأصمعى تقول العرب له الويل والاليل الانين وقد يوضع موضع التحسر والتفجع كقوله ـ ياويلتنا ـ ـ وياويلتنا

أعجزت أن أكون ـ وكذلك ويح وويس تصغير ﴿غ﴾ (الْمُطَفِّفُ) الذى لايوفى الكيل يقال إناءطفان إذا لم يكن مملوءا (وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ) أى كالوا لهم (أَوْ وَزَنُوهُمْ) يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك، وكذلك عددتك وعددت لك (يُخْسِرُونَ) ينقصون (لَفِي سِجِّينٍ) فعيل من سجنت (مَرْقُومٌ) مكتوب والرقم الكتاب قال أبو ذؤيب.

عرفت الديار كرقم الدواة   يزبره الكاتب الحميرى

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) أى غلب، يقال رانت الخمر على عقله أى غلبت (الرَّحِيقُ) الشراب الذى كان لاغش فيه. ويقال الرحيق الخمر العتيقة اذا شرب (وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) يقال أرفع شراب فى الجنة، ويقال يمزج بماء ينزل من تسنيم أى من علو، وأصل هذا من سنام البعير، ومنه تسنيم القبور، وهذا أعجب إلى لقول المسيب بن علس فى وصف امرأة : ـ

كأن بريقتها للمزاج من ثلـ   ـج تسنيم شيبت عقاراً

أراد كأن بريقتها عقارا شيبت للمزاج من ثلج تسنيم يريد جبلا (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ) أى جزوا (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

﴿غريب سورة اذا السماء انشقت﴾

قوله (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) أى حق لها (إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ) أي عامل الى ربك ناصب في معيشتك الى لقاء ربك (فَسَوْفَ

يَدْعُو ثُبُوراً) أى بالثبور وهو الهلكة (إِنَّهُ ظَنَّ أن لَنْ يَحُورَ) أى يرجع ويبعث (الشَّفَقُ) الحمرة بعد مغيب الشمس (واللَّيْلِ وما وَسَق) أى جمع وحمل ، ومنه الوسق وهو الحمل (والْقمرِ اذا اتَّسَقَ) أى امتلأ فى الليالى البيض (لَتَرْكَبُنّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) أى حالا بعد حال . قال الشاعر : ـ

كذلك المرء إن ينسأ له أجل   يركب به طبق من بعده طبق

(وَاللهُ أعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) أى يجمعون فى صدورهم وقلوبهم : يقال أوعيت المتاع (غَيْرُ مَمْنُونٍ) أى غير مقطوع .

﴿ غريب والسماء ذات البروج ﴾

(البُرُوجُ) بروج النجوم وهى اثنى عشر برجا مذكورة فى سورة يس من المشكل ، ويقال البروج القصور (وَاليَوْمِ المَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ) فى يوم الجمعة ، كأنه أقسم بمن يشهده (وَمَشْهُود) يوم الجمعة ويوم عرفة (والأخدود) الشق فى الأرض ، وجمعه أخاديد ، وكان رجل من الملوك خد لقوم فى الارض أخاديد وأوقد فيها نارا ثم ألقى قوما من المؤمنين فى تلك الأخاديد (فَتَنُوا المؤمِنِينَ) أى عذبوهم .

ـ﴿ غريب والسماء والطارق ومشكلها ﴾ـ

(الطَّارِقُ) النجم ، سمى بذلك لأنه يطرق أى يطلع ليلا ، وكل من أتاك

ليلا فقد طرقك (والثّاقِبُ) المضيء . (والترّائِب) معلق الحلى على الصدر واحدها تريبة (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) أى تختبر سرائر القلوب ، مثل قولك مقدم الشيء الموضع الذى قدم اليه (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) أى المطر . قال الهزلى يذكر سيفا :ــ

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ناخ فى محتفل يختلى

أى أبيض كالماء (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) أى تصدع بالنبات (يَكِيدُونَ كَيْدًا) أى يحتالون حيلة (وأَكِيدُ كَيْدًا) أجازيهم جزاء كيدهم (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) ﴿ش﴾ (رُوَيْدًا) بمعنى مهلا ورويدك بمعنى أمهل ، قال الله عز وجل (فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) أى أمهلهم قليلا ، وإذا لم يتقدمها أمهلهم كانت بمعنى مهلا ، ولا يتكلم بها إلا مصغرة مأمورا بها وجاءت فى الشعر بغير تصغير فى غير معنى الأمر ، قال الشاعر :ــ

كأنها مثل من يمشى على رود. أى على مهل

﴿غريب سورة سبح اسم ربك الأعلى﴾

(فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى) أى يبسا أحوى أسود من قدمه واحتراقه (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى) يريد أن معنى السورة فى الصحف الاولى ، لا الألفاظ بعينها ، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى ، فى الصحف الأولى كما هو فى القرآن

﴿ غريب سورة الغاشية – والفجر ﴾

(الْغَاشِيَةُ) القيامة لأنها تغشاهم (الضَّرِيعُ) نبت فى الحجاز يقال لرطبه : الشبرق (لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) أى قائلة لغوا ، ويكون اللغو بعينه (وَالنَّمَارِقُ) الوسائد واحدتها نُمْرُقة ونِمْرِقة (وَالزَّرَابِيُّ) الطنافس ويقال هو البسط ، واحدتها زربية (مَبْثُوثَةٌ) كثيرة متفرقة (سُطِحَتْ) أى بسطت (لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ) أى بمسلط (وَإِيَابُهُمْ) رجوعهم .

﴿ غريب سورة والفجر ومشكلها ﴾

(وَلَيَالٍ عَشْرٍ) يعنى عشرة الاضحى (وَالشَّفْعِ) يوم الاضحى (وَالْوَتْرِ) يوم عرفة (والشفع) فى اللغة اثنان ، والوتر واحد قال قتادة : الخلق كله شفع ووتر فأقسم بالخلق . وقال عمران بن حصين : الصلاة المكتوبة منها شفع ووتر . وقال ابن عباس : الوتر آدم شفع بزوجه حواء عليهما السلام . وقال أبو عبيدة : الشفع الزكاة وهو الزوج ، والوتر الخسا ، وهو الفرد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي) أى يسرى فيه كما يقال ليل نائم ، أى ينام فيه (لِذِي حِجْرٍ) أى لذى عقل (جَابُوا الصَّخْرَ) نقبوه فأعدوا منه بيوتا (فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أى ضيق عليه ، يقال قدرت عليه رزقه وقترته (وَالتُّرَاثَ) الميراث والتاء فيه منقلبة عن واو كما قالوا تجاه ، والأصل وجاه

وقالوا تخمة، والأصل وخمة (أَكْلاً لَمًّا) أي شديداً وهو من قولك لممت الشيء إذا جمعته (حُبًّا جَمًّا) أي كثيراً (دُكَّتِ الأَرْضُ) دكت جبالها وأنشازها حتى استوت.

﴿غريب سورة البلد ومشكلها﴾

﴿قال أبو محمد﴾ (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) آدم وولده (فِي كَبَدٍ) أي في شدة غلبة ومكابدة لأمور الدنيا والآخرة (مَالاً لُبَدًا) أي كثيرا وهو من التلبد كان بعضه على بعض (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) والنجد الطريق في ارتفاع، يريد طريق الخير والشر. قال ابن عباس: الثديين (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) أي فلا هو اقتحم العقبة (فَكُّ رَقَبَةٍ) أي عتقها وفكها من الرق (ذي مَسْغَبَةٍ) أي ذي مجاعة يقال سغب الرجل يسغب سغوبا إذا جاع (يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ) أي ذا قرابة (أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ) أي ذا فقر كأنه لصق بالتراب (نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) أي مطبقة يقال أوصدت الباب وأصدته إذا أطبقته

﴿غريب سورة والشمس وضحاها ومشكلها﴾

(ضُحَاهَا) نهارها كله (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) أي تبع الشمس (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) يعني جلى الظلمة أو الدنيا (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) ما بسطها يقال حي طاح أي كثير متسع ﴿ومن المشكل﴾ قوله

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) ﴿ قال أبو محمد ﴾ أقسم بالنفس وخلقه لها ثم قال (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) فهمها أعمال البر وأعمال الفجور حتى عرفها ذلك الجاهل والعاقل ثم قال (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) يريد أفلح من زكى نفسه أى نماها وأعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف وأصل التزكية الزيادة ومنها يقال زكى الزرع إذا كثر ريعه وزكت النفقة إذا بورك فيها ومنه زكاة الرجل عن ماله لأنه يثمر ماله وينميه وتزكية القاضى للشاهد لأنه يرفعه بالتعديل والذكر الجميل (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أى نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصى والفاجر أبداً خفى المكان زمر المروءة غامض الشخص ناكس الرأس (ودَسَّاهَا) من دسست فقلبت إحدى السينات ياء كما يقال لبنت فلانا والأصل ألبيت وقصيت المغارى والأصل من قصصت ومثله كثير فكأن النطف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقمعها ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها. وكانت أجواد العرب تنزل الربا وأبقاع الارض تشهر أماكنها للمعتضين وتوقد النيران فى الليل للطارقين وكانت اللئام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام لتخفى أماكنها على الطالبين فأولئك أعلوا أنفسهم وزكوها وهؤلاء أخفوا أنفسهم ودسوها قال الشاعر : ـ

وبوئت بيتك فى معلم ... رحيب المباءة والمنسرح
كفيت العفاة طلاب القرى ... ونبح الكلاب لمستنبح

ترى دغس أثار تلك المطى أخاديد كاللقم الافيح
ولو كنت فى نفق رائع لكنت على الشرك الاوضح

ومثل هذا كثير ﴿غ﴾ (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) أى كذبت الرسل اليها بطغيانها (إذ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا) أى الشقى منها لعقر الناقة (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا) أى احذروا ناقة الله وشربها

﴿غريب سورة والليل إذا يغشى ومشكلها﴾

﴿قال أبو محمد﴾ فى المشكل فى قوله (وما خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى) إن معناه ومن خلق الذكر والانثى وقال ما ومن أصلهما واحد فجعلت من للناس . وما لغير الناس تقول : من مر بك من الناس . وما مر بك من الأبل ﴿وقال أبو عبيدة﴾ فى قوله عز وجل فى هذه الآية وفى قوله — والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها — ما فى هذه المواضع بمعنى من (وقال أبو عمرو) هى بمعنى الذى قال : وأهل مكة إذا سمعوا صوت الرعد يقولون سبحان ما سبحت له . قال الفراء هو وخلقه الذكر والأنثى . وذكر أنها فى قراءة عبد الله والذكر والأنثى (غ) (إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) أى عملكم مختلف (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) للعود الى العمل الصالح (وكَذَّبَ بِالْحُسْنَى) أى بالجنة والثواب (تَرَدَّى) فى النار أى سقط ويقال تردى أى تفعل من الردى وهو الهلاك .

﴿غريب سورة والضحى﴾

(وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا) إذا سكن سجا سكن وذلك عند تناهى ظلامه وركوده (وَمَا قَلَا) أى وما أبغضك (عَائِلاً) فقيرا والعائل الفقير كان له عيال أولم يكن يقال عال الرجل إذا افتقر وأعال إذا كثر عياله

﴿غريب سورة ألم نشرح لك صدرك﴾

(نَشْرَحْ) نفتح (الْوِزْرُ) الاثم فى الجاهلية (أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) أى أثقله حتى سمع نقيضه أى صوته وهذا مثل (فَإِذَا فَرَغْتَ) من صلاتك (فَانْصَبْ) فى الدعاء (فَارْغَبْ) إلى الله

﴿غريب سورة والتين والزيتون ومشكلها﴾

(التِّينُ وَالزَّيْتُونُ) جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا بالسريانية سميا بالتين والزيتون لأنهما ينبتاهما (وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ) يعنى مكة يريد الامن (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) إلى الهرم ﴿قال أبو محمد﴾ فى المشكل (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) الى آخر السورة يريد عدلنا خلقه وقومناه أحسن تقويم وتعديل (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ) والسافلون الضعفاء والزمنى والاطفال ومن لا يستطيع حيلة ولا يجد سبيلا تقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون كما تقول علا يعلو فهو عال وهم عالون ، وهذا مثل قوله — ومنكم من يرد إلى أرذل العمر — أى إلى الهرم

أراد أن الهرم يخرف ويهتر وينقص عقله ويضعف بصره وسمعه وتقل حيلته ويعجز عن عمل الصالحات فيكون أسفل هؤلاء جميعا (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) فى وقت القوة والقدرة فانهم فى حال الكبر غير منقوصين لأنا نعلم أنا لو نسلبهم القدرة والقوة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصالحات فنحن نجرى لهم أجر ذلك ولا نمسه أى لا نقطعه ولا ننقصه وهو معنى قول المفسرين ومثله قوله ـ إن الانسان لفى خسر ـ والخسر النقصان (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فانهم غير منقوصين ونحوه قول رسول الله ﷺ « يقول الله للكرام الكاتبين إذا مرض عبدى فاكتبوا له ما كان يعمل فى صحته حتى أعافيه أو أقبضه » ثم قال (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ) أى فما يكذبك أيها الانسان بالدين أى بمجازاتى إياك بعملك وأنا أحكم الحاكمين *(غ)* وقال الحسن (أسفل سافلين) النار (غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع .

(غريب سورة اقرأ باسم ربك)

(أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) أى يطغى أن رأى نفسه استغنى (الرُّجْعَى) المرجع (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنأخذن بها يقال أسفع بيده والكلام استعارة قد تقدمت وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجل خذ بيده واسفع بيده فكأنه قال لنأخذن بناصيته ثم لنقيمنه ولنذلنه إما فى الدنيا وإما فى الآخرة كما قال ـ فيؤخذ بالنواصى والاقدام ـ أى يجرون إلى النار بنواصيهم وأرجلهم ثم

قال (ناصِيَةٍ كَاذِبَةٍ) وإنما يعنى صاحبها والناس يقولون هو مشئوم الناصية لا يريدونها دون غيرها من البدن كما يقولون قد مر على رأسى أى مر على ﴿غ﴾ (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أى أهل ناديه ينتصر لهم ، والنادى المجلس ، يريد قومه (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) قال قتادة : هم الشرط فى كلام العرب وقال غيره من الزبن مأخوذ (والزبن) الدفع كأنهم يدفعون أهل النار اليها واحده زبنية :

﴿غريب سورة القدر ومشكلها﴾

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ) ليلة الحكم كأنه يقدر فيها الاشياء (خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ) أى خير هى (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)

﴿غريب سورة لم يكن﴾

(مُنْفَكِّينَ) زائلين يقال ما أنفك فى كذا أى لا أزال (كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) أى عادلة .

﴿غريب سورة إذا زلزلت﴾

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) أى موتاها (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) فتخبر بما عمل عليها (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) أى بأنه أذن لها

فى الاخبار بذلك (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) أى يرجعون (أَشْتَاتاً) أى فرقا (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) وزن نملة صغيرة.

﴿غريب سورة والعاديات﴾

(الْعَادِيَاتُ) الخيل (وَالضَّبْحُ) صوت حلوقها إذا عدت وكان على رضى الله عنه يقول هى الابل تذهب إلى وقعة بدر قال ما كان معنا يومئذ إلا فرس عليه المقداد وقال آخرون : الضبع والضبح واحد فى السير يقال ضبحت الناقة وضبحت (فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً) أى أورت النار بحوافرها (وَالنَّقْعُ) الغبار ويقال التراب (فَوَسَطْنَا بِهِ جَمْعاً) من الناس أغارت عليهم (لَكَنُودٌ) لكفور والأرض الكنود لا تنبت شيئاً (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) يقول وإن الله على ذلك لشهيد (وإنَّهُ لِحُبِّ الخيرِ لشَدِيدٌ) أى لحب المال لبخيل (بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) أى قلب وأثير (وحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) ميز ما فيها من الخير والشر.

﴿غريب سورة القارعة﴾

(الْقَارِعَةُ) القيامة لأنها تقرع ويقال أصابتهم قوارع الدهر (الْفَرَاشُ) ما تهافت فى النار من البعوض (الْمَبْثُوثِ) المنتشر (والْعِهْنُ) الصوف المصبوغ (فَأُمُّهُ هَاوِيَه) أى النار له كالأم يأوى اليها لما كانت الام كافلة الولد وغاذيته ومأواه ومربيته وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمه

﴿ غريب سورة ألهاكم ﴾

(أَلهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) بالعدد والقرابات (حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ) أى حتى عددتم من فى القبور من موتاكم (عَنِ النَّعِيمِ) يقال الأمن والصحة .

﴿ غريب سورة والعصر ﴾

(الْعَصْرِ) الدهر أقسم به (إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ) أى فى نقص (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فانهم غير منقوصين

﴿ غريب سورة ويل لكل همزة ﴾

(الهُمَزَةُ) العيّاب الطعّان (واللُّمَزَةُ) مثله وأصل الهمز واللمز الدفع (لِيُنْبَذَنَّ) أى ليطرحن ﴿ ومن المشكل ﴾ (نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ) أى توفى عليها وتشرف ويقال طلع على الجبل واطلع عليه إذا علا فوقه وخص الأفئدة وهى القلوب لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه . وأخبرنا الله أنهم فى حال من يموت ولا يموتون وهو كما قال ـ فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ـ يريد أنه فى حال من يموت وهو لا يموت

﴿ غريب سورة الفيل ﴾

(أَبَابِيلَ) جماعات متفرقة (مِنْ سِجِّيلٍ) قال ابن عباس آجر

(كَعَصْفٍ) يعني ورق الزرع (مَأْكُولٍ) فيه قولان أحدهما أن يكون العصف مأكولا للبهائم كما يقال للحنطة هذا المأكول ولما يؤكل ، وللماء هذا مشروب ولما يشرب ، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب

﴿ غريب سورة قريش ومشكلها ﴾

﴿ قال أبو محمد في المشكل ﴾ : يذهب بعض الناس إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة ، وبلغني عن ابن عيينة أنه قال : كان لنا إمام بالكوفة يقرأ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولإيلاف قريش ولا يفرق بينهما ، وتوهم القوم أنهما سورة واحدة لأنهم رأوا قوله عز وجل (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) مردوداً إلى كلام في سورة الفيل . وأكثر الناس على أنهما سورتان على ما في مصحفنا ، وإن كانتا متصلتي الألفاظ على مذهب العرب في التضمين ، والمعنى أن قريشا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليها فيه ، وأن يعرض لها أحد بسوء إذا خرجت منه لتجارتها ، وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله ، وأهل الله ، وولاة بيته ، والحرم واد جديب لا زرع فيه ولا غرس ولا شجر ولا مرعى ، وإنما كانت قريش تعيش فيه بالتجارة ، وكانت لهم رحلتان في كل سنة ، رحلة في الشتاء ورحلة في الصيف إلى الشام ، ولولا هاتان الرحلتان لم يمكن به مقام ، ولولا الأمن لجوارهم البيت لم يقدروا على التصرف ، فلما قصد أصحاب الفيل إلى مكة ليهدموا الكعبة وينقلوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا هناك بيتا ينتقل به

الأمن اليهم ويصير العز لهم ، أهلكهم الله لتقيم قريش بالحرم ، ويجاوروا البيت ، فقال عز وجل يذكر نعمته عليهم (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) إلى قوله (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ) أى فعل ذلك ليؤلف قريشا هاتين الرحلتين بهما تعيشهم ومقامهم بمكة، تقول ألفت موضع كذا وكذا إذا لزمته، وألفنيه الله ، كما تقول لزمت موضع كذا وألزمنيه الله ، وكرر (لايلاف قريش) كما تقول فى الكلام أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانته عن كل الناس ، فتكرر الكلام للتوكيد على ما بينا فى باب التكرار ، ثم أمرهم بالشكر فقال عز وجل (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) فى هذا الموضع الجدب (وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ) فيه والناس يختطفون حوله من الخوف

سورة أرأيت

(يَدُعُّ الْيَتِيمَ) يدفعه وكذلك قوله ـ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ـ (وَالْمَاعُونُ) الزكاة ويقال الماء والكلأ قال الفراء يقال له الماء وأنشد

يمج صبيره الماعون صبا

سورة الكوثر

(الْكَوْثَرُ) الخير الكثير قال ذلك ابن عباس ، وقال ابن عيينة : قال عبد الكريم أبو أمية قالت عجوز : قدم فلان وقدم بكوثر كثير ، وأحسبه

فوعلا من الكثرة وكذلك يقال للغبار إذا ارتفع وكثر كوثر قال الهذلى يذكر الحمار :ـ

يحامى الحقيق إذا ما احتدمن ... حمحم فى كوثر كالجلال

أى فى غبار كثير كأنه جلال ويقال الكوثر نهر فى الجنة (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ) يوم النحر وانحر : اذبح، ويقال انحر ارفع يديك بالتكبير أى نحرك (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرْ) أى إن مبغضك هو الأبتر أى لاعقب له . وكانت قريش تقول : إن محمداً لاذكر له، فاذا مات ذهب ذكره فأنزل الله عز وجل هذا ، وأنزل ـ ورفعنا لك ذكرك ـ

﴿ غريب سورة تبت والاخلاص والمعوذتين ﴾

(تَبَّتْ) خسرت وقد تقدم ذكر هذا (وَمَا كَسَبَ) يعنى وما ولد (حَمَّالَةَ الحَطَبِ) يعنى النميمة ومنه يقال فلان يحطب على إذا أغرى به ، والكلام استعارة شبهوا النميمة بالحطب والعداوة والشحناء بالنار لأنهما يقعان بالنميمة كما تلتهب النار بالحطب ، ويقال نار الحقد لاتخبو فاستعاروا الحطب فى موضع النميمة قال الشاعر وذكر امرأة :ـ

من البيض لم تصطد على حبل سوءة ... ولم تمش بين الحى بالحظر الرطب

أى لم توجد على أمر قبيح ولم تمش بالنمائم والكذب والحظر الشجر ذوالشوك يحظر به وقال آخر :

فلسنا كمن ترجي المقالة شطره ... بقذف العصاة الرطب والعبل اليبس

وقال بعض المفسرين كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر كثيراً تحتطب على ظهرها بحبل من ليف فى عنقها * قال أبو محمد * ولست أدرى كيف هذا لأن الله عز وجل وصفه بالمال والولد ، فقال ـ ما أغنى عنه ماله وما كسب ـ وأما (المَسَدُ) فهو عند كثير من الناس الليف دون غيره ، وليس كذلك ، إنما المسد كلما ضفر وفتل من الليف وغيره ، يقال مسدت الحبل مسداً إذا فتلته فهو مسد كما تقول نفضت الشجرة نفضا ، وخبطتها خبطا ، واسم ماسقط من ثمرها وورقها نفض وخبط ، ومنه قيل رجل ممسود الخلق إذا كان مجدولا مفتولا ، ويدلك على أن المسد قد يكون من غير الليف قول الراجز : ـ

يامسد الخوص تعوذ منى إن تك لدنا لينا فانى

* ما شئت من أشمط مقسين *

فجعله هذا من خوص وقال آخر

ومسد أمر من أيانق ليس بأنياب ولا حقائق

فجعله هذا من جلود الابل وأراد الله جل وعز بهذا الحبل السلسلة التى ذكرها فقال ـ فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ـ كذلك قال ابن عباس ، فيجوز أن يكون سماها مسداً وإن كانت حديدا أو ناراً أو ماشاء الله أن تكون بالضفر والفتل (الصَّمَدُ) السيد الذى قد انتهى سؤدده لأن الناس يصمدونه فى حوائجهم قال الشاعر : ـ

* خذها حذيف فأنت السيد الصمد *

وقال عكرمة ومجاهد هو لذى الوجوم وهو على هـذا التفسير كان الدال فيه مبدلة بتاء ، والمصمت من هذا (كُفُواً) مثلا يزيد عن سعيد قال قتادة : كان إبليس ينظر إلى آدم عليه السلام ويقول لأمر ما خلقت، ودخل من فمه وخرج من دبره فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا فان ربكم مصمدٌ وهذا أجوف (الْفَلَقُ) الصبح و (الْغَاسِقُ) الليل والغسق الظلمة (إِذَا وَقَبَ) أي دخل فى كل شىء ويقال (الْغَاسِقُ) القمر إذا كسف واسود (إذا وقب)، دخل فى الكسوف (النَّفَّاثَاتِ) السواحر وينفثن يتفلن إذا سحرن ورقين (الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) إبليس (يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) والقلوب فاذا ذكر الله سبحانه خنس أى أقصر وكف (وَالْجِنَّةُ) الجن ﴿ قال أبو محمد ﴾ فى المشكل فى آخر باب القراءات أما نقصان مصحف عبد الله بن مسعود بحذفه المعوذتين وأم الكتاب، وزيادة مصحف أُبَى سورة القنوت ، فانا لا نقول إن عبد الله وأُبَيًّا رحمة الله عليهما أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، ولكن عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعوذة والرقية للعين وغيرها ، وكان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين عليهما السلام وغيرهما كما كان يعوذ بأعوذ بكلمات الله التامات وغير ذلك فظن أنهما ليستا من القرآن وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعا كما أقام على التطبيق ، وأقام غيره على الفتيي بالمتعة والصرف ، ورأى آخر أكل البرد وهو صائم ، ورأى آخر السحور بعد طلوع الفجر الثانى ، فى أشباه لهذا كثيرة ، وإلى

هذا ذهب أبي رحمه الله فى دعاء القنوت لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به فى الصلاة دعاء دائما فظن أنه من القرآن وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة . وأما فاتحة الكتاب فانى أشك فيما روى عن عبد الله من تركه إثباتها فى مصحفه ، فان كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن ، وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن ؟ وأحد الستة الذين انتهى اليهم العلم ؟ والنبى ﷺ يقول فيه : « من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبدٍ » وعمر رضى الله عنه يقول : كيف ملىءَ علماً ، وهو مع هذا متقدم الاسلام بدرىٌّ لم يزل يسمع رسول الله ﷺ يَؤُمُّ بها ، وقال : « لا صلاة إلا بسورة الحمد وهى السبع المثانى وأم الكتاب » . أى أعظمه ، وأقدم ما نزل منه ، كما سميت مكة أم القرى لأنها أقدمها ، قال الله تبارك وتعالى - إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً - ولكنه ذهب فيما يظن أهل النظر الى أن القرآن قد جمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ، ورأى ذلك لا يجوز فى سورة الحمد لقصرها وأنها تثنى فى كل صلاة وكل ركعة ، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمها كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه إذ كانت لا صلاة إلا بها ، فلما أمن عليها العلة التى من أجلها كتب المصحف ترك كتابتها وهو يعلم أنها من المصحف ، ولو أن رجلا كتب من القرآن سوراً وترك سوراً لم يكتبها لم نر عليه فى ذلك وكفاً إن شاء الله عز وجل وبالله التوفيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم
وبعد فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل القدر العظيم النفع (كتاب
القرطين) (أو غريب ومشكل القرآن لابن قتيبة) وقد جاء
بحمد الله تعالى على أحسن مايرغب فيه من جودة الطبع
وحسن التنسيق . وذلك بعناية الله وهمة مطبعة
الخانجى العامرة لأصحابها (محمد أمين الخانجى
وأولاده) وكان الفراغ من طبعه فى يوم
الاثنين السادس والعشرين من شهر
ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ هجرية
على صاحبها أفضل
وأتم التحية

﴿ فهرس السور التى فى الجزء الثانى ﴾

تابع فهرس الجزء الثانى

تابع فهرس الجزء الثانى

﴿ تم فهرس الجزء الثانى ﴾

فهرس بعض المواضيع

فهرس الأعلام الواردة فى الجزء الثانى من القرطين
﴿ بمناسبة الاستشهاد بأشعارهم ﴾